AL-HADAF

الهدف

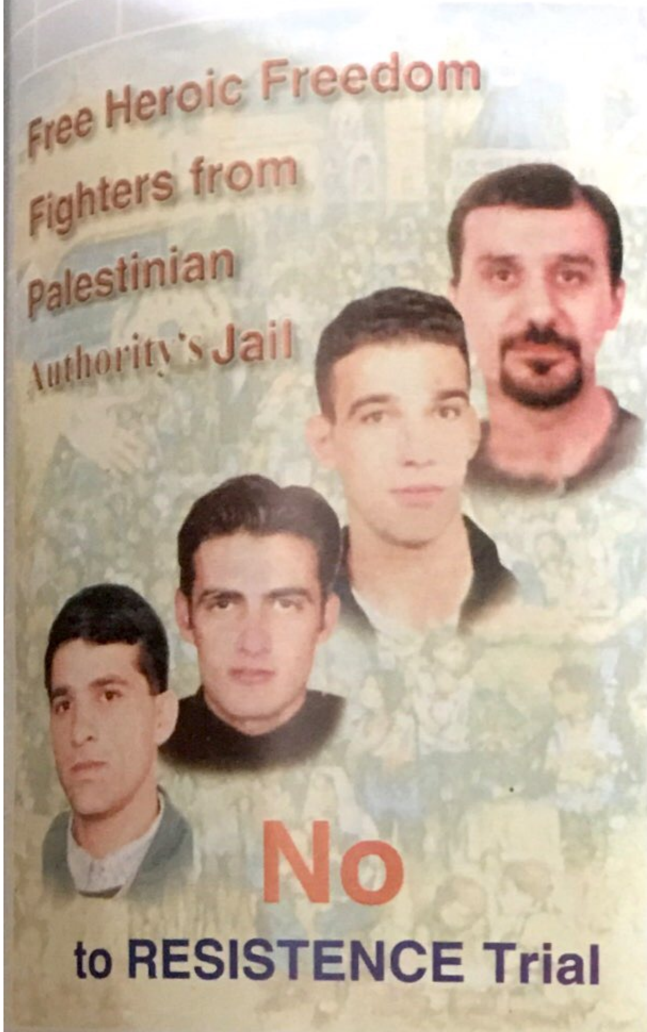
سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

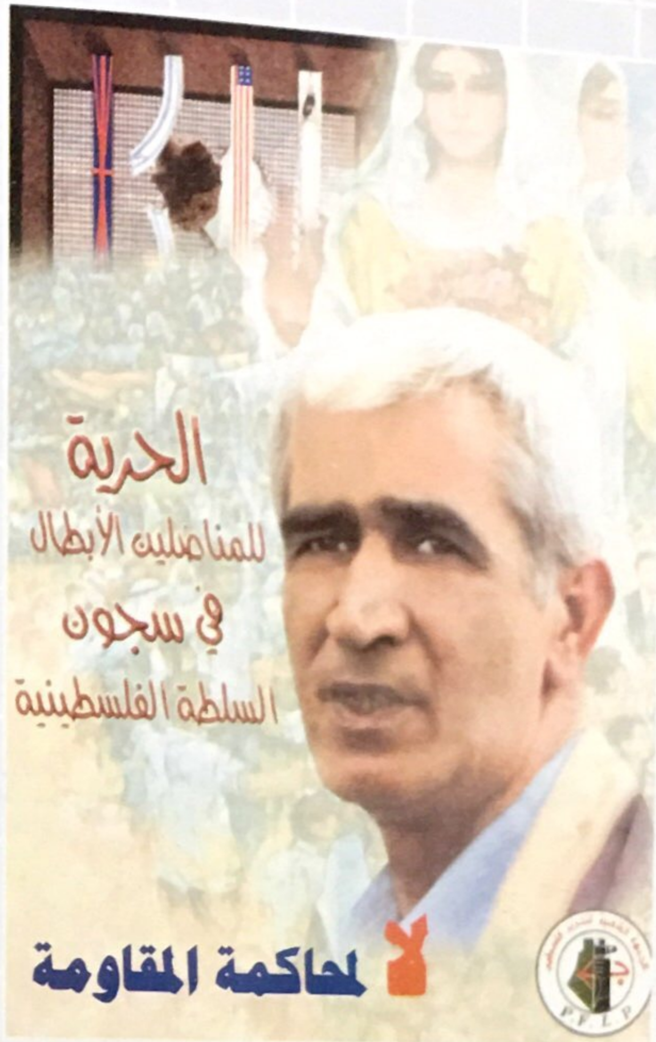
عدد خاص

عام على اعتقال القائد أحمد سعدات

الحوار الوطني..
نحو رؤية استراتيجية موحدة







نسور من كرامة وضياء

أحمد سعدات

عاهد أبو غلمة

حمدي القرعان

باسل الأسمر

مجدي الريماوي

الحوار الوطني الفلسطيني

تنطلق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في موقفها من الحوار الوطني الفلسطيني الدائر في القاهرة، من رؤيتها لمجمل ما تتعرض له قضيتنا الوطنية والقومية من مخاطر تتهدد وجودها ومستقبلها، فالقوى المعادية لنضالنا الوطني والقومي ماضية في مشاريعها، وخططها الهادفة للنيل من حقنا المشروع والمقدس في الحرية والاستقلال والدفاع المشروع عن حقوقنا وثرواتنا، والتي يريدون استباحتها بدون وجه حق أو مسوغ قانوني وأخلاقي.

والواجب الوطني والقومي يدعونا وفي هذه اللحظات التاريخية الحاسمة، إلى أن نكون بمستوى المسؤولية لنكون جديرين بقيادة شعبنا وأمتنا إلى بر الأمان، وتجنيبها مخاطر الاستئصال والهيمنة والسيطرة على مستقبلها وثرواتها، ولذلك فإن العبرة في هذه اللحظات تكمن في قدرتنا على استيعاب طبيعة المرحلة ومخاطرها ووضع الخطط والدروس القادرة على تمكننا من قيادة دفة السفينة إلى بر الأمان.

وقد أكدنا من خلال حواراتنا الثنائية مع الأخوة في مصر أن الحوار الوطني الشامل الذي يضم كافة ألوان الطيف السياسي الفلسطيني ضروري، ويشكل حاجة ماسة للحركة الوطنية والإسلامية، لتقف أمام مسؤولياتها تجاه التطورات الخطيرة التي يواجهها شعبنا ومنطقتنا، وبنفس الوقت فإن الحفاظ على الانتفاضة والمقاومة هما جوهر أي مشروع وطني مؤهل لنيل الإجماع الوطني والشعبي فلسطينياً، وأية محاولات تريد أن تحرف الحوار عن تأدية أغراضه ستصب شئنا أم أبينا في مصلحة السفاح والإرهابي شارون المدعوم بشكل غير مسبوق في تاريخ العلاقات الدولية من طرف الإدارة الأمريكية وصقورها، المتعطشين لنهب خيراتنا وتفتيت أمتنا، وتمكين إسرائيل وغلاتها من جني ثمار أعمالهم البربرية الإرهابية الاستئصالية.

فالرهان كل الرهان على كاهل حركتنا الوطنية والإسلامية في قدرتها على التوافق على برنامج وطني فلسطيني، يحدد بشكل صائب ودقيق الموقف الوطني، وآليات تنفيذه على كافة الصعد السياسية والتنظيمية والكفاحية والاقتصادية.

ويركز في اتجاهاته العامة على الحق المشروع في استمرار المقاومة والانتفاضة، وأية دعوات لوقف المقاومة بدواعي إعطاء فرصة للسلام، هي استجابة مجانية للإملاءات والشروط الشارونية، والتي روجت طوال الفترة الماضية لنجاعة سياسة القتل والتدمير والإرهاب الذي تمارسه بشكل منهجي ومبرمج، ومشاركة مجانية في حملة شارون وحزبها المتطرف في تطاوله على الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني واستهتاره بها.

فالالتزام بنبض الجماهير وتطلعاتها، والوفاء للشهداء وتخليد ذكراهم، ينطلق من الحفاظ على مقومات الصمود الوطني وتطوير كل العناصر الإيجابية في تجربتنا الكفاحية التي رسختها الانتفاضة المجيدة تحتم علينا أن نلتزم بما يلي:

أولاً: التمسك بالوحدة الوطنية الفلسطينية على أساس برنامج سياسي وكفاحي واقعي يضمن لنا استمرار الانتفاضة والمقاومة، ويحقق وحدة فلسطينية فعلاً وممارسة.

ثانياً: الإقلاع نهائياً عن أية سياسات خاصة وأجندات خاصة لمصلحة السياسة والأجندة الوطنية.

ثالثاً: انتهاج سياسة تعتمد كل أشكال النضال السياسي والكفاحي سبيلاً لتحقيق الأهداف الوطنية المشروعة.

رابعاً: اعتماد الإصلاح الديمقراطي الشامل في كافة مؤسسات «م.ت.ف.» وأجهزة السلطة والمؤسسات الفلسطينية على أساس التمثيل النسبي، ودستور ديمقراطي يرسخ التعددية السياسية، ويتبنى الفصل بين السلطات بالتوافق مع تبني سياسة محاربة الفساد.

خامساً: احترام الالتزامات الوطنية الفلسطينية، التي تخدم المصلحة الوطنية الفلسطينية المحددة في البرنامج الوطني.

فبالإرادة والعمل نستطيع أن نفشل مخططاتهم ونواياهم العدوانية ضد شعبنا، وبالتمسك بقيم وأخلاقيات شعبنا نتمكن من المحافظة على وحدتنا الوطنية، وترتيب شؤون بيتنا وتعزيز مقومات صمودنا وقدرتنا على تطوير فعلنا الوطني والكفاحي ومغادرة أوهام الحصول على مكتسبات ونتائج إيجابية لشعبنا من الإدارة الأمريكية، التي ما انفكت منذ عشرات السنين تمد هذا الكيان الغاصب بكل الإمكانيات والوسائل المادية والمعنوية والسياسية والعسكرية، لتدمير حلمنا المشروع في الحرية والاستقلال، فالطريق إلى السلام العادل يمر عبر أروقة الأمم المتحدة وتحت رعايتها من خلال تنفيذ القرارات الدولية الخاصة بقضيتنا وتحميل المجتمع الدولي والمنظمة الدولية مسؤولية كل ما يجري من مجازر مروعة وإرهاب عنصري قل نظيره في التاريخ، فالمسؤوليات القانونية والأخلاقية تحتم على الأمم المتحدة المسارعة دون إبطاء إلى إرسال قوات حماية دولية مؤقتة لتشرف على انسحاب إسرائيل من أرضنا المحتلة وحماية شعبنا من جرائم إسرائيل المتواصل بدعم أمريكي لا محدود.

والأمة العربية مدعوة أكثر من أي وقت مضى على المستويين الشعبي والرسمي لانتهاج مواقف وسياسات قادرة على المشاركة النشطة في حملة الممانعة الدولية لأي عدوان قادم على العراق الشقيق، فالمصالح الأنانية الضيقة للنظام الرسمي تقتضي أن يلتزم بمقتضيات الحفاظ على الأمة ومستقبلها لأن الآثار المدمرة للمؤامرة الأمريكية على العراق ستفتح جراحاً في الجسم العربي لا يمكن إيقافها وستزيد من شهية شارون ونواياه الشريرة ضد فلسطين والأمة العربية.



أسسها
عام ١٩٦٩
الشهيد
غسان كنفاني

رئيس التحرير: جواد عقل

سكرتير التحرير: أحمد. م. جابر

المدير الفني: زهدي العدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ ل.ل	الجزائر ١٥ دينارًا	المغرب ١١ درهم
سوريا ٢٠ ل.س	ليبيا دينار واحد	أمريكا وكندا ٣ دولار
الأردن ٥٠٠ فلس	تونس ١.٢٥ د.ت	ألمانيا ٥ ماركات
العراق ٥٠٠ د.ع	صنعاء ١٥ ريالاً	إسبانيا ٣٠٠ بيزيته
الإمارات ١٠ دراهم	السودان ٦ جنيهات	

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها أجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س - لبنان والأردن ٣٠ دولار
- بقية الدول العربية ٥٠ دولار

يتم الاشتراك بإرسال إشعار الإيداع بقيمة الاشتراك السنوي (أو نصف السنوي) باسم رئيس التحرير على العنوان التالي:
بنك بيروت والبلاد العربية - شتورا - لبنان
رقم الحساب:
(AC.No.0013-373179-001)
أو بإرسال شيك بنكي باسم رئيس التحرير
دمشق / ص.ب: ٣٠١٩٢

المكاتب:

دمشق: ص.ب ٣٠١٩٢ - هاتف: ٦٣٢٨٢٦٧ - فاكس: ٦٣١٩٣٧٤
بيروت: ٣٠٩٢٣٠ - عمان: ٦٩٦٣٤٠ - الجزائر: ٥٩٤٥٤٨ - ٣٨٤٣٠٤
بغداد: تليفاكس ٧٧٨٢٦٩٠ - صنعاء: ٢٠٥٨٤٩
الموقع الرسمي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على الإنترنت:
بالانكليزية: http://www.pflp-pal.org
بالعربية: http://www.pflp-palestine.org
الهدف على الإنترنت: http://www.alhadaf.cc
البريد الالكتروني: alhadaf@mail.sy

التوزيع

* التوزيع في الجمهورية العربية السورية:
المؤسسة العربية لتوزيع المطبوعات
* التوزيع في المغرب: الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
* التوزيع في العراق: الشركة الوطنية للتوزيع والنشر
* في الأردن: شركة الطباعين العرب - عمّان

AL- HADAF
الهدف
سياسة عربية. شهرية

٥ شباط (فبراير) - ٢٠٠٣ - العدد - ١٣٣٨ - السنة الرابعة والثلاثون
الثمن ٢٠ ل.

AL-HADAF- No.1337 - February - 2003

كلمة

أيام صعبة ولكن؟!

نعم.. كما قالت بعض عناوين الصحف، أيام صعبة تنتظر الفلسطينيين الآن بعد إعادة انتخاب شارون وحزبه لقيادة إسرائيل في حربها المستمرة ضد فلسطين أرضاً وشعباً. ولكنها ليست جديدة، قد يعتقد الواهمون أن ثمة خطأ مرتكب، وأنه لم يكن يجب السماح لشارون وعصابته بالعودة، ولكن تلك أوهام رخيصة للبيع، أوهام يسعى من يروجها إلى تحميل الضحية مسؤولية استمرار الجلاد في جريمته، لأنه في الحقيقة، ما كان الفلسطينيون ليربحوا لو جاء العمل، كما أن أيامهم لن تزيد صعوبة مع استمرار الليكود.

يدرك الفلسطينيون تماماً أي نظام سوسيولوجي نفسي وسياسي بات يحكم إسرائيل الآن.. مزيد من الإنكار لحقوقه، مزيد من التعسف والقتل والقمع والحصار، ولكن بدون أي أوهام.. فأخلاق الحرب لا تحتمل هذا الترف، ومادامت الأيام القادمة ستكون صعبة، فلتكن إذاً أيام مقاومة جدية..

على سيرة المقاومة.. كان من الممكن أن تكون أكثر نجاعة لو أدت حوارات القاهرة إلى نتيجة مختلفة، رؤية استراتيجية واضحة وموحدة لإدارة الصراع وأدواته، ولكن لم يحدث، وليست وظيفة هذه الزاوية البحث عن المسؤول، الذي ستشير إليه أيام التاريخ بأصابعها العشرة.. يوماً ما، لحظة حقيقة ما.

ومن جهة أخرى، وعلى سيرة الأخلاق سيستضيف الكونغرس الأمريكي محاضرة عن أخلاق الحرب وسيحاضر فيها جاكوب أميدرور، وجاكوب هذا هو جنرال إسرائيلي، مجرم حرب بامتياز، المهزلة الكبرى أن النائب الأمريكي جيم ساكستون قال في رسالة الدعوة للمحاضرة أن «هناك الكثير مما يمكننا تعلمه من أشخاص مثل الجنرال أميدرور».

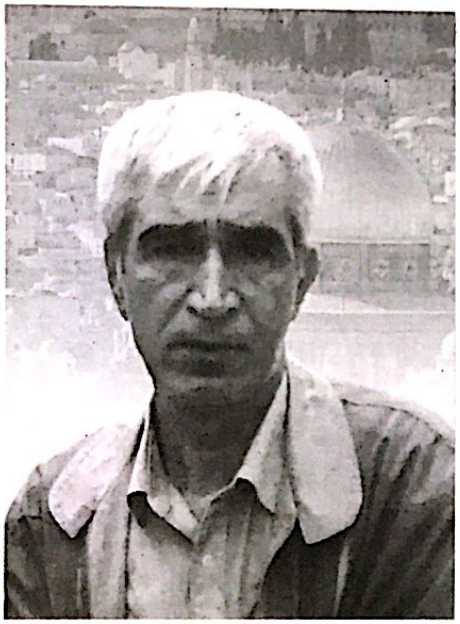
هل حقاً تحتاج دولة الفساد، الولايات المتحدة لمن يعلمها عن «أخلاق الحرب الإسرائيلية مرة أخرى».. هي أخلاق الحرب الأمريكية التي ترى الجنرال ببزته النظيفة ونياشينه اللامعة، ولا ترى الأطفال في جنين ورفح.. ويقولون أننا مطالبون بالتهدئة؟!

في هذا العدد

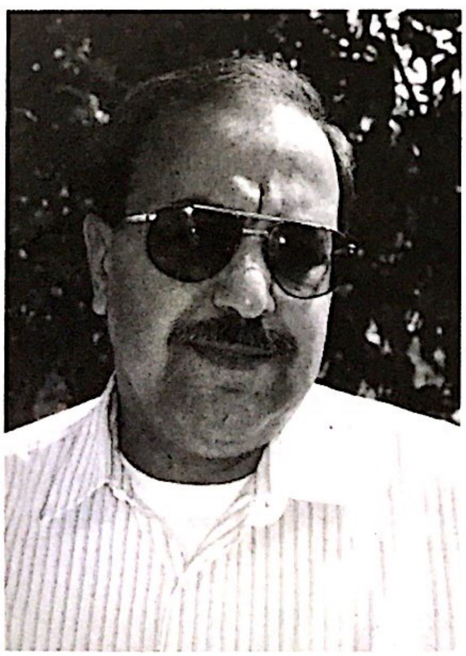
موضوع الغلاف:



عام على اعتقال
القائد
أحمد سعدات



٨ عام على اعتقال سعدات ... ملف التضامن



٩ رسالة القائد ملوح إلى المجلس المركزي

وفاء لدماء الشهداء ولكل تضحيات شعبنا، وإيماناً بعدالة قضيتنا الوطنية، وتمسكنا بحقنا المشروع في مقاومة الاحتلال والعدوان والاستيطان الإسرائيلي بكافة أشكاله.. وتأكيداً على إصرار وعزم شعبنا الفلسطيني في كافة أماكن تواجده على مواصلة نضاله الوطني البطولي، ومشواره التحرري من أجل نيل حقوقه المشروعة، وإقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس، واستمراراً لجهادنا المقدس من أجل فلسطين بكافة الوسائل التي تحقق أهدافه الوطنية، وأخذاً في الاعتبار أن المسؤولية الوطنية تحتم إعلاء المصالح الوطنية العليا على أية مصالح فئوية.. تقتضي توحيد الموقف والكلمة في هذه المرحلة من نضال شعبنا الفلسطيني، وانطلاقاً من أهمية وضع العالم أمام مسؤولياته فيما يواجه شعبنا من ظلم وعدوان واحتلال مستمر..

وعلى ضوء المخاطر الجدية التي يواجهها شعبنا في هذه المرحلة جراء التدخل الأمريكي والإسرائيلي في الشأن الفلسطيني الداخلي، ومنعاً لأي استغلال إسرائيلي لتعبئة أي فراغ سياسي قيادي في الساحة الوطنية الفلسطينية..

فإن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ترى أن يكون برنامجنا الراهن على القواسم الوطنية المشتركة التالية:

أولاً: الوضع الداخلي

إن معالجة الوضع الفلسطيني الداخلي، والعمل على تجميع الكيانية الفلسطينية الناشئة هي أمر ضروري وحيوي على المستوى الفلسطيني والعربي والدولي، وهي من العوامل الأساسية الفاعلة في توفير مقومات الصمود والمقاومة، وبناء المجتمع الفلسطيني، بما يجعل من رسم السياسة الداخلية، وترتيب البيت الفلسطيني على رأس أولويات العمل الوطني الفلسطيني الراهن، والحلقة المركزية في تنظيم المجتمع الفلسطيني، على المستوى الكفاحي والسياسي والاقتصادي والقانوني..

رؤية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لتوحيد القوى الوطنية والإسلامية حول مشروع برنامج وطني فلسطيني

وإننا إذ نؤكد على ذلك، فإننا نؤكد أيضاً على مطالبتنا السلطة الفلسطينية بالإفراج الفوري عن القائد أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، باعتباره شرطاً أساسياً لتأمين مناخات لإنجاح الحوار.

كما نطالب بضرورة الإفراج الفوري عن الرفاق الأربعة أعضاء الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والمناضل فؤاد الشوبكي وكافة المعتقلين السياسيين في سجون السلطة الفلسطينية.

وفي سبيل تحقيق ذلك يقتضي الأمر تحقيق التالي:

١- تشكيل قيادة وطنية موحدة مؤقتة تقود النضال الوطني الفلسطيني من جميع فصائل العمل الوطني والإسلامي، وشخصيات وطنية يتفق عليها.. تجسد الوحدة الوطنية، وتحقق جماعية القيادة والمشاركة في القرار الوطني وتعمل على إقرار السياسة والممارسة العملية، وتعزز وحدة المرجعية ووحدة القرار، ووحدة العمل والمقاومة لأجل تحقيق الأهداف الوطنية.

٢- تتحمل القيادة الوطنية الموحدة مسؤولية العمل الوطني الفلسطيني، وتباشر في الإعداد لإجراء انتخابات ديمقراطية وشاملة على أساس التمثيل النسبي لمؤسسات «م.ت.ف» ابتداء من المجلس الوطني الفلسطيني، ومؤسسات السلطة، والمجتمع الفلسطيني (بلديات، اتحادات شعبية، نقابات مهنية..إلخ) بما يفعل هذه المؤسسات ويحقق مشاركة الجميع فيها.

٣- تتحمل القيادة الوطنية مسؤولية إعادة إحياء مؤسسات «م.ت.ف» وتفعيلها في الداخل والخارج بما يعيد الاعتبار لـ «م.ت.ف» كإطار وطني سياسي جامع لقيادة الشعب الفلسطيني نحو تحرره من الاحتلال، تنضوي تحته كافة القوى الوطنية والإسلامية.

٤- إجراء عملية إصلاح شاملة للوضع الفلسطيني، وبناء مؤسسات الشعب والمجتمع على أسس ديمقراطية تكفل العدل والمساواة، وممارسة التعددية السياسية، واحترام سيادة القانون، والفصل بين السلطات، واحترام القضاء والالتزام بأحكامه وضمان الحريات العامة والخاصة بما في ذلك ضمان حرية الصحافة والنشر والتعبير والتنظيم والتجمع والتظاهر في إطار حكم القانون وتحريم الاعتقال السياسي.

٥- التأكيد على مبدأ الشفافية والمساءلة وصيانة الأموال والممتلكات العامة ومحاسبة كل من أساء استخدام المنصب أو المال العام وفقاً للقانون.

٦- الأخذ بسياسة اقتصادية توجه الموارد المتاحة نحو تعزيز مقومات الصمود والاستقلال الاقتصادي وتشجيع الإنتاج الوطني واعتماد موازنات تقشف تنهي الهدر والتبذير للمال العام، وتنهي امتيازات كبار المسؤولين، والعمل على التوزيع العادل لعبء الانتفاضة بين جميع فئات الشعب الفلسطيني.

٧- إنشاء صندوق وطني للتكافل الاجتماعي ودعم الصمود الوطني.. لتلتقي وتوحد قنوات الدعم والمساندة الشعبية المحلية والخارجية.

٨- رفض تدخل الإدارة الأمريكية والإسرائيلية وأية قوى خارجية في الشؤون الداخلية الفلسطينية ورفض جميع محاولات فرض الوصاية على شعبنا والمساس بالشرعية الفلسطينية وحق شعبنا في تحديد وانتخاب قيادته بحرية تمثل تطلعاته وأهدافه الوطنية.

ثانياً: الأهداف الوطنية:

١- إنهاء الاحتلال الإسرائيلي العسكري والاستيطاني عن جميع الأراضي المحتلة بما فيها القدس.

٢- إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس على جميع الأراضي المحتلة عام ٦٧.

٣- وجوب تنفيذ حق العودة للاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم التي شردوا منها وفقاً لقرار حق العودة ١٩٤ عام ١٩٤٨ للأمم المتحدة.

إن تحديدنا لهذه الأهداف التي تنطلق من التأكيد على ثوابت الإجماع الوطني الفلسطيني، يتطلب العمل المشترك كمهمة كفاحية ووطنية راهنة وعلى جميع الأصعدة الفلسطينية والعربية والدولية، من أجل وقف الإرهاب والعدوان الإسرائيلي ضد شعبنا، وفرض الانسحاب الفوري من كافة الأراضي الفلسطينية المحتلة، والإفراج عن كافة المناضلين الفلسطينيين المعتقلين لدى الكيان الصهيوني وعلى رأسهم القائد عبد الرحيم ملوح نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وضمان تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ بما فيها القدس.

ثالثاً: الوسائل:

إن القضية الفلسطينية هي قضية عادلة لشعب يسعى لنيل حقوقه الوطنية عبر نضاله المستمر الذي كفلته الشرعية الدولية، لأجل تقرير المصير والتحرر من الاستعمار والاحتلال والتسلط والاستعباد وفق الوسائل التالية:

١- الانتفاضة والمقاومة والنضال السياسي هي وسائل وأشكال كفاحية مشروعة يمارسها شعبنا الفلسطيني حتى تحقيق أهدافه الوطنية.

٢- الانتفاضة الفلسطينية هي خيار الشعب الفلسطيني في هذه المرحلة، وهي ضرورة وطنية وتاريخية لتحقيق الحرية والاستقلال، وإقامة الدولة الفلسطينية كاملة السيادة، وعاصمتها القدس، وهي حالة دفاعية إيجابية للشعب الفلسطيني فرضتها طبيعة العدو الاحتلالي.

٣- التمسك بروح الانتفاضة والمقاومة فلسطينياً وعربياً كعنصر فاعل وحيوي لمجابهة الاحتلال الإسرائيلي.. وكعنصر قوة لأية مساعي وجهود سلمية وإقليمية ودولية مخلصة لتحقيق الانسحاب الإسرائيلي الشامل من الأراضي الفلسطينية المحتلة وإحقاق الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني.

٤- القيادة الوطنية الموحدة تتحمل مسؤولية رسم الآليات والتكتيكات السياسية والعسكرية المناسبة زمنياً ومكانياً بما يخدم القضية الوطنية الفلسطينية.

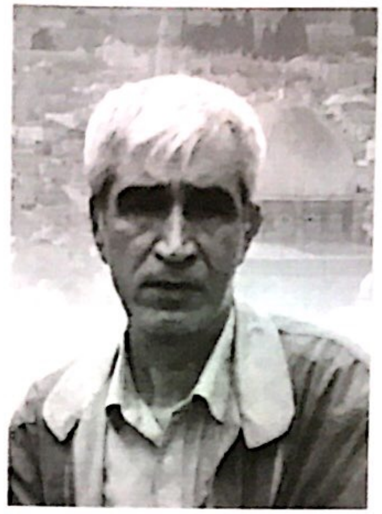
٥- التأكيد على البعد العربي والإسلامي للقضية الفلسطينية كعمق استراتيجي هام وابراز البعد والطابع التحرري والإنساني لقضيتنا الوطنية والتأكيد على أهمية وضرورة العمل من أجل تأييد وتحشيد هذه القوى لصالح نضالنا الوطني التحرري.

إن الجبهة الشعبية تؤكد على أن الحوار الوطني الشامل هو الوسيلة الأنجع للوصول إلى الوحدة الوطنية الصلبة. كإطار جبهوي شعبي قادر على توفير مقومات الصمود الوطني..

وإن الترجمة الأمينة والصادقة لما نقوله ونطرحه، تشكل الأساس السليم لتطوير الوحدة الوطنية والتلاحم الوطني.

إن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تثمن عالياً الدور المصري في رعاية هذا الحوار الساعي لنصرة الشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية العادلة، التي هي مسؤولية الجميع من الأمة العربية، وإننا على ثقة بأن مصر ستبقى على مسؤوليتها القومية تجاه شعبنا الفلسطيني وداعماً لقضيته الوطنية.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٢٠٠٣/١/٢٠



عام على اعتقال سعدات

ملف خاص..

«نقرع جرس الإنذار»

بيان إلى جماهير شعبنا وقواه ومؤسساته

يا جماهير شعبنا العظيم

عام مضى على اعتقالي ورفاقي والأخ المناضل فؤاد الشوبكي، ودون الحاجة للإسهاب في الطرق أو الأسباب أو التداعيات التي تمخض عنها الحصار أو الجهود الذي بذلت من كافة المحافل الفلسطينية والعربية لإنهاء هذا الاعتقال، بما يسببه من صدع لأسس العلاقات الفلسطينية الداخلية، وفقدان الانسجام بين نضال شعبنا وقواه السياسية لتحرير الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال. في الوقت الذي يحتجز فيه ستة مناضلين على خلفية مقاومة الاحتلال.

أو مدى الانتهاك الصارخ للقانون الفلسطيني حيث بات ثلاثة منا محتجزين خارج إطار القانون، بعد أن أصدرت محكمة العدل العليا الفلسطينية قرارين منفصلين بالإفراج عني وعن الأخ العميد الشوبكي، وانتهاء محكومية الرفيق عاهد أبو غلمه عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة، فكافة هذه الملابسات باتت معروفة للجميع، فكل ما أريد إبرازه عبر هذا البيان وضع جماهير شعبنا في ظروف اعتقالنا بموجب ما عرف بصفقة أريحا وظروف الملابسات الحقيقية التي تحول دون قدرة السلطة على إغلاق هذا الجرح، خاصة وأن المبادرة الأمريكية التي باتت دولية المعروفة بخارطة الطريق تتحدث في مفاصلها الأساسية عن التزامات السلطة اتجاه الإصلاح ومكافحة الإرهاب وتنص على الرقابة الدولية كضمان لتنفيذ السلطة لهذه الالتزامات، وهنا فإن نموذج أريحا للرقابة الدولية مثال حي لمستقبل الوضع الفلسطيني إذا ما دارت عجلة خارطة الطريق كإطار مطروح للتسوية والمفاوضات.

أولاً: لا بد من التأكيد أولاً أن الاتفاق لم يخرجنا كمعتقلين تطالب بهم حكومة الاحتلال من دائرة الخطر المباشر، وبنفس المستوى الذي عشناه أثناء الحصار، فاختيار أريحا كمكان ووجود المراقبين الأمريكان والبريطانيين، ودخول إسرائيل كطرف مشارك في عملية الاعتقال يقدم لها المراقبون بتقارير دورية ويضعونها في صورة أي تحرك لنا خارج المعتقل، إذا ما صادفت الحاجة للعلاج، كل هذه الشروط تجعلنا تحت الإشراف المباشر ولا توفر لنا الحماية.

ثانياً: المراقبون كطرف ضامن، هم الذين يقررون كل الإجراءات التي يجب تطبيقها، تفتيش الزوار، تسجيل أسمائهم، تفتيش غرفنا، وأخيراً الرقابة المباشرة، والتشويش على الاتصالات الهاتفية وربما التنصت من خلال أجهزة يديرونها مباشرة، ويبدو انهم أخذوا موافقة الجهات العليا الفلسطينية لتحقيق شروط عزلنا كما تريد إسرائيل. ومجمل هذه الإجراءات لا تستثني أي مسؤول فلسطيني مهما علا شأنه أو مركزه.

ثالثاً: أمام هذه الحقائق فإن الإدعاء تارة بتوفير الحماية لنا وتارة بعدم القدرة تصبح غير منطقية، ومحاولة من قبل السلطة للتهرب من استحقاق مباشر يمس بهيبتها وشخصيتها، اليوم في أريحا وغداً في كافة أرجاء الوطن ومؤسساته، خاصة حين نتحدث عن الرقابة في مجالات الأمن، والمال، والإجراءات الديمقراطية وشتى مناحي الحياة. فالنضال من أجل الاستقلال الحقيقي ورفض الوصاية والانتداب كإجراءات عقابية باتت تبدأ بالتحرر من هذا الاتفاق، كبداية لرفض أي التزام يجعل من المناضلين، ومن السلطة، والشعب رهائن لحسن النوايا الأمريكية والإسرائيلية، فحماية المناضل تبدأ بحماية حقه بالنضال إلى جانب جماهير شعبنا وليس احتجاز طاقته، وإلا لصح القول أن اعتقال إسرائيل لمناضلي شعبنا شكلاً من أشكال الحماية، ولأصبح النضال من أجل تحريرهم درباً من دروب المغامرة..

يا جماهير شعبنا..

لم نترك فرصة للحوار إلا وطرقناها سواء من خلال حزبنا، أو الإطارات الوطنية العامة، ولم نجد سوى المماطلة والتهرب ومقابلة مطالبنا بالمزيد من الإجراءات التي تشدد من شروط اعتقالنا، لذا قررنا التوجه إليكم جماهير ومؤسسات شعبية وأهلية لتقفوا معنا في نضالنا من أجل وقف هذه المهزلة وإنهاء اعتقالنا، عبر التحرر من قيود هذا الاتفاق وإلغائه، إننا اليوم نقرع جرس الإنذار لنحذر جماهيرنا من الخطر القادم، عبر ما يسمى بخارطة الطريق، عبر إعلاننا الإضراب الاحتجاجي لمدة ثلاثة أيام لنسمع رداً على مطالبنا بإطلاق سراحنا غير المشروط تنفيذاً لقرارات المحكمة الفلسطينية والقوانين الوطنية التي تحرم الاعتقال السياسي على خلفية الرأي أو مقاومة الاحتلال..

المجد للشهداء البررة.. الحرية للأسرى والأسيرات.. والنصر لشعبنا

أحمد سعدات

الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

٢٠٠٣/١/١٥

رسالة الرفيق القائد عبد الرحيم ملوح
إلى الرئيس عرفات والمجلس المركزي

الأخ الرئيس ياسر عرفات حفظه الله
رئيس دولة فلسطين
رئيس اللجنة التنفيذية
لمنظمة التحرير الفلسطينية

الأخ سليم الزعنون حفظه الله..
رئيس المجلس الوطني الفلسطيني..
الأخوة أعضاء المجلس المركزي الفلسطيني
تحية الوطن والحرية وبعد،

من معتقلات الاحتلال الفاشي أوجه لكم التحية والتقدير، وأنقل لكم تحيات رفاقي وإخواني جميعاً.. متمنين لكم النجاح في إجتماعاتكم، أملين من اجتماعكم أن يشكل خطوة كبيرة إلى الأمام، واستجابة نوعية للتحديات التي تواجه شعبنا، وبما يخدم كفاحه من أجل دحر الاحتلال وتقرير المصير، وبناء دولة فلسطين المستقلة وعاصمتها القدس، وصون حق العودة للاجئين المشردين من أبناء شعبنا.

ينعقد اجتماعكم في غياب كوكبة من قادة شعبنا الأماجد، أعضاء اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي، هم الرفيق أبو علي مصطفى والرفيق الشهيد سليمان النجاب والأخوة الشهداء فيصل الحسيني وياسر عمرو.. هؤلاء الرموز القادة اللذين لعبوا دوراً بارزاً في نضال شعبنا من أجل بناء هويته الوطنية المستقلة، ومن أجل وحدته وحريته واستقلاله، وينعقد الاجتماع (بعد سنتين وبضعة شهور) على الاجتماع السابق، الأمر الذي يتطلب منكم مناقشة هذا الخلل والوقوف على أسبابه، فقد مررنا بتطورات عاصفة، وواجهنا تحديات جسام كلها استدعت وتستدعي انعقاد المجلس المركزي لمناقشة كيفية مواجهتها بعقل جماعي وفعل موحد، وينعقد اجتماع مجلسنا المركزي في ظل تصاعد العدوان العسكري والهجوم السياسي للاحتلال الإسرائيلي الفاشي على شعبنا وحقوقه الوطنية، ومحاولة تدمير بنيته التحتية، وكيانه السياسي، ووحدته الجيوسياسية والاجتماعية واضعاً مدنها وقراها



ومخيماتها في معازل شبه دائمة مكثفاً سياسته الاستيطانية وساعياً لتهويد مقدساته ومواقعه التاريخية والحضارية بما في ذلك إعادة احتلاله لمناطق السلطة الوطنية الفلسطينية، وزج عشرات الآلاف من المناضلين والمجاهدين - من أجل الحرية - بمعتقلاته العسكرية متنكراً للشرائع والقوانين الدولية التي أقرت حق شعبنا الشرعي بوطنه وبتقرير مصيره على أرضه وبحقه بالكفاح بكل الوسائل من أجل تحقيق هذه الأهداف.

إن شعبنا الفلسطيني عانى ويعاني من الإرهاب المزدوج للاحتلال الإسرائيلي وإرهابه المنظم، وبما يسمى الحرب على الإرهاب أثر أحداث ١١/أيلول/٢٠٠١ في نيويورك وواشنطن حيث توافقت أكثر من أي وقت مضى الإدارة الأمريكية المحافظة بقيادة بوش مع القيادة الصهيونية المتطرفة بقيادة شارون على وصف الانتفاضة ومقاومة شعبنا المشروعة للاحتلال بالإرهاب وعلى شن حرب شاملة عليه ومن أجل كسر إرادته ومقاومته وحركته الوطنية وتدمير كيانه السياسي واجهاض تطلعاته للحرية والاستقلال والعودة.. ويترافق تصعيد الهجوم الإسرائيلي الفاشي على شعبنا مع التحضيرات الأمريكية المتسارعة لغزو العراق بحجة امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل. رغم مقدراته التقنية والبشرية منذ عام ٩١ وعدم عثور لجان التفتيش على شيء في الوقت الذي يجري فيه السكوت على إسرائيل التي كانت أول من أدخل أسلحة الدمار الشامل للمنطقة وتمتلك مئات الرؤوس النووية وتمنع المؤسسات الدولية من إخضاع مؤسساتها النووية للتفتيش الدولي.

إن هدف الأعداء لغزو العراق وتصعيد الهجوم على الشعب الفلسطيني وعلى القوى السياسية الحية في أمتنا هو إعادة رسم الخارطة السياسية والجيوسياسية للمنطقة عموماً، ووضع اليد على مخزونها النفطي من أواسط آسيا حتى الجزائر، وفرض الهيمنة الأمريكية الإسرائيلية والعسكرية الكاملة عليها لعقود قادمة، وتوظيف كل هذا من أجل تشديد هيمنتها على العالم.

لقد دلت تجارب التاريخ ونضال الشعوب للتحرر الوطني بما فيها نضال شعبنا أن الاستعمار والاحتلال ليس قدراً، وأن مآله الهزيمة والاندحار، وأن الشعوب المكافحة لابد أن تنتصر طال الزمن أم قصر، ولتحقيق هذا بأقل الخسائر الممكنة وعدم تكرار أخطاء الماضي وبخاصة باتفاقيات دلت التجربة عقمها وفشلها، وداستها دبابات الإسرائيليين على غرار اتفاقيات أوسلو أو المشروع الأمريكي المسمى بخارطة الطريق.. علينا التمسك بمشروعنا الوطني التحرري والعمل فلسطينياً وفق رؤية استراتيجية وخطة عمل سياسية وكفاحية واحدة في إطار قيادة وطنية موحدة.

الأخ الرئيس أبو عمار
رئيس المجلس الوطني الفلسطيني
الأخوة الأعزاء جميعاً..

منذ اجتماع مجلسنا المركزي في ٩و١٠/ ٢٠٠٠ حتى اليوم وقعت تطورات عاصفة كبرى وما يمكن تسميته زلزال سياسي على صعيد المنطقة والعالم، وتعرض شعبنا ولايزال لأبشع عملية عدوان فاشي على أبنائه ومقدراته، وقواه وكيانه السياسي، وكشفت هذه التطورات أكثر من أي وقت مضى الضرورة الموضوعية والحاجة

السياسية والذاتية لمراجعة سياسة جادة وشاملة لمجمل أوضاعنا وسياستنا، وبنانا ولأدواتنا ووسائلنا، ويكفي أن أذكر هنا عناوين هذه التطورات وهي:

أولا: فشل اتفاقات أوسلو والعملية السياسية القائمة على أساسها، ووصولها إلى الطريق المسدود الذي يتمثل باستمرار الاحتلال والاستيطان والعدوان وصولا لإعادة احتلال مناطق السلطة وفرض الحصار العسكري الإسرائيلي على قرى ومدن ومخيمات شعبنا بما في ذلك على السيد الرئيس ياسر عرفات.

ثانيا: اندلاع انتفاضة ومقاومة شعبنا الباسلة وما أحدثته وفرضته من تغيرات سياسية كبرى وصلت حتى اعتراف الإدارة الأمريكية رسميا بحق الشعب الفلسطيني بدولة لأول مرة في تاريخها، والمطلوب الآن تحويل هذا الوعد إلى واقع، لإعطائها هذه الدولة ومضمونها وفرض سيادتها على إقليمها الجغرافي، وهو كامل الأراضي المحتلة عام ٦٧ بما فيها القدس عاصمتها الأبدية.

ثالثا: أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في واشنطن ونيويورك وانعكاسها على منطقتنا وقضيتنا الوطنية وعلى الوضع السياسي والإقليمي برمته، وبما يسمى بالحرب على الإرهاب، فشعبنا يقع تحت الإرهاب المنظم للاحتلال الإسرائيلي وهو يدفع ضريبة عالمية لما يسمى الحرب على الإرهاب وبهذا يدفع ثمنا مزدوجا على الإرهاب وللحرب على الإرهاب في آن واحد.

لقد أقر مجلسنا المركزي في دورته السابقة سلسلة من القرارات الهامة السياسية والداخلية وكلفت اللجنة التنفيذية بوضعها موضع التنفيذ وشكلت اللجنة التنفيذية لهذه الغاية لجنة من أعضائها وبرئاسة رئيس المجلس الوطني، وقامت اللجنة المشكلة بتقديم ما ارتأت أنه ضروري وممكن، لكن للأسف الشديد أن اللجنة التنفيذية لم تضعه موضع التنفيذ، ومضى عامين ويضع شهور على هذا الوضع، إن الكثير من القضايا التي تحتاج إلى تصويب وتغيير في سياستنا وعمل مؤسساتنا وفي أوضاعنا الداخلية نوقشت أكثر من مرة، ووضعت لها مشاريع حلول، ولكن عدم وضع هذه الحلول موضع التطبيق يتركها تتعقد أكثر فأكثر، وللخروج من هذه الحلقة المفرغة بات مطلوبا الالتزام بما تقرره مؤسساتنا، ووضعه موضع التنفيذ وبهذا يكون للهيئة وزنا وهيبة ولاجتماعها ولقراراتها قيمة، فأوضاعنا لم تكن تسمح في السابق وهي الآن لا تسمح بالمرة عدم أخذ سياستنا وقراراتنا بجدية واحترام، فقد وصل الأمر بنا حالة من التآكل بات يشجع أعداءنا على محاولة فرض أجندتهم السياسية والأمنية علينا، ومحاولة فرض القيادات التي يعتقدون أنها مستعدة لتنفيذ هذه الأجندة على شعبنا، فمن غير المسموح به تبديد إنجازات وتضحيات شعبنا طوال العقود الطويلة الماضية أو المساس بوحدته الوطنية في مجابهة الاحتلال والعدوان، أو العودة بعقارب ساعة النصر المؤكدة إلى الوراء.

إننا نواجه أسئلة وتحديات كبرى في هذه المرحلة الانعطافية من تاريخ المنطقة، وتتحمل قيادة وقوى ومفكري الشعب الفلسطيني مسؤولية تجاوزها بشكل جماعي ومشترك ويأتي في مقدمتها:

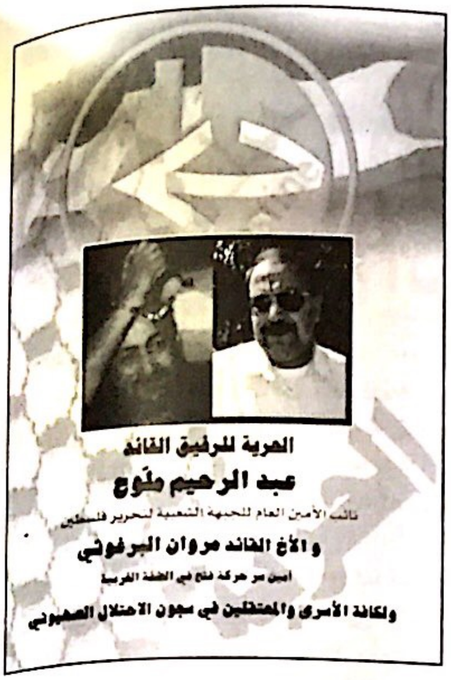
أولا: تشديد تمسكنا بمشروعنا الوطني التحرري وكفاحنا من أجله، فرغم كل التطورات السياسية بما فيها قيام السلطة الوطنية فلا زال جوهر نضالنا هو دحر الاحتلال ونيل الحرية والاستقلال.

ثانيا: إعادة الاعتبار لدور منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها ممثلنا الشرعي والوحيد وكياننا السياسي وحاضنة أهدافنا وتقرير المصير والدولة والعودة.

ثالثا: التأكيد مجددا أن شرعية وجودنا ووجود مؤسساتنا الوطنية فوق أرضنا بما فيها السلطة الوطنية تنبع من حق شعبنا الطبيعي بوطنه، وببناء مؤسساته الوطنية، وليس من هذا الاتفاق أو ذاك، ولسنا بحاجة إلى إذن من أحد لبناء أو تغيير المؤسسة التي نريد.

ومن رحم المعاناة في معتقلات الاحتلال الإسرائيلي الفاشي، ومن موقع الحرص الشديد على وحدة شعبنا وصموده أمام التحديات لهذه المرحلة الصعبة، أتوجه لكم ومن خلالكم لشعبنا الصامد ولقواه الوطنية والإسلامية ومفكرية، والذي أعتقد أنه يمثل أساسا صالحا بل ضروريا لعبور شعبنا هذه المرحلة نحو الحرية وتقرير المصير والدولة المستقلة والعودة:

أولا: الاتفاق على رؤية سياسية واستراتيجية لعمل سياسي جوهرهما التمسك بحق شعبنا بتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس. وصون وضمان حق العودة وفقا لما نص عليه القرار ١٩٤ وعدم تقديم أي تنازلات تمس هذه الأهداف الشرعية، واعتبار أن إزالة الاحتلال بكل أشكاله ووجوده العسكري والاستيطاني عن كامل الأراضي المحتلة عام ٦٧ هو محور نضالنا في هذه المرحلة من تاريخ شعبنا، وعدم الدخول بالمفاوضات على اتفاقات انتقالية أو جزئية على غرار ما تطرحه ما يسمى «بخارطة الطريق»



والذي يجب أن يطلق عليها النفق الجديد.. وتعزيز صمود شعبنا وتوحيد قواه وتياراته الفكرية والاجتماعية لتحقيق هذه الأهداف.

ثانيا: تجديد التأكيد على حق شعبنا في مقاومة الاحتلال بكل الوسائل باعتبارها حقا طبيعيا وشرعيا كفلته الشرعية الدولية، لقد حققت انتفاضة ومقاومة شعبنا الكثير وألحقت خسائر كبرى في الاحتلال، ففيها وعبرها سنتقدم نحو الانتصار المطلوب، وتوسيع دائرة المشاركة الشعبية في الانتفاضة والمقاومة، وبما يخدم برنامجنا السياسي وإنجاح التحرك السياسي نحو أهدافنا. وأن لا نسمح للاحتلال ولإرهاب الدولة الإسرائيلية المنظم أن يسلبنا صفة الضحية، ضحية الاحتلال وإرهابه، وأن تتولى القيادة الفلسطينية الموحدة تحديد الاستراتيجية والتكتيك الكفاحي في كل مرحلة، استنادا للبرنامج السياسي المشترك. وإلزام جميع القوى وأذرعها الكفاحية بهذا الأمر.

ثالثا: المباشرة في الإصلاح الديمقراطي للوضع الداخلي الفلسطيني، لأنه بات يشكل ضرورة وطنية وحاجة سياسية لا يمكن تأجيلها، والتصدي لكل أشكال الفساد السياسي والمالي والإداري، واعتبار أن الوطنية والكفاءة معيار للوظيفة العامة، وإعطاء اهتمام خاص لهموم ومشاكل الشعب الاقتصادية والاجتماعية والحياتية، وبخاصة لذوي الشهداء والجرحى والمعتقلين وإعادة بناء نظامنا السياسي، وفي المقدمة إعادة بناء مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية، ومؤسسات السلطة الوطنية الفلسطينية، وكافة مؤسساتنا الوطنية والمدنية على أسس ديمقراطية انتخابية «المجلس الوطني والمجلس التشريعي، المجالس البلدية

والقروية والاتحادات الشعبية..إلخ، لنضمن مشاركة الجميع في رسم القرار الوطني السياسي والمسؤولية عن تنفيذه، ووضع قانون انتخابات عصري يستند لروحية إعلان الاستقلال ولكفاحنا من أجل التحرر من الاحتلال، وبسط دولة فلسطين المستقلة والديمقراطية، ولحين توفر الظروف والإمكانية العملية لإجراء انتخابات حرة ديمقراطية.. يجري الاتفاق على تشكيل قيادة وطنية موحدة ومؤسسة لإدارة الشأن الوطني والسياسي العام بشكل موحد، وفي نطاق البرنامج السياسي الموحد.

رابعا: الدعوة بأسرع وقت ممكن لحوار وطني شامل تشارك فيه المؤسسات، والقوى الوطنية والإسلامية، والفعاليات الاجتماعية والفكرية والاقتصادية في الوطن والشتات، برعاية وبمشاركة السيد الرئيس ياسر عرفات، للاتفاق على الرؤية السياسية واستراتيجية العمل الموحد للمرحلة المقبلة، وعلى موضوعات الإصلاح الداخلي ومضمونها، وتشكيل القيادة الوطنية الموحدة المؤكدة، وتحديد صلاحياتها بما يعزز صمود شعبنا في مجابهة الاحتلال، وأمام التحديات السياسية والعسكرية الأخرى التي تجابهنا.

فالوقت من دم ودمار، ولا يسمح إلا بإعلاء شأن المصالح الوطنية العليا لشعبنا، والعمل معا من أجل صونها، واعتبار جولات الحوار التي تمت في غزة من قبل لجنة المتابعة، وفي القاهرة برعاية الأشقاء في مصر مقدمة وتمثيل للحوار الوطني الشامل.

خامسا: إيلاء الاهتمام بالمعتقلين في سجون الاحتلال الإسرائيلي، ومعالجة مشاكلهم السياسية والقانونية والاجتماعية، والعمل على كل الصعد الدولية والحقوقية للتعامل معهم باعتبارهم مقاتلين من أجل الحرية وأسرى حرب، وعدم تجزئتهم أو تجزئة قضاياهم كما حدث سابقا، إن الاحتلال الفاشي يزج بعشرات الآلاف من المناضلين من أجل الحرية في معتقلات عسكرية ومراكز تحقيق وحشية، يقدمهم لمحاكمة التفتيش العسكرية الإسرائيلية، ويقوم بأعماله هذه بخرق القانون الدولي، واتفاقية جنيف الرابعة وحقوق أسرى الحرب التي ضمنها القانون الدولي. وهذا يتطلب من المؤسسات الدولية وهيئات حقوق الإنسان تحمل مسؤولياتها الأخلاقية والإنسانية، وفضح سياسة وممارسة الاحتلال والعمل على وضع حد لها، وأنا أرى أن الأمر يتطلب تشكيل هيئة وطنية فلسطينية عليا لمتابعة قضايا أسرى الحرية والاستقلال من جميع جوانبها، وعلى الصعد المحلية والعربية والدولية تشارك فيها المؤسسات والهيئات الحقوقية والإنسانية، وفضح سياسة وممارسة الاحتلال والعمل على وضع حد لها، وأنا أرى أن الأمر يتطلب تشكيل هيئة وطنية فلسطينية عليا لمتابعة قضايا أسرى الحرية والاستقلال من جميع جوانبها، وعلى الصعد المحلية والعربية والدولية تشارك فيها المؤسسات والهيئات الحقوقية والإنسانية الفلسطينية المعنية بشؤون الأسرى والمعتقلين، وتشكيل هيئة سياسية إعلامية لتشكل عنوانا يتم التعامل معه من مختلف الهيئات المعنية بشأنهم.

سادسا: التحرك السياسي على الصعد العربية والإقليمية والدولية دفاعا عن حقوق شعبنا في الحرية والاستقلال، وبمقاومة الاحتلال، وبأن كفاحه خط مشروع وليس إرهابا، ولتحقيق أهداف محددة استنادا للرؤية والبرنامج السياسي الموحد. لقد كان العالم الدولي مؤثرا جدا في تقرير شؤون الصراع العربي الإسرائيلي وبخاصة الفلسطيني - الإسرائيلي، وهو اليوم أكثر تأثيرا من أي وقت مضى، وبالتالي علينا الاهتمام به وبوزنه لتعظيم إيجابياته وتقليل سلبياته، ولم يعد مقبولا بعد كل ما حدث التحرك دوليا بأشكال متوازية أو متصارعة أو متناقضة، بل وبشكل موحد أو متكامل، سواء أكان ذلك على المستوى السياسي أو الدبلوماسي..إلخ.

أن هذه الأسس أو غيرها مما يمكن إضافته أو تعديله في حواركم وفي الحوار الثنائي أو الثلاثي أو الشامل تشكل أساسا صالحا لأداء صمودنا وللنهوض بوضعنا في مجابهة الاحتلال والتحديات السياسية الأخرى.

الأخ الرئيس أبو عمار..
الأخوة الأعزاء

إن هناك ما يجب معالجته سياسيا وبقرار صريح وواضح من قبلكم ينهي الوضع الشاذ المتمثل باعتقال الرفيق الأمين العام وعضو المجلس المركزي أحمد سعدات ورفاقه وأخوته في سجن أريحا، فاعتقاله منذ البداية يشكل سابقة خطيرة وألحق ضررا فادحا بعلاقاتنا الوطنية وصورتنا أمام شعبنا، والصفقة التي أرسل بناء عليها إلى أريحا تحت حماية الأمن الأمريكي والبريطاني سابقة أخطر، ولم تحل مشكلة لأحد، كما اعتقد البعض في حينه، والآن نحن نعيش جرحا نازفا في جسدنا، فالحصار ما زال مفروضا على السيد الرئيس ياسر عرفات، وعلى جميع مدن وقرى ومخيمات شعبنا، ورفيقنا معتقل ومن معه في أريحا رغم قرار محكمة العدل العليا بالإفراج عنه وعن الأخ الشوبكي، وللخروج من هذه الدائرة المفرغة فإنني أدعو السيد الرئيس وأدعوكم إلى اتخاذ قرار واضح بتنفيذ قرار المحكمة بالإفراج عن سعدات ومن معه وإنهاء هذا الوضع الشاذ وترك الأمور الإدارية والأمنية الأخرى لمناقشتها معه، ومع الجهات المعنية. لقد سبق لشاعرنا الكبير محمود درويش أن قال: «ليس السلام سجنا أو معسكر اعتقال وليست السلطة نقابة وطنية لإدارة شؤون السجناء وليس الوطن مشهدا طبيعيا للزيارة العابرة..».

من خلف القضبان.. ومن سجون العدو الفاشي.. أجدد إصرارنا على التمسك براية مشروعنا الوطني التحرري وعلى الاستمرار الكفاحي، والجهاد من أجل حق شعبنا بتقرير مصيره وبناء دولته المستقلة وعاصمتها القدس، وضمان عودته لأرضه ووطنه.

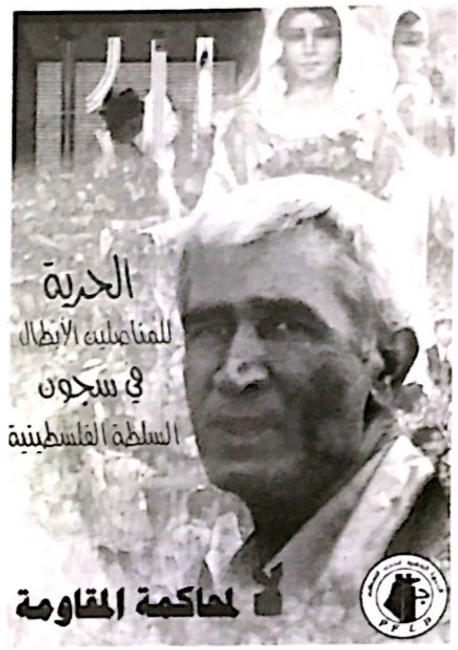
وأتوجه بالتحية إلى شعبنا الصامد في الوطن والشتات.. ولذوي الشهداء والأسرى ولكم جميعا.. ولقادة حركتنا الوطنية والإسلامية معاهدين الجميع على صون عهد الوطن والشعب والشهداء.

وأتوجه إلى أبناء أمتنا العربية وقواه الحية والشريفة وندعوهم إلى الوقوف موحدين إلى جانب شعبنا الفلسطيني ونضاله، وتقديم كل أشكال الدعم الضروري من أجل دحر الإحتلال ونيل حريته واستقلاله الوطني الناجز، وأتوجه بذات الوقت إلى قوى الحرية والتقدم والسلام في العالم، وإلى كل من يتطلع إلى الأمن والاستقرار لدعم شعبنا لتقرير مصيره في بناء دولته المستقلة فوق أرضه ووطنه وعاصمتها القدس، وضمان عودة أبنائه اللاجئين لديارهم وممتلكاتهم، وأدعو الإسرائيليين إلى تحديد موقف من احتلالهم وعدوانهم وحربهم التدميرية والعنصرية ضد شعبنا الفلسطيني وأقول لهم أنه لن يكون هناك أمن واستقرار على حساب حقوقنا وأمتنا.. مرة أخرى أتمنى لكم التوفيق بأعمالكم، وبما يصون وحدة شعبنا ويحقق أهدافه بتقرير المصير وبالدولة والعودة..

المجد للشهداء.. الحرية لأسرى الحرية النصر لشعبنا..

أخوكم
عبد الرحيم ملوح
عضو اللجنة التنفيذية
لمنظمة التحرير الفلسطينية
نائب الأمين العام
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
معتقل مجدو العسكري
أواخر ديسمبر

مهرجان تضامني
مع الرفيق القائد أحمد سعدات
في مخيم اليرموك بدمشق



بمناسبة مرور عام على اعتقال الرفيق القائد أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أقيم مهرجان تضامني في مخيم اليرموك بدمشق مساء يوم الخميس الموافق ٢٠٠٣/١/١٦ مع جميع الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني والسلطة الفلسطينية، بناء على دعوة من فصائل المقاومة الفلسطينية ولجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين.

وقد حضر المهرجان عدد من قادة وممثلي الفصائل الفلسطينية ومندوبي العديد من المنظمات الشعبية والمهنية والشبابية الفلسطينية، كما حضر المهرجان الرفيقان أبو أحمد فؤاد ومروان الفاهوم عضوي المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، والرفيق أبو صلاح مسؤول لجنة الرقابة المركزية، وعدد آخر من الرفاق في الهيئات القيادية للجبهة والعديد من كوادر وأعضاء الجبهة الشعبية وحشد غفير من أبناء المخيمات الفلسطينية.

وبعد الوقوف دقيقة صمت إجلالاً وإكباراً لأرواح الشهداء والاستماع للنشيدين العربيين السوري والفلسطيني، ألقيت في المهرجان العديد من الكلمات فيما يلي أهم ما جاء فيها:

كلمة لجنة الدفاع عن الأسرى والمعتقلين
ألقاها الرفيق عماد عوكل:

بدأ الرفيق عوكل كلمته بالقول: «اليوم تأتي الذكرى الأولى على اعتقال المناضل القائد أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وثلة من رفاقه المناضلين، وشعبنا العربي الفلسطيني يتعرض لأبشع حملة عسكرية صهيونية فاشية، لا تهدف لاقتلاع السكان وقتلهم بل البشر والحجر والشجر، حملة لا تبقي ولا تذر، وتترافق الحملة الشارونية الصهيونية مع حملة أمريكية عنصرية معادية لكل ما هو عربي ومسلم، هدفها السيطرة على المنطقة العربية.

كما تأتي هذه الذكرى مع أصوات المنتفضين في معتقل عوفر، وأنين الجرحى الذين تجاوز عددهم الأربعين، التي تشهد على مدى المعاناة القمعية الإجرامية القاسية واللاإنسانية التي يزداد العدو إمعاناً في تنفيذها ضد أسرى الحرية في كل المعتقلات الصهيونية».

وعن اعتقال الرفيق سعدات في سجون السلطة أضاف عوكل قائلاً: «إن الذي تم هو مؤامرة دنيئة تهدف إلى إشعال نار الشقاق والفتنة والاقتتال الفلسطيني الفلسطيني، فالدم الفلسطيني حرام إراقته إلا في مواجهة العدو الصهيوني، والاعتقال الفلسطيني-

الرفيق عماد عوكل



الرفيق عبد الله ذياب



الفلسطيني محرم أيضاً، فلا يعقل أن سلطة وطنية تعتقل مناضلاً ضد العدو، وان اعتقال سعدات ورفاقه هي سابقة خطيرة في حركة التحرر لم نشهد لها مثيلاً في أي ثورة».

كلمة المنظمات الشعبية والمهنية الفلسطينية
ألقاها الرفيق عبد الله ذياب

عن الانتفاضة قال الرفيق ذياب: «هاهي انتفاضة شعبنا مستمرة منذ أكثر من عامين ويعجز الصهاينة عن توفير الأمن لأنفسهم، وذلك بفعل استمرار المقاومة والانتفاضة». وعن محاولات إسرائيل وأمريكا وقف الانتفاضة أضاف قائلاً: «بالقتل والتدمير والاعتقال يظنون أنهم سوف يسكتون صوت الحق ويوقفون الانتفاضة، لقد بلغ عدد المعتقلين الفلسطينيين أكثر من (٧٥٠٠) معتقل في السجون الإسرائيلية.

وإننا باسم المنظمات الشعبية والمهنية الفلسطينية نعلن تضامننا مع الرفيق سعدات ونطالب السلطة الفلسطينية بإطلاق سراحه ليأخذ دوره في الكفاح ومقاومة العدو، كما نطالب بإطلاق سراح المعتقلين والأسرى في سجون العدو الصهيوني، ونطالب المجتمع الدولي والعالم كله بإدانة إسرائيل وهمجيتها بقتل الأبرياء من شعبنا الفلسطيني».

كلمة اتحاد الكتاب العرب
ألقاها الروائي حسن حميد

وكان الروائي حسن حميد قد ألقى كلمة بالنيابة عن الدكتور علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكتاب العرب، ومما جاء فيها:

«إن الأسرى والمعتقلين داخل السجون الإسرائيلية يعانون اليوم من أبشع مختبرات الوحشية والظلم والهمجية المتغطرسة، كما أننا نجد اليوم أن كل أسرة فلسطينية منكوبة بأحد أبنائها، وأن الطغيان الصهيوني طال الأمكنة والأزمنة والدروب والأشجار والأفكار أيضاً، وهذا أمر مخيف ولا إنساني، ولكن ومع كل يوم تنهض الشواهد الفلسطينية مؤكدة على استمرار المقاومة والمصابرة انطلاقا من إيمان عميق بأن النهايات الكبرى ستكون لأصحاب القناعات الكبرى». وطالب الرفيق حسن حميد في كلمته بالاهتمام الإعلامي بأحوال الأسرى والمعتقلين داخل السجون الإسرائيلية عبر القنوات الإعلامية العربية والإسلامية بكل أطيافها المرئية والمكتوبة والمسموعة، وكذلك للقناة العالمية من أجل فضح الجرائم التي يرتكبها العدو الصهيوني بحق الأسرى الفلسطينيين.

كلمة المقاومة الوطنية والإسلامية اللبنانية
ألقاها الأخ حسن حدرج
عضو المجلس السياسي لحزب الله

بدأ الأخ حسن حدرج كلمته قائلاً: «إن مساوئ هذا الزمان أن نتضامن مع الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أحمد سعدات، فالمشكلة ليست في السجين بل في السجان، إن استمرار اعتقال أحمد سعدات أمر غير مبرر على الإطلاق ومن متطلبات الوحدة الوطنية الفلسطينية اليوم، لا تقتضي أن يستمر اعتقال القادة السياسيين، ولا تقتضي أن توظف الانتخابات الإسرائيلية في الانتفاضة الفلسطينية. إن مقتضيات الوحدة الوطنية تقتضي البحث في موجبات المقاومة والانتفاضة التي تمكن الشعب الفلسطيني من أن يحصل على أمنه، خصوصاً أن شارون لا يزال مستمراً في سلوكه العدواني بشكل يومي على الشعب الفلسطيني، وبدعم مباشر من الإدارة الأميركية. على هذا الأساس نرفع الصوت عالياً للإفراج عن أحمد سعدات، وهو الشرط الأول لمقتضيات الوحدة الوطنية الفلسطينية»، وأضاف الأخ حدرج قائلاً: «يتحدثون اليوم عن إعطاء فرصة لليسار الصهيوني لتحقيق السلام، هذا المنطق منطق غريب لقد سبق أن جربنا باراك وبن أليعازر وبيريز وغيرهم من القادة الصهاينة، فهم جميعاً لا يختلفون عن شارون كثيراً في المسائل الأساسية للقضية الفلسطينية».

وعن المراهنة على المجتمع الدولي قال حدرج: «لا يجب أن نراهن على المجتمع الدولي الذي يقف صامتاً ومتفرجاً على ذبح الشعب الفلسطيني، ويجب أن نراهن على المقاومة التي هي الرهان الأساسي لاسترجاع الحقوق المغتصبة، فالمقاومة هي التي أدت إلى فشل الخيار الأمني الإسرائيلي وهي التي أدت إلى تدهور الاقتصاد الإسرائيلي».

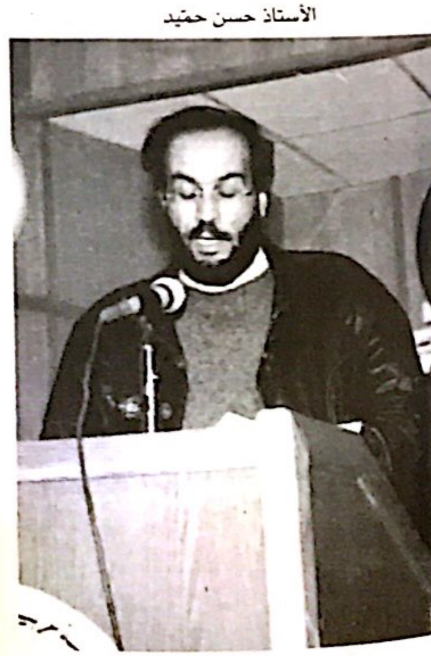
ثم تحدث الأخ حدرج عن التهديدات الأمريكية المستمرة للعراق بهدف السيطرة على المصالح العربية، كما تطرق للضغوط لتي تمارسها الإدارة الأمريكية على سوريا ولبنان بهدف كسب المزيد من التنازلات، وختم حديثه قائلاً: «لقد واجهنا الكثير من التحديات وتجاوزنا كل الصعوبات وصولاً إلى الانتصار ولم تهتز إرادتنا ونحن اليوم أكثر ثقة بالمستقبل».

كلمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
ألقاها الرفيق أبو أحمد فؤاد
عضو المكتب السياسي للجبهة

بدأ الرفيق أبو أحمد كلمته بتوجيه التحية والتقدير لكل الذين شاركوا في هذه المناسبة معبرين عن دعمهم وتضامنهم مع جميع الرفاق المعتقلين في سجون السلطة، وأضاف قائلاً: «أود أن أطلعكم على ما جرى، وكيف تصرفت الجبهة حياله: هل ما حصل خطأ..، هل كان فعلاً من أجل حماية الرفيق سعدات ورفاقه، هل ما حدث يعني الجبهة فقط..إلخ..

ما وقع ليس خطأ بل خطيئة وجريمة منذ البداية، وما وقع صفقة مذلة وسابقة خطيرة تهدد الوحدة الوطنية، ويعبر عن استهتار هذه السلطة بكل شيء، ولا يهمها إلا حماية رأسها وحماية مصالح فئة أو مجموعة على حساب

الأستاذ حسن حميد



الأخ حسن حدرج




الرفيق أبو أحمد فؤاد

مصالح الشعب والقضية. فكل مسيرة هذه السلطة السياسية والتنظيمية والمالية.. إلخ تدلل على ذلك.

لقد قال ممثلو السلطة وعلى رأسهم الرئيس عرفات وعبر وسائل الإعلام إننا اعتقلنا سعدات بناء على طلب أمني أمريكي إسرائيلي، ثم راحوا يشيعون في مجالات أخرى وبين الجماهير أن اعتقاله ورفاقه من أجل حمايتهم.. وجوابنا على ذلك: هذا تضليل وأكاذيب لا تنطلي على أحد، من الذي طلب منهم ذلك؟ ولماذا لم يتم حماية المناضلين الآخرين، ولماذا لم ينفذوا قرار المحكمة الفلسطينية العليا التي حكمت ببراءة الرفيق سعدات؟ ولماذا سلموه للأمريكان والبريطانيين، ثم أين القرار الفلسطيني المستقل الذي تتحدث عنه هذه القيادة دائماً؟ من هي القيادة التي اتخذت هذا القرار الخطير؟ إنه مجرد قرار فردي لعرفات، بل تنفيذاً لإملاءات إسرائيلية أمريكية، ظناً منه أنه بذلك يحافظ على نفسه ويرفع الحصار عن مقره..

كيف تصرفت الجبهة حيال ذلك؟ لقد غلبت الجبهة الوحدة الميدانية وعملت على مواجهة هذه الجريمة بالاحتكام إلى الجماهير والى كل الفصائل الوطنية.. لهذا.. فإننا نطالب كافة المؤسسات في «م.ت.ف» بالإفراج عن أحمد سعدات، وجميع من هم في سجن اريحا، كذلك نناشد كل الرفاق والمناضلين العرب الضغط على السلطة لمنع الاعتقال السياسي من حيث المبدأ والإفراج عن المعتقلين السياسيين في سجون السلطة».

ثم تحدث الرفيق أبو أحمد فؤاد عن الحوار الدائر بين الفصائل الفلسطينية سواء داخل الوطن المحتل أو خارجه أو مع المسؤولين المصريين فقال: «إن الجبهة الشعبية ترى أن الحوار بين القوى والأحزاب والشخصيات الفلسطينية داخل الوطن أو في الشتات أمر ضروري وهام ولا بد منه، ولكن كيف، وعلى أي أساس، ومن أجل ماذا؟»، ولخص موقف الجبهة من هذا الموضوع بالنقاط التالية:

١- الحوار الوطني يجب أن يكون شاملاً ولا يستثني أحداً.

٢- الحوار يجب أن يكون على أساس الثوابت الوطنية الفلسطينية.

٣- الحوار يجب أن يقوم على أساس المراجعة السياسية لما جرى منذ بداية التسعينات حتى يومنا هذا.

٤- يجب أن يستهدف الحوار إعادة بناء مؤسسات «م.ت.ف» على أسس ديمقراطية وعلى أساس ميثاقها وبرامجها الوطنية.

٥- أن يستهدف تصعيد وتطوير الانتفاضة والمقاومة».

ثم تطرق الرفيق أبو أحمد فؤاد إلى موضوع الإصلاح الفلسطيني ومؤتمر لندن وخارطة الطريق والدستور إلخ.. وقال أننا نفهم الإصلاح الفلسطيني الذي ينطلق من تحقيق المصالح والأهداف الوطنية لشعبنا الفلسطيني وليس بناء على رؤية أمريكية إسرائيلية معادية لمصالح شعبنا، فخارطة الطريق الأمريكية أول ما تهدف إليه وقف المقاومة والانتفاضة لتخرج الكيان الصهيوني من مأزقه الذي يعاني منه حالياً.

وعن التهديدات الأمريكية للعراق قال الرفيق أبو أحمد: «نتمنى الا تقع ولكن في حال وقوعها يجب أن لا نيأس، لأن الشعوب العربية قادرة على المواجهة ومثلما خرجت الأساطيل الأمريكية من سواحل لبنان في منتصف الثمانينات سوف تندحر القوات الأجنبية من منطقتنا العربية إن آجلاً أم عاجلاً، والحرب الأمريكية العدوانية ليست قدراً علينا».

وعن الضغوط التي تمارس على سوريا ختم الرفيق أبو أحمد فؤاد كلمته قائلاً: «إننا نثق بالمواقف السورية الوطنية الشجاعة التي تقف إلى جانب الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني في مقاومته للاحتلال الصهيوني الغاصب».


من اعتصام خميس فلسطين

جماهيرنا في سوريا تتضامن مع القائد أحمد سعدات

١- جرمانا:

بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٥ بدعوة من لجنة شباب الدفاع عن حق العودة في مخيم جرمانا، تم إقامة ندوة فكرية حول رؤية الأحزاب الإسرائيلية للقضية الفلسطينية تحدث فيها الأستاذ أحمد جابر سكرتير تحرير مجلة الهدف.

حيث تناولت الندوة رؤية الأحزاب الإسرائيلية اتجاه القضية الفلسطينية. واتفاقها جميعا على رفض حق العودة للاجئين الفلسطينيين، وتناولت التناقضات داخل هذه الأحزاب وكيفية الاستفادة منها لإدامة المقاومة وتوجيه الضربات ضمن معرفة علمية لنقاط ضعف العدو، وتم التأكيد على عدم المراهنة على هذه الأحزاب، لأنها جميعا تريد مصلحة وأمن إسرائيل أولا وأخيرا. بعد ذلك دار حوار بين المحاضر والحضور تناولت قضايا الندوة المطروحة.

٢- في ٢٠٠٣/١/١٥

وبذكرى مرور عام على اعتقال الرفيق أحمد سعدات الأمين العام ورفاقه في سجون السلطة الفلسطينية - وتحت عنوان التضامن مع الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية

والمعتقلين في سجون السلطة الفلسطينية

- أقيمت ندوة تضامنية تحدث فيها الرفيق المحرر السابق من سجون الاحتلال عبد الحميد الشطلي، تناولت السابقة الخطيرة التي ارتكبتها السلطة باعتقال أمين عام ثاني فصيل في م.ت.ف.، ورفاقه على أثر تصفيتهم لأحد رموز الإجرام الصهيوني (زئيفي).

وتناولت الندوة التجارب النضالية للحركة الأسيرة الفلسطينية من خلال المواجهات التي قام بها المعتقلون، وتناولت الدور النضالي للمحررين من السجون الإسرائيلية، ودورهم في الانتفاضة الحالية. وبعد ذلك دار حوار مع الحضور، تركز على إدانة الاعتقالات والتضامن مع الرفيق أحمد سعدات.

السبينه:

وبمناسبة مرور عام على اعتقال الرفيق القائد أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والرفاق أبطال عملية تصفية المجرم زئيفي أقامت منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ندوة سياسية تحدث فيها الرفيق أبو علي حسن عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يوم الأربعاء ٢٠٠٣/١/١٥ قدم للندوة الرفيق أبو مروان الشرقي مسؤول الجبهة في المخيم.

- بدأت الندوة بالوقوف دقيقة صمت على أرواح شهداء الانتفاضة والحرية.

- ثم قدم الرفيق أبو علي حسن عرضا تناول فيه العناوين التالية:

- اعتقال الرفيق الأمين العام ومخاطر هذه الخطوة اللاسابق لها.

- الحوارات الجارية في الساحة الفلسطينية التي جرت في غزة وآخرها في مصر، ورؤية الجبهة لمبدأ الحوار وما هو المطلوب من الحوار معرجا على المشاريع المطروحة وآخرها خارطة الطريق.

- تناول موضوع الانتخابات الإسرائيلية.

- استعراض موضوع العراق.

وفي ختام الندوة دار حوار بين الحضور والرفيق المحاضر.

هذا وقد حضر الندوة ممثلو الفصائل الفلسطينية في المخيم (الصاعقة، الديمقراطية، فتح الانتفاضة).

في خان الشيح:

أصدرت فصائل المقاومة الوطنية الفلسطينية بيانا تضامنيا مع الرفيق القائد أحمد سعدات دعت فيه إلى الإفراج الفوري عنه وعن رفاقه.

حمص:

بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٥ وتأكيدا على تحريم الاعتقال السياسي وإدانة لمحاكمة المقاومة والمقاومين، وفي الذكرى السنوية الأولى لاعتقال القائد الوطني أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، قامت فصائل الثورة الفلسطينية في مخيم حمص بمهرجان تضامني مع الرفيق أحمد سعدات وكل المعتقلين في سجون السلطة، وخلال المهرجان تم قراءة البيان السياسي الصادر عن المكتب السياسي للجبهة الشعبية، كما أصدرت فصائل الثورة في حمص بيان يدين الاعتقال ويحرمه، ويطالب بالإفراج الفوري عن كل المعتقلين، وفي مقدمتهم القائد الوطني أحمد سعدات كما قامت الفصائل بحملة تواقيع للتضامن والإفراج عن المعتقلين.

حماه:

بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٧، وبمناسبة مرور عام على اعتقال الرفيق الأمين العام ورفاقه في سجون السلطة الفلسطينية، أقيمت ندوة سياسية في مخيم حماه (مكتب الجبهة الديمقراطية) تحدث فيها الرفيق أبو محمد ماجد عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة الديمقراطية،



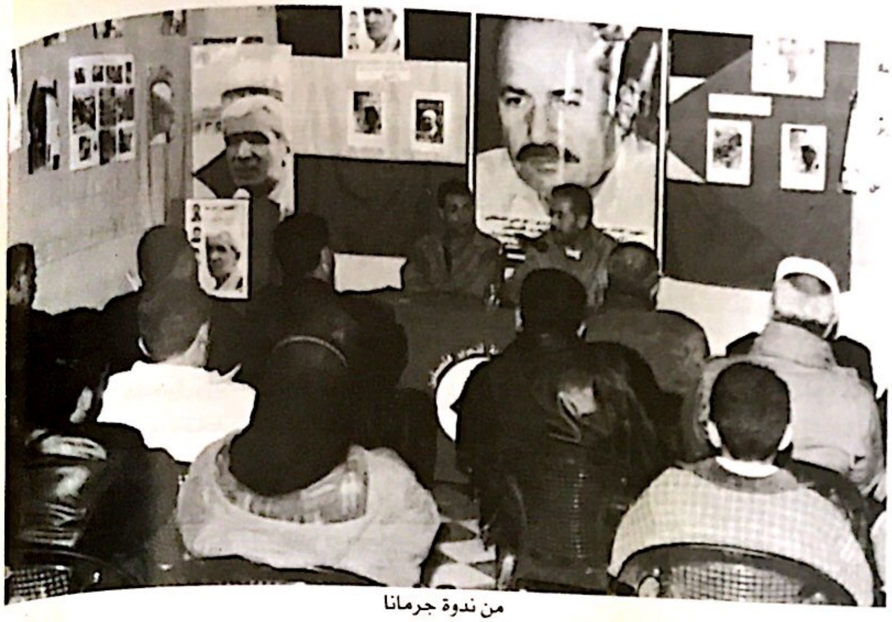
مهرجان حمص

والرفيق عمر عيد عضو قيادة فرع سوريا للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتلا المداخلتين حوار بين الجمهور والمحاضرين.

اللاذقية:

في مخيم اللاذقية وبمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لانطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، ومرور عام على اعتقال الرفيق الأمين العام أحمد سعدات والرفاق الأربعة ودعما للانتفاضة المجيدة، أقامت رابطة اللاذقية ندوة سياسية حوارية بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٧ بحضور ممثلي الفصائل الفلسطينية في اللاذقية والأحزاب الشيوعية السورية، والحزب السوري القومي الاجتماعي، بحضور حشد جماهيري كبير، وبدأت الندوة بتقديم من الرفيق داوود السمرة بعرض عن الانطلاقة والاعتقالات واستمرار الجبهة الشعبية في المقاومة.

وبعد ذلك قدم الرفيق رامي الكيالي عضو اللجنة المركزية العامة ندوة تكلم فيها عن الانطلاقة ومعانيها وكذلك عن الاعتقال واعتقال الرفيق الأمين العام للجبهة أحمد سعدات ورفاقه الأربعة في سجن أريحا وتحدث الرفيق عن حوارات القاهرة وطرح المصريين للجبهة الشعبية، ورد الجبهة الشعبية على المصريين، وكذلك تحدث الرفيق حول الخطر الأمريكي في إقدام الأمريكان على شن حرب ضد العراق للسيطرة على النفط وبعد ذلك دار نقاش مع الحضور.



من ندوة جرمانا

حلب:

بمناسبة مرور عام على اعتقال الرفيق أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في سجون السلطة الفلسطينية، وبرعاية أمريكية وبريطانية ورفاقه الأربعة منفذي حكم الشعب بحق المتطرف الصهيوني رحبعام زئيفي، وبدعوة من منطقة الشمال للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين أقيم مهرجان تضامني في مخيم النيرب - حلب، وذلك يوم الأربعاء ٢٠٠٣/١/١٥.

وقد بدأ المهرجان بالوقوف دقيقة صمت إجلالا وإكبارا لأرواح الشهداء الأبرار ثم رحب الرفيق (يوسف قدورة) عريف الحفل بالحضور شاكرا تضامنهم مع الرفيق سعدات والرفاق الأبطال المعتقلين في سجون السلطة الفلسطينية مستهجنا استمرار الاعتقال على تهمة مقاومة الاحتلال، حيث جاء الاعتقال على خلفية تصفية المجرم زئيفي، الذي جاء رداً طبيعياً على جريمة اغتيال القائد الرمز أبو علي مصطفى، الذي اعتبر تصعيداً إسرائيلياً غير مسبوق وتجاوزا خطيرا للخطوط الحمر.

ثم ألقى الرفيق (أبو عصام سويد) كلمة حزب البعث العربي الاشتراكي، مستهجناً استمرار اعتقال الرفيق سعدات ورفاقه الأبطال في سجون السلطة الفلسطينية، وخاصة في ظل هذه الظروف العصيبة التي تمر بها قضيتنا الوطنية ومنطقتنا العربية. مستغرباً دخول بعض الأنظمة العربية، في دور وسيط لإبقاء الانتفاضة البطلة المقاومة.

موجهاً التحية لسوريا الصمود في هذا الزمن العربي الرديء، منهياً كلمته بإعلان التضامن وبالصوت العالي مع الرفيق سعدات ورفاقه الأبطال مطالباً السلطة الفلسطينية بالإفراج الفوري عنهم.

ثم ألقى الرفيق عادل عزام ممثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة كلمة فصائل المقاومة الفلسطينية. مبتدئاً بتوجيه التحية للقائد المناضل أحمد سعدات ولرفاقه الأبطال منفذي حكم الشعب بحق المجرم زئيفي، والذين احتجزوا في سجون السلطة برعاية أمريكية بريطانية، لسبب وحيد وهو أنهم يريدون أن يطهروا أرضنا من المغتصبين الحاقدين. معدداً مناقب القائد سعدات الذي خبر هذا العدو من خلال تجربته النضالية الطويلة.

معتبراً استمرار اعتقاله جريمة كبيرة مهما قدم من مبررات، لأن مكان الأبطال والقادة بين الشعب ومع الجماهير ضد الاحتلال، ثم تحدث عن ما يجري الآن على الصعيد الفلسطيني من دعوات مشبوهة تدعو إلى وقف المقاومة والانتفاضة تحت ذرائع واهية، وعودة للمراهنة على الدور الأمريكي، ورغم ذلك شعبنا الفلسطيني يمضي بمقاومته وانتفاضته حتى تحقيق أهدافه الوطنية.

وقد تطرق الرفيق بعد ذلك إلى ما يحاك من مؤامرات لمنطقتنا العربية والتي بدأت

الرفيق عمر مراد يسلم مذكرة المعتصمين في الصليب الأحمر





ندوة حلب



الرفيق أبو هاني

بالتلميح بتوجيه ضربة عسكرية للعراق.

مختتما كلمته بتوجيه التحية للقائد سعدات ورفاقه الأبطال مطالبا بالإفراج الفوري عنهم، وكذلك بتوجيه التحية للأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي وعلى رأسهم الرفيق عبد الرحيم ملوح والأخ مروان البرغوثي.

ثم ألقى الرفيق أبو غسان ممثل الحزب الشيوعي السوري كلمة أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية. موجها التحية لكل الشعب الفلسطيني ولكل فصائل المقاومة ولكل من ينادي بتحرير فلسطين، معلنا التضامن الكامل باسم الأمين العام للحزب الشيوعي السوري وكل كوادره وأعضائه وأنصاره وكل الشيوعيين السوريين مع الرفيق القائد أحمد سعدات ورفاقه الأبطال.. والتضامن مع كل الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال.

قائلا: «إنه مؤلم أن يتم اعتقال الأبطال والمقاومين من قبل السلطة الفلسطينية. لذنب ارتكبوه هو اغتيال المجرم زئيفي، هذا الأمر الذي يعتبر مفخرة يعتز بها كل فلسطيني وكل عربي».

ثم ألقى الرفيق أبو هاني عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة كلمة الجبهة، بادئاً بتوجيه التحية لشعبنا الفلسطيني الذي وقف معها قبل عام عندما استشهد الرفيق القائد الرمز أبو علي مصطفى وهاهو شعبنا الفلسطيني، في هذا المخيم البطل يتضامن هذا اليوم مع القائد أحمد سعدات ورفاقه الأبطال المعتقلين في سجون السلطة الفلسطينية في محاولة لوسم المقاومة بالإرهاب.

هذا الاعتقال الذي جاء استجابة للضغوط الأمريكية الإسرائيلية وهذا العمل المدان يؤشر لطبيعة النظام السياسي القادم فلسطينيا، فهو نسخة عن الأنظمة العربية، وهو تشريع لغوانتانامو جديد.

فبدل من أن تحاسب الفاسدين والعملاء تلاحق وتعتقل المقاومين، مستغرباً استمرار اعتقال القائد سعدات بالرغم من صدور قرار من المحكمة العليا الفلسطينية بالإفراج عنه.

ثم تطرق للحديث عن آخر المستجدات السياسية في الساحة الفلسطينية والعربية. حيث يأتي الحوار الفلسطيني من أجل إعادة ترتيب البيت الفلسطيني وللحفاظ على مكاسب الشعب الفلسطيني وانتفاضته ومقاومته.

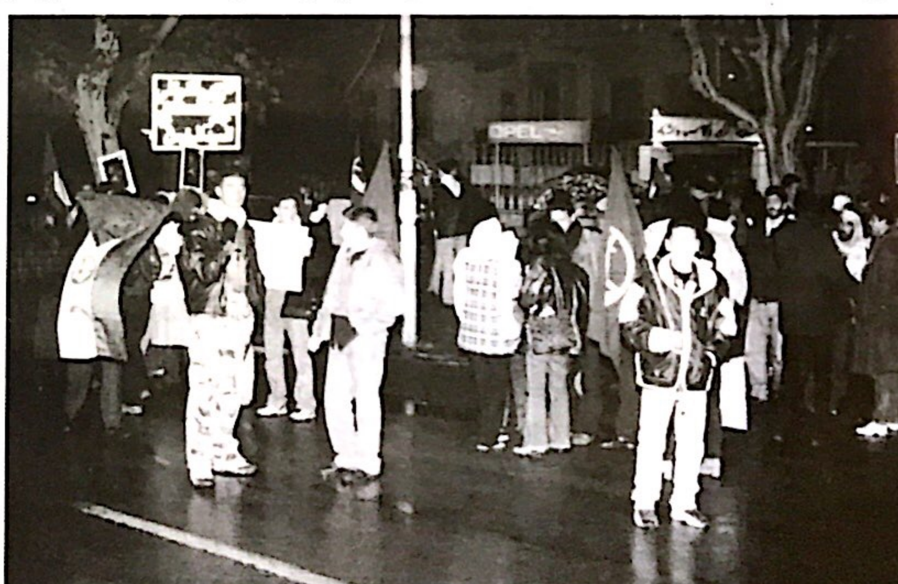
فكل المقاومة والفصائل على مفترق طرق، والحل هو الإمساك بمقود الانتفاضة ووصولها لتحقيق أهدافها في الحرية والاستقلال.

أما على الصعيد العربي فها هو المشروع الأمريكي ينطلق مستهدفا العالم بدءاً بالعراق مرورا بسورية وإيران ولبنان وكوريا وكل من يحاول أن يعصي الأمريكان.

وقد حضر المهرجان ممثلو الفصائل الفلسطينية وأحزاب الجبهة الوطنية التقدمية وحشد كبير من المدعوين.

وقد ازدانت شوارع مخيم النيرب بالملصقات والشعارات التي تعلن التضامن مع القائد أحمد سعدات والرفاق الأبطال المعتقلين في سجون السلطة الفلسطينية.

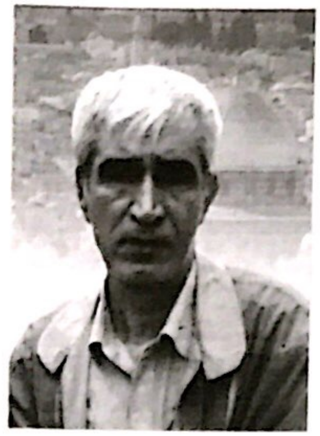
- بدعوة من رابطة النساء السوريات تمت المشاركة بالمسيرة التضامنية مع شعب العراق الشقيق ومع الانتفاضة الباسلة داخل الوطن المحتل، وقد انطلقت المسيرة من أمام القنصلية الروسية مرورا بمقر الاتحاد الأوروبي وانتهت المسيرة أمام المكتب التجاري والثقافي البريطاني، وقد ألقت مسؤولة رابطة النساء السوريات كلمة تضامنية مع الشعبين العراقي والفلسطيني، وقد شارك رفاقنا بالمسيرة مشاركة فاعلة ورددوا مجموعة من الهتافات تضامنا مع شعب العراق وفلسطين، وقد أنهى الرفيق عمر عيد المسيرة بكلمة أكد فيها على تضامن الشعب السوري ووقوفه إلى جانب الشعبين العراقي والفلسطيني.



من الاعتصام التضامني في دمشق

بعد مرور عام على اعتقاله

خلال مؤتمر وطني تضامني مع الأمين العام للجبهة الشعبية



كافة قوى الشعب الفلسطيني ومؤسساته تطالب بالإفراج الفوري عن سعدات ورفاقه

نظمت لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية في مدينة غزة يوم أمس مؤتمرا وطنيا للإفراج عن المناضل الوطني الكبير الرفيق أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وشارك في المؤتمر لفيف من أعضاء المجلسين الوطني والتشريعي وممثلي الفصائل والقوى والشخصيات الفلسطينية، بحضور حوالي ألف وخمسمائة من أعضاء وكوادر الجبهة الشعبية والقوى الوطنية الأخرى.

وطالب المشاركون في المؤتمر الذي عقد في مركز رشاد الشوا الثقافي بالإفراج الفوري عن الرفيق أحمد سعدات، وتنفيذ قرار محكمة العدل العليا الفلسطينية القاضي بإطلاق سراحه فورا.

وافتتح المؤتمر أعماله بعزف السلام الوطني الفلسطيني، ومن ثم وقف الحضور دقيقة صمت حدادا على أرواح الشهداء.

وأكد د. زكريا الأغا في كلمة عن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ألقاها خلال المؤتمر، على أن اعتقال الرفيق سعدات مخالف للأعراف الإنسانية ومبادئ القانون الدولي، مشددا على أن «النضال من أجل تأمين الإفراج عن الرفيق المناضل أحمد سعدات يجب أن لا يتوقف ويجب أن يستمر ويتصاعد».

من جانبه، استعرض النائب الأول لرئيس المجلس التشريعي إبراهيم أبو النجا في كلمة ألقاها باسم لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية، صمود الجبهة الشعبية في وجه العواصف القوية من اغتيال الرفيق القائد الرمز أبو علي مصطفى، واعتقال الرفيق الأمين العام أحمد سعدات، واعتقال نائب الأمين العام عبد الرحيم ملوح، والعديد من قيادات وكوادر وأعضاء الجبهة.

فيما أكد نقيب المحامين الفلسطينيين عبد الرحمن أبو النصر أن قرار محكمة العدل العليا الفلسطينية جسد إرادة الشعب ويجب أن يتحمل الجميع مسؤولياته في تنفيذ قرار المحكمة، داعيا كافة القوى المناضلة والحرة للعمل للإفراج عن الرفيق أحمد سعدات وجميع الأسرى الفلسطينيين.

وفي الإطار نفسه، شددت الرفيقة أم غسان زوجة الأمين العام في كلمة لها ألقتها نيابة عنها الرفيقة أم أحمد الجرو بسبب الإجراءات الاحتلالية التي حالت دون وصول الرفيقة أم غسان من رام الله للمشاركة في المؤتمر على وصول الأمين العام سعدات إلى قناعة مفادها أن «اعتقاله ومحاكمة رفاقه الأربعة، وتفويض الأمريكان والإنجليز الإشراف والمراقبة، لا يشكل سابقة خطيرة ومسيئة وحسب، بل ومؤشرا قويا لرضوخ يمكن أن يطال ليس الأفراد وحسب، بل والقضايا المصيرية لشعبنا».

وفي كلمة للمركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، استعرض راجي الصوراني مدير المركز الأحاديث المتكررة حول الإصلاح والديمقراطية واحترام الإنسان، مشيرا إلى أن قضية اعتقال الرفيق أحمد سعدات «نموذج واضح، وحالة اختبار معلنة».

وأكد أنه ليس أمامنا إلا طريقين «إما إصلاح حقيقي يتواءم والمفهوم الفلسطيني للإصلاح، والذي يتمحور حول إعادة بناء مؤسسات السلطة بما يضمن ترسيخ مبادئ المحاسبة وسيادة القانون واستقلال القضاء واحترام قراراته، وإما إصلاح مزيف يتواءم والمفهوم الأمريكي الإسرائيلي الذي يتمحور حول إعادة بناء مؤسسات السلطة بما يخدم مصالح إسرائيل الأمنية».

وتساءل الصوراني قائلا: «كيف لهم أن يتحدثوا عن سيادة القانون، وزعيم ثاني أكبر فصيل في منظمة التحرير الفلسطينية موقوف بصورة غير قانونية؟!!».

وفي كلمة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ألقاها الرفيق يونس الجرو عضو اللجنة المركزية للجبهة، أكد فيها أن «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اغتالت زئيفي أحد أبرز القيادات اليمينية الصهيونية ورمز العنصرية والتطرف، وصاحب نظرية الترانسفير، والذي كان عضوا في اللجنة الوزارية المصغرة للحكومة الإسرائيلية التي اتخذت قرارا باغتيال القائد أبي علي مصطفى»، متسائلا: «أفلا يحق للشعب الفلسطيني أن يعاقب هذه الحكومة الإسرائيلية على جريمتها؟!! أليس صحيحا أن عملية تصفية المجرم زئيفي مثلت أهم رسائل الردع للحكومة الإسرائيلية، ليس فقط انتقاما لدماء القائد الرفيق أبي علي مصطفى، بل أيضا حماية لكل قياداتنا؟!! ألم تكن هذه العملية البطولية رسالة واضحة لعدونا الصهيوني المجرم بأننا لا يمكن أن نسلم بالمعادلة العنصرية الفاشية التي يعمل على فرضها، والتي تعطي حصانة خاصة وأسبقية للدم اليهودي على شعبنا وكل شعوب الدنيا؟! أليس صحيحا أن الاحتلال لا يمكن ردعه إلا بالقوة؟!!».

يذكر أن العديد من برقيات ورسائل التضامن مع الرفيق أحمد سعدات وصلت من مؤسسات وأطر وأحزاب فلسطينية طالبت فيها بالإفراج الفوري عن الأمين العام.

وفي نهاية المؤتمر، طالب المشاركون في المؤتمر بالإفراج الفوري عن الرفيق المناضل أحمد سعدات انطلاقا من الحرص على توفير كل المناخات والأسس والمقومات لبناء وتعميق الوحدة الوطنية، في رسالة صدرت عن المؤتمر ووجهت للرئيس عرفات، إضافة إلى رسالة أخرى وجهت للأمين العام للأمم المتحدة كوفي أنان تدعوه للتدخل في إطلاق سراح الرفيق المناضل أحمد سعدات فورا وبدون شروط، بمناسبة مرور عام على اعتقاله غير القانوني.

وخرج المؤتمر كذلك ببيان ختامي، أكد فيه على رفض اعتقال الرفيق الأمين العام واستمرار اعتقاله، مضيفا أن اعتقال الرفيق أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعضو المجلسين الوطني والمركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية، يعتبر أمرا مناقضا لمعايير العلاقات الوطنية ويلحق الأذى المعنوي والسياسي بالشعب الفلسطيني وحقه المشروع في مقاومة الاحتلال.

تصريح صحفي

إثر قيام سلطات الاحتلال الصهيوني باعتقال المناضلة عبلة سعدات زوجة الأمين العام للجبهة الرفيق القائد أحمد سعدات المعتقل في سجن أريحا، أثناء توجهها إلى الأردن في طريقها إلى البرازيل للمشاركة في مؤتمر تضامني، صرح مصدر مسؤول في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بما يلي:

أن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تحمل سلطات الاحتلال المسؤولية الكاملة عن نتائج هذا الاعتقال وتحذر من مغبة المساس بها أو إلحاق أي أذى بالرفيقة.

وتطالب بإطلاق سراحها فوراً وتناشد مؤسسات حقوق الإنسان وكل الجهات المعنية بالتدخل الفوري للإفراج عن الرفيقة سعدات.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
المكتب الصحفي
٢٠٠٣/١/٢٣

انعقاد المؤتمر الشعبي لمقاطعة إسرائيل في دمشق

انعقد بفندق الميريديان في مدينة دمشق في الفترة من ٢٥-٢٠٠٣/١/٢٧، المؤتمر الشعبي العربي للمقاطعة الذي تنظمه الأمانة العامة للمؤتمر العام للأحزاب العربية تحت شعار: «نحو استراتيجية شعبية للمقاطعة العربية»، وحضر افتتاح المؤتمر السادة الدكتور اسحق فرحان رئيس المؤتمر العام للأحزاب العربية، وعبد العزيز السيد الأمين العام لمؤتمر الأحزاب العربية، والسيد صفوان قدسي عضو الأمانة العامة للمؤتمر، وأمناء ورؤساء قيادات المؤتمر العام للأحزاب العربية الذين يمثلون ٨٣ حزباً في الوطن العربي، كما حضر جلسة الافتتاح عدد من الشخصيات السياسية والفكرية والاجتماعية والثقافية في الوطن العربي، وقد شاركت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أعمال المؤتمر، بوفد برئاسة الرفيق مروان الفاهوم عضو المكتب السياسي للجبهة، وحضر المؤتمر رؤساء المنظمات الشعبية والنقابية في الوطن العربي واللجان الشعبية العربية لدعم الانتفاضة ومقاومة المشروع الصهيوني.

هذا وقد ألقيت في جلسة الافتتاح عدد من الكلمات، أكدت جميعها على أهمية انعقاد هذا المؤتمر، في الوقت الذي يتعرض فيه العراق الشقيق للتهديدات العسكرية الأمريكية بشن حرب عدوانية عليه بذريعة نزع أسلحة الدمار الشامل، والتي إن وقعت سوف تهدد الأمن القومي للأمة العربية جمعاء، كما تطرقت الكلمات إلى العدوان الإسرائيلي الهمجي على الشعب الفلسطيني بهدف القضاء على الانتفاضة والمقاومة، وأكد جميع المتحدثين على دعم العراق وفلسطين، كما أكدوا على أهمية انعقاد المؤتمر في العاصمة السورية رمز الصمود وقلب العروبة النابض.

هذا وقد صدر عن المؤتمر بياناً سياسياً، وتصريحاً صحفياً باسم الأمانة العامة للأحزاب العربية، أكدوا فيه دعمهم ومساندتهم للعراق، وحيوا فيه سوريا الصامدة شعباً وحكومة وأحزاباً وطنية بقيادة الرئيس بشار الأسد، وصدر عن المؤتمر بيان ختامي تناول كافة المحاور السياسية والثقافية والإعلامية والاقتصادية، وأهم ما جاء في البيان: رفض المؤتمر وإدانته ومقاومته للتهديدات العدوانية الأمريكية ضد العراق وشعبه الصامد، واعتبارها تشكل خطراً وتهديداً للأمن القومي العربي، كما أكد المؤتمر على دعم صمود الشعب العربي الفلسطيني وانتفاضته ومقاومته للعدو الصهيوني حتى دحر الاحتلال، وطالب المؤتمر بتفعيل دور مكتب المقاطعة العربية، وإحياء مكاتب المقاطعة في جميع الأقطار العربية، كما طالب المؤتمر بحشد كل الطاقات الفكرية والثقافية في الأمة العربية باتجاه تعميق ثقافة المقاطعة، وطالب وسائل الإعلام الخاصة بالأحزاب والهيئات المشاركة في أعمال المؤتمر بتوظيف كل جهودها في خدمة المقاطعة ومقاومة التطبيع، بالتواصل مع المؤسسات الإعلامية الأخرى.

بيـــــان



الرفيقة عبلة سعدات

إلى الرأي العام وإلى كافة المؤسسات الحقوقية والنسوية وكافة مؤسسات المجتمع المدني

لقد قامت قوات الاحتلال أول أمس باعتقال الناشطة عبلة سعدات زوجة الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين المناضل أحمد سعدات، تحت ذرائع واهية بهدف حرمانها من المشاركة في المنتدى الاجتماعي العالمي في البرازيل أثناء وجودها على الجسر للسفر.

لقد تم اعتقال سعدات تاركة وراءها أطفال في البيت بدون رعاية أم أو أب وهذا انتهاك لمواثيق حقوق الإنسان التي تضمن حماية الطفل وحرية التنقل. وأيضاً تعدي على حقوقها كمعتقلة حيث أن القانون يلزم بعرض أي معتقل على النيابة أو إطلاق سراحه بعد ٢٤ ساعة، علماً أن عبلة سعدات تحمل هوية القدس، وقد أنكرت كافة المعابر والسجون وجودها لأكثر من ٣٦ ساعة، حيث علمنا أمس فقط أنها موجودة في مركز تحقيق بيت إيل.

يذكر أن الناشطة عبلة سعدات اعتقلت سابقاً عام ١٩٨٣. ومما يجدر ذكره أن الاعتقال الأخير يأتي ضمن حملة جارية الآن ضد ناشطات وزوجات معتقلين، مثل اعتقال الناشطة مها نصار رئيسة اتحاد لجان المرأة الفلسطينية في المطار أثناء عودتها من مؤتمر دولي، وكذلك اعتقال مدللة عابد زوجة المعتقل فلاح ندى، واعتقال ثلاث طالبات من مساكن الطلبة في جامعة القدس - أبوديس يوم أمس.

إننا نطالب بإطلاق سراح عبلة سعدات وكافة المعتقلات فوراً، كما وندعو الحركة النسوية الفلسطينية ممثلة باتحادها العام، وكافة أطرها ومراكزها ومؤسساتها للمشاركة في المسيرة الجماهيرية يوم الأربعاء ٢٠٠٣/١/٢٩ الساعة الثانية بعد الظهر تضامناً مع جميع المعتقلات الفلسطينيات.

سيكون التجمع في ميدان المنارة في رام الله.

اتحاد لجان المرأة الفلسطينية
٢٠٠٣/١/٢٣

سلسلة مناشطات تقيمها الجبهة
احتجاجاً على استمرار اعتقال أمينها العام
الرفيق أحمد سعدات

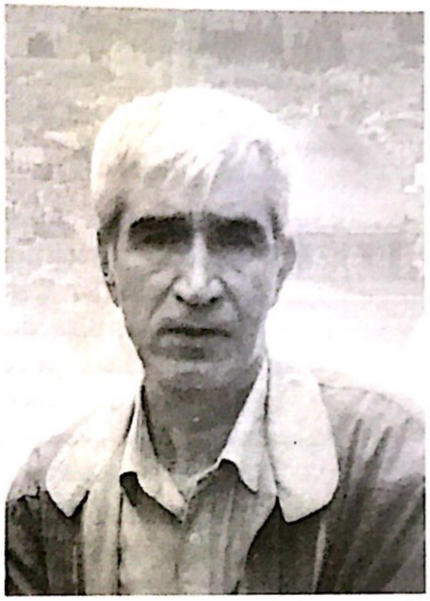
برغم كل المطالبات الوطنية الفلسطينية والعربية، لأجل إطلاق سراح الرفيق أحمد سعدات من سجنه غير القانوني، والذي شكل ضربة للعمل الوطني الموحد، وبرغم قرار المحكمة العليا الفلسطينية بالإفراج الفوري عنه، إلا أن القائد الوطني بقي أسير ارتهان السلطة الفلسطينية للاتفاقات والاشتراطات الإسرائيلية والأمريكية، حيث لا تملك السلطة قرار إطلاق سراحه، كما أفاد بذلك أمين عام مجلس الوزراء لتلفزيون القدس التربوي عشية مرور عام على اعتقاله. فقد أوضح أحمد عبد الرحمن بدون لبس، أن السلطة لا تستطيع الإفراج عن أحمد سعدات، لأن قرارا كذلك ليس بيدها وحدها إنما هو مرتبط باتفاقات مع الأمريكان والإسرائيليين.

من جهتها أيضاً، تطالب منظمة العفو الدولية بالإفراج عن أحمد سعدات، وتوفير الحماية له بعد إطلاق سراحه، إذا كان المبرر لعدم إطلاق سراحه هو الخوف على حياته من الإسرائيليين.

أما القوى الوطنية والإسلامية، فلا زالت تراوح في ذلك في إطار المطالبة بإطلاق سراح القائد الوطني، فيما لا يلمس الجمهور ضغطا فعليا من هذه القوى بهذا الاتجاه. حيث تكتفي هذه القوى بالمطالبة العامة، أو الاشتراك في المناشطات المتعلقة بهذا الأمر.

أما المؤسسات الأهلية والحقوقية الوطنية، ورغم متابعتها للقضية، إلا أن تأثيرها على القرار السلطوي بهذا الاتجاه ضعيف، وهو ناجم عن عدم احترام السلطة لهذه الهيئات الأهلية، وعدم تأثرها بالضغط الذي تمارسه.

وبمناسبة مرور عام على استمرار احتجاز الرفيق أحمد سعدات، جرت في الضفة والقطاع عدة مناشطات. تطالب بإطلاق سراحه ورفاقه الآخرين بما فيهم الأخ فؤاد الشوبكي. كما نددت بالاعتقال السياسي كأسلوب في إدارة الحكم في ظل احتلال همجي للأراضي الفلسطينية، وبينت أن استمرار هذه الظاهرة يشكل إضعافاً للمقاومة والانتفاضة، كما يشكل شرخاً في الوحدة الوطنية.



وقد أصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين نشرة خاصة بذلك، كما أصدرت بياناً رسمياً طالب بالإفراج الفوري عن الرفيق أحمد سعدات ورفاقه المعتقلين في سجن ريحا، وطي ملف الاعتقال السياسي، واحترام القرار القضائي الصادر عن المحكمة العليا الفلسطينية. ودعا البيان إلى اعتماد يوم الخامس عشر من كانون الثاني من كل عام يوما لمناهضة الاعتقال السياسي، فيما ناشد القوى الوطنية والإسلامية والأحزاب الوطنية والديمقراطية العربية ومؤسسات حقوق الإنسان الضغط الفعلي لأجل الإفراج عن سعدات ورفاقه.

ووجه الأمين العام نفسه بيانا إلى الشعب الفلسطيني، وصف فيه اعتقاله واستمرار هذا الاعتقال كصدع لأسس العلاقات الفلسطينية، كما بين الرفيق الأمين العام ظروف الاعتقال التي يعيشونها، هذه الظروف التي تحول دون قدرة السلطة على حماية المعتقلين، حيث أن المراقبين الأمريكان والإنجليز يقدمون تقاريرهم للإسرائيليين، فيما هم يقررون كل الإجراءات التي يجب تطبيقها عند الزيارة أو الرقابة والتنصت على الهواتف. وأوضح الأمين العام أن كل ادعاءات السلطة بأن الاعتقال هو حماية لا يشكل سوى محاولة للتهرب من استحقاق يمس بهيبته. وحذر الأمين العام من مخاطر خارطة الطريق، باعتبارها استكمالا لسياسة الصفقات التي بدأت بصفقة المقاطعة ثم صفقة المهد.

أصدرت الجبهة ملصقاً صغيراً يدعو لرفع الصوت عالياً ضد استمرار احتجاز الرفيق الأمين العام ورفاقه، وقد وزع الملصق في مواقع كثيرة من الضفة الغربية.

وقد قامت بعض محطات التلفزة المحلية الخاصة في الوطن ندوات بهذه المناسبة استضافت فيها سياسيين وقانونيين، وأثارت القضية بشكل ناجح. حيث أظهرت الاتصالات الهاتفية المتعددة إلى هذه البرامج مدى عمق التعاطف مع قضية هذا القائد الوطني.

ففي قطاع غزة عقد مؤتمر وطني نظمته لجنة المتابعة العليا للقوى الوطنية والإسلامية بالإفراج الفوري عن القائد الوطني أحمد سعدات، وشارك في المؤتمر العديد من الشخصيات الوطنية البارزة والقادة السياسيين، ومحامين وحقوقيين، واتهم زكريا الآغا، عضو اللجنة التنفيذية الصهاينة بإعاقة الإفراج عن سعدات بإعلانها أنها ستمنع ذلك بالقوة، وشدد أبو النجا نائب رئيس المجلس التشريعي على ضرورة تحدي أمريكا وبريطانيا والإفراج الفوري عن سعدات التزاماً بالقرار القضائي الفلسطيني.

وقال يونس الجرو عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية، إن عملية استمرار الاعتقال هي جرح نازف، ويحتم بذل كل الجهد لعلاجه حتى يتوقف وحتى نحمي تماسك مجتمعنا. وأكد نقيب المحامين عبد الرحمن أبو النصر إن استمرار الاعتقال يشكل خرقاً واضحاً لأبسط

الأسس والمبادئ القانونية وقواعد حقوق الإنسان، ويمثل خضوعا للابتزاز السياسي الإسرائيلي، داعيا كافة القوى الدولية إلى تحمل المسؤولية عن استمرار هذا الاعتقال.

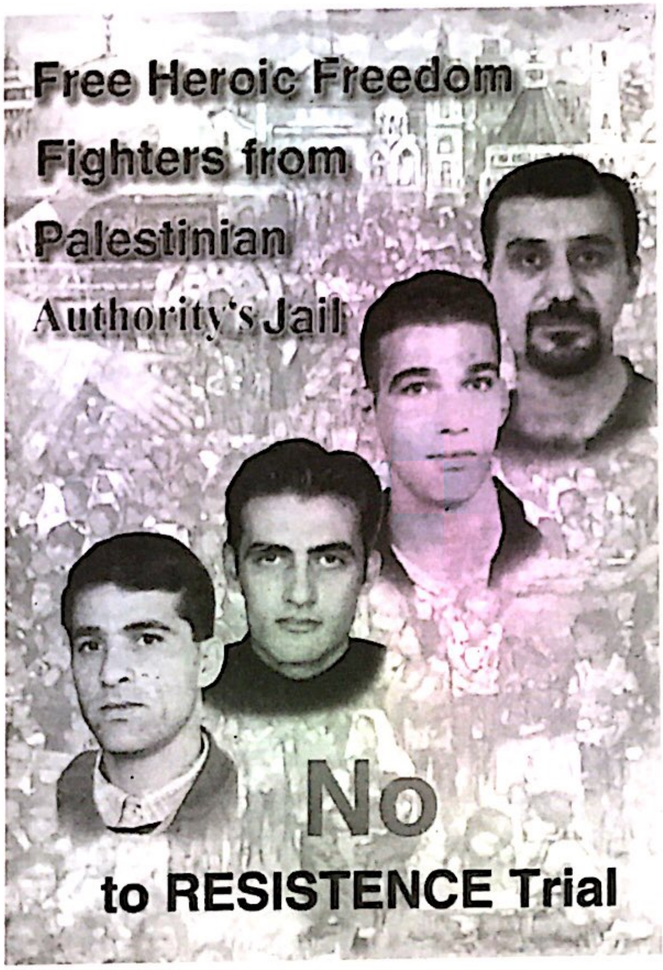
وأصدر المؤتمر بيانا عكس الإرادة الشعبية والسياسية لمطالبة الرئيس ياسر عرفات لاتخاذ قرار بالإفراج الفوري عنه، ووضع حد لهذا الوضع الشاذ ولممارسة القهر والوصاية الأمريكية البريطانية على السجن الذي يقيم فيه مع إخوانه.

وأعلن رفض اعتقال القائد الوطني أحمد سعدات ومواصلة اعتقاله ثم الاستجابة للضغط الإسرائيلي بوضعه في سجن أريحا تحت حراسة المخابرات الأمريكية البريطانية. إنه يرى في استمرار احتجازه خرقا فاضحا للقانون الفلسطيني واستقلالية القضاء بعد أن أصدرت محكمة العدل العليا الفلسطينية قرارها بالإفراج الفوري عنه، وهو تدخل سافر في الشؤون الداخلية الفلسطينية واعتداء على سيادة القانون واستقلال القضاء الفلسطيني وعرقلة تنفيذ الأحكام الصادرة عنه وهو ما يكشف زيف الدعوات الخارجية وخاصة الأمريكية الإسرائيلية للإصلاح واستقلالية القضاء علاوة على أن استمرار اعتقال القائد الوطني أحمد سعدات يشكل تعديا على الإرادة المستقلة للشعب الفلسطيني وحقوقه وقيادته السياسية، وسلوكا يمس بالوحدة الوطنية في وقت نحن بأمس الحاجة لتعميقها.

وأضاف أن اعتقال الرفيق أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وعضو المجلسين الوطني والمركزي لمنظمة التحرير الفلسطينية يعتبر أمرا مناقضا لمعايير العلاقات الوطنية ويلحق الأذى المعنوي والسياسي بالشعب الفلسطيني وحقه المشروع في مقاومة الاحتلال. وأعلن أنه سيواصل العمل بقوة من أجل هذا الهدف وتأمين حمايته وعودته لأسرته ورفاقه وممارسة دوره النضالي. ويؤكد المؤتمر أن الإفراج عن المناضل سعدات مقدمة أساسية لاحترام سيادة القانون واستقلال القضاء الفلسطيني واحترام قراراته. وأعلن المؤتمر تشكيل لجنة وطنية لمتابعة هذه القضية.

وطالبت عبلة الريماوي، زوجة الرفيق الأمين العام، في كلمة ألقيت بالإنابة عنها، كافة القوى السياسية، والهيئات الحقوقية والإنسانية للضغط من اجل الإفراج الفوري عن زوجها.

وفي رام الله، وزعت على الجدران ملصقات حملت صورة الرفيق أحمد سعدات، وصور الرفاق الأربعة. كما وزع ملصق صغير شعار «لنرفع صوتنا عاليا ضد استمرار اعتقال الرفيق أحمد سعدات». وجرت مسيرة يوم ١/١٦ طافت شوارع رام الله ثم ألقيت كلمات القوى الوطنية وكلمة الجبهة الشعبية في ختامها، والتي أكدت إضافة إلى مطلب إطلاق سراح الرفيق أحمد سعدات، على ضرورة استمرار المقاومة والانتفاضة وبناء قيادة وطنية موحدة تدير أوضاع المجتمع الفلسطيني والسياسة الفلسطينية تكون جماعية وممثلة لكافة التلاوين السياسية الفلسطينية.



أما في نابلس، فقد غطت الشعارات جدران المدينة وريفها، كما غطت صور الأمين العام هذه الجدران، وعلقت يافطات عديدة على مفارق الطرق، ومراكز التجمع.

وخرجت مسيرة كبيرة من مقر اتحاد الجمعيات الخيرية، شارك فيها ممثلون عن الفصائل الوطنية، وبعض القضاة والمحامين، وطالب ممثل القوى الوطنية والإسلامية في كلمته التي ألقاها في نهاية المسيرة بضرورة إغلاق ملف الاعتقال السياسي، كما تكلم ممثل عن اللاجئين الفلسطينيين والذي بعد أن أكد على حق العودة، وعلى التصدي لكل من يحاول فتح مداخل للتملص من هذا الالتزام الوطني، أكد على أنه «لأكبر خزي أن تعتقل السلطة أمين عام ثاني فصيل في منظمة التحرير الفلسطينية». أما ممثل الجبهة الشعبية، فقد فند كل الإشاعات، والتبريرات التي تطلقها السلطة، لتبرير استمرار احتجاز الرفيق أحمد سعدات. وجرت بعض المناشطات في قرى بيت فوريك، ومخيم العين، حيث دوهمت مسيرة بيت فوريك من قبل الاحتلال، وجرت مصادمات مع الجيش الاحتلالي جرح على أثرها بعض المشاركين.

وفي طولكرم، أصدرت منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بيانا يستنكر استمرار احتجاز الرفيق أحمد سعدات، وقال البيان أن استمرار الاعتقال يمس مصداقية السلطة وتشدقها باستقلال القضاء أو حرصها على الوحدة الوطنية. كما قامت المنظمة بعرض مذكرة تحمل توقيعات عدة شملت ممثلي الفصائل الوطنية والإسلامية، إضافة إلى أعضاء مجلس تشريعي، وممثلي نقابات وجمعيات محلية تطالب بالإفراج عن الرفيق أحمد سعدات.

وفي مخيم طولكرم جرت مسيرة حاشدة تقدمتها مجموعة من الأشبال يحملون المشاعل وختمت بكلمات للقوى الوطنية.

كما نظم مكتب المجلس التشريعي في المحافظة ندوة صدر عنها مذكرة للرئيس عرفات تطالبه بالإفراج الفوري عن القائد الوطني أحمد سعدات، وإغلاق ملف الاعتقال السياسي.

وفي قلقيلية، عقدت الجبهة الشعبية مؤتمرا وطنيا دعت إليه شخصيات المحافظة والقوى الوطنية والإسلامية، حيث أكد الجميع على ضرورة إنهاء ملف الاعتقال السياسي والإفراج عن الرفيق الأمين العام، فيما اعتبروا استمرار اعتقاله ضربة للعمل الوطني الموحد، وشرخا في اللحمة الوطنية.

لقاء تضامني مع أحمد سعدات الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورفاقه الأربعة منفذي حكم الشعب بالمجرم الصهيوني زئيفي

عقد لقاء تضامني بمناسبة مرور عام على اعتقال المناضل أحمد سعدات أمين عام الجبهة الشعبية ورفاقه الأربعة منفذي حكم الشعب بالمجرم الصهيوني زئيفي وذلك في مخيم شاتيلا، مركز الشباب الفلسطيني من مساء يوم الجمعة ١٧/١/٢٠٠٣ حضره حشد غفير، وممثلو الفصائل والمؤسسات الفلسطينية، والقيت كلمات تضامنية. ألقى الأخ الحاج سالم الزعبي مسؤول فتح الانتفاضة والرفيق معتز عن الجبهة الديمقراطية والرفيق حمزة البشتاوي عن الجبهة الشعبية القيادة العامة، والحاج أبو شفيق عن جبهة التحرير الفلسطينية، والرفيق أبو هاني أمين سر اللجنة الشعبية في شاتيلا، والرفيق ماهر السعدي مسؤول الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في بيروت. حيث أثنى الجميع على ضرورة إطلاق جميع المعتقلين السياسيين لدى السلطة الفلسطينية وفي مقدمتهم الرفيق أحمد سعدات أمين عام الجبهة الشعبية ورفاقه الأربعة الأبطال.

كما شددوا على ضرورة تصعيد الانتفاضة حتى دحر الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

وتطرقوا إلى خطورة الهجمة الأمريكية على المنطقة خاصة التهديد الأمريكي بضرب العراق وما يمكن أن يفرز عنه من تداعيات.

صور:

بمناسبة يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني وتأكيداً على التمسك بخيار الانتفاضة والمقاومة ودعماً للأسرى والمعتقلين في سجون العدو الصهيوني وكذلك دعماً لأسرى الحرية في سجن أريحا.

اللقاء التضامني في مركز الشباب في شاتيلا



أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين يوم ٢٩/١١/٢٠٠٢ اعتصاما جماهيريا حاشدا أمام مكتب مدير مخيم البرج الشمالي حضره ممثلو الأحزاب والفصائل والقوى الوطنية والإسلامية الفلسطينية واللبنانية وممثلو الهيئات الاجتماعية والثقافية والأندية الرياضية، وحشد من أهالي مخيمات منطقة صور، ورفعت في الاعتصام الأعلام الفلسطينية ورايات الجبهة الشعبية وصور الرفيق أحمد سعدات ورفاقه وصور للرفيق عبد الرحيم ملوح.

والقيت في الاعتصام كلمات لكل من:

- الرفيق إبراهيم سعد باسم الحزب الشيوعي اللبناني.
- الرفيق إبراهيم الأفندي باسم الحزب السوري القومي الاجتماعي.
- الرفيق أحمد مراد كلمة الجبهة الشعبية.

وقد ثمنت الكلمات الدور الكفاحي للجبهة الشعبية، ذلك الدور الذي يتجلى بتمسك الجبهة بخطها الكفاحي المقاوم رغم كل الضربات التي تتعرض لها.

كما أكدت الكلمات على قدرة الشعب الفلسطيني على تخطي كل المؤامرات الهادفة إلى شطب حقوقه الوطنية، ودعت إلى إطلاق أوسع حملة دعم شعبية في الوطن العربي لدعم الانتفاضة وبخاصة الأبطال القابضين خلف الأسلاك الصهيونية، وجددت دعوة السلطة الوطنية الفلسطينية إلى إطلاق سراح الرفيق أحمد سعدات ورفاقه، باعتبار ذلك يشكل مقدمة ضرورية إلى ترسيخ الوحدة الوطنية الفلسطينية.

صيدا:

بمناسبة مرور عام على اعتقال الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ورفاقه الأربعة، أقامت الجبهة الشعبية / منطقة صيدا اعتصام جماهيري على المدخل الشمالي لمخيم عين الحلوة، شارك فيه ممثلو القوى والفصائل الوطنية والإسلامية الفلسطينية وفاعليات ووجهاء مخيم عين الحلوة وحشد من الجماهير، وذلك تحت شعار: «لا للمحاكمة، المقاومة والحرية للأمين العام ورفاقه».

وقد تحدث أبو رامي باسم فعاليات وجماهير شعبنا في منطقة عين الحلوة، مطالبا السلطة الفلسطينية بالإفراج الفوري عن الأمين العام ورفاقه، معلنا وقوف شعبنا في مخيمات الشتات إلى جانب الانتفاضة والمقاومة حتى العودة والاستقلال.

كما تحدث باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، عضو اللجنة المركزية العامة للجبهة



لقاء مركز الشباب

أبو علي حسن، مؤكدا أن قضية اعتقال الأمين العام قضية وطنية عامة تمس الجميع وتنعكس سلبا على الوحدة الوطنية، مطالبا الجميع تحمل مسؤولياتهم والضغط من أجل إطلاق سراح الأمين العام ورفاقه فورا. فليس هكذا يعامل المناضلون والمقاومون من أبناء شعبنا.

هذا وقد رفعت في الاعتصام العديد من الشعارات التي ترفض الاعتقال وتدينه وتطالب بالإفراج عن الأمين العام ورفاقه، كما رفعت صور الأمين العام ورفاقه الأربعة.

طرابلس

في ٢٠٠٣/١/١٧ نظمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين اعتصاما جماهيريا أمام مكتب الأنروا في مدينة طرابلس، بحضور ممثلي الأحزاب الوطنية والإسلامية والهيئات الشعبية اللبنانية، وممثلي فصائل المقاومة واللجان الشعبية وهيئات المجتمع الأهلي ومنظمة الأشبال والزهرات. ورفعت في الاعتصام صور فارس الشهداء أبو علي مصطفى، والرفيق الأمين العام ونائبه والرفاق الأربعة.

وتحدث في الاعتصام الحاج محمد صالح عضو المجلس السياسي لحزب الله والرفيق سمير أبو جابر عضو اللجنة المركزية العامة.

وسلمت مذكرة لمدير الأنروا موجهة إلى الأمين العام للأمم المتحدة، والأمين العام لجامعة الدول العربية والأمين العام لمؤتمر الدول الإسلامية.



صور:

أقامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في صور صباح الجمعة ٢٠٠٣/١/١٧ في مخيم برج الشمالي اعتصاما جماهيريا تضامنيا حاشدا مع القائد الوطني أحمد سعدات ورفاقه بمناسبة مرور عام على اعتقاله في سجن أريحا، شارك فيه حشد من القوى والأحزاب والمؤسسات والأندية والفعاليات الوطنية الثقافية، فلسطينية ولبنانية وتحدث فيه الدكتور أحمد زراقط مسؤول الحزب الشيوعي اللبناني في صور، والرفيق أبو العبد الراشدي متحدثا باسم الجبهة، وفي ختام الاعتصام، وجهت مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة باسم المعتصمين.

بيروت:

- استضاف تلفزيون المنار في ١/١٩ صباحا الرفيق مروان عبد العال عضو المكتب السياسي ومسؤول الجبهة في لبنان، وتمحور اللقاء حول ظروف اعتقال الرفيق الأمين العام للجبهة والرفاق الأبطال الأربعة، وأعيد بث الحلقة في الفترة المسائية.

- في ٢٠٠٣/١/١٩ عقد في مكتب الجبهة في مخيم برج البراجنة لقاء تضامنيا مع الرفيق الأمين العام القائد أحمد سعدات ورفاقه، أكد المتحدثون على الدور الكفاحي للجبهة، التي قدمت أمينها العام شهيدا، بينما اعتقل خليفته ونائبه والعديد من القيادات الكادرية وتحدث في اللقاء الوفيق أبو أحمد الزعتر عضو اللجنة المركزية.

- عقد مساء ٢٠٠٣/١/٢٧ لقاء تضامنيا حاشدا في قاعة مركز الشباب الفلسطيني في مخيم شاتيلا تضامنا مع الرفيق القائد أحمد سعادات ومطالبة بالإفراج عنه، وتحدث في اللقاء عدد من ممثلي الفصائل الفلسطينية والرفيق ماهر السعدي مسؤول منظمة الجبهة في بيروت، مطالبا بالإفراج الفوري عن الرفيق سعدات ورفاقه الأربعة.

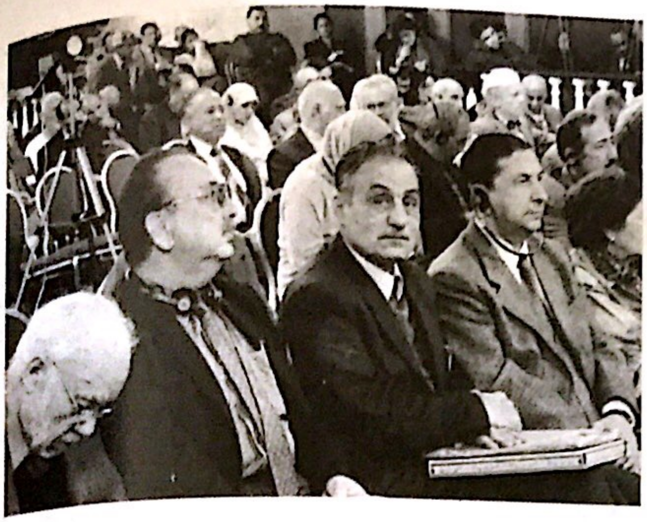
- وفي الذكرى الأولى لاعتقال الرفيق أحمد سعدات الأمين العام للجبهة، أقام المكتب الطلابي للجبهة في الجامعة الأمريكية اعتصاما طلابيا تضامنيا، شارك فيه معظم القوى والمجموعات الطلابية.

البقاع:

في ٢٠٠٣/١/١٦ وبدعوة من الجبهة الشعبية، عقدت اللجنة الشعبية وفصائل المقاومة في بعلبك اجتماعا تضامنيا ناقشت فيه اعتقال الأمين العام وأصدرت بيانا للمطالبة بالإفراج الفوري عن الرفيق سعدات ورفاقه الأربعة.

القاهرة

مؤتمر العراق وفلسطين



بمبادرة من الحملة الشعبية المصرية لمواجهة العدوان على العراق وفلسطين عقد يومي ٨ -٩/ ديسمبر/٢٠٠٢ مؤتمر القاهرة الدولي للتضامن مع العراق وفلسطين.

وقد أعلن المشاركون مواصلة التضامن مع الشعب العربي في العراق وفلسطين، معتبرين ما يحدث في العراق جزء لا يتجزأ من معاناة شعوب العالم وأن التضامن مع هذين الشعبين هو جزء لا يتجزأ من النضال العالمي المناهض للهيمنة الإمبريالية، ابتداء من سياتل وجنوه إلى كل العالم.

وحلل البيان الختامي للمؤتمر طبيعة الوضع الدولي الراهن عبر تحليل سياسات القطب الواحد وسيادة الهيمنة الرأسمالية والدوائر الاحتكارية الأمريكية على مصالح الشعوب الأخرى، وتعميم نمط الثقافة الاستهلاكية والقيم الفردية الأمريكية.

وندد المجتمعون بسياسات العولمة النيوليبرالية والهيمنة الأمريكية، وبالحصار الأمريكي للعراق، والعدوان الصهيوني المتواصل على الشعب الفلسطيني.

وحدد المؤتمر الآلية الشعبية الدولية في التضامن مع العراق وفلسطين في إطار مهام محددة:

١- إدانة التواجد العسكري الأمريكي على الأراضي العربية والضغط على الحكومات العربية، التي تسمح بقواعد عسكرية أمريكية على أراضيها إلى الإغلاق الفوري لهذه القواعد.

٢- تطوير التعاون بين القوى والمنظمات الشعبية في الدول النامية لتعزيز نضالها المشترك في مواجهة سياسات العولمة والهيمنة الأمريكية.

٣- ضرورة تحقيق المزيد من التفاعل مع الحركة العالمية لمناهضة العولمة في دول الشمال والجنوب.

٤- وحدة القوى الديمقراطية والمنظمات الشعبية في مختلف دول العالم، في تشكيل لجان شعبية للتضامن مع العراق ضد الحرب وضد جرائم الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني ومناصرة حقه المشروع في المقاومة.

٥- طرح قضية التضامن مع شعب العراق ضد الحرب، وكذلك دعم قضية الشعب الفلسطيني العادلة في المحافل والمنتديات الدولية بصفة عامة، وفي لقاء بورتو أليجري القادم بصفة خاصة.

٦- دعوة منظمات حقوق الإنسان الدولية العربية لإرسال فرق لمتابعة الأوضاع الإنسانية في العراق ومدى تأثرها بالحصار ونشرها على العالم.

٧- الاستعداد لإبعاد مناصرين لقضية الشعب العراقي العادلة إلى العراق كدروع بشرية إذا ما بدأت الحرب.

٨- تطوير الدعوة إلى مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية كجزء من مساندة قضايا الشعوب.

٩- انتخاب لجنة لمتابعة تنفيذ إعلان القاهرة ضد الهيمنة الأمريكية والحرب على العراق ومناصرة فلسطين.

كلمة الجبهة الشعبية

وكان الرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي للجبهة قد ألقى كلمة في المؤتمر العالمي لنصرة العراق وفلسطين، استعرض فيها الوضع الدولي والإقليمي الحالي، مشيرا إلى انفلات العدوانية الإمبريالية من عقالها، ومهاجمتها لمكتسبات الفئات الشعبية والطبقة العاملة في دول المركز الرأسمالي تحت اسم إعادة الهيكلة أو الإصلاح الاقتصادي كما في أوروبا.



وندد الرفيق أبو أحمد فؤاد بالعدوان الأمريكي على المنطقة والعراق الذي يتعرض منذ ١٢ عاما لحصار مدمر، أدى إلى وفاة أكثر من مليون طفل عراقي وتعطيل برامج العراق التنموية.

وندد الرفيق بانهيار الموقف الرسمي العربي التابع للإمبريالية، مشيدا بالموقف الشعبي الرافض للاستسلام والخضوع، مذكرا بانتصارات حركة المقاومة الوطنية والإسلامية اللبنانية.

وتحدث الرفيق أبو أحمد فؤاد عن الوضع الفلسطيني مؤكدا على خيار الشعب الفلسطيني بالمقاومة ورفضه لخيار أوسلو وتمسكه بحقوقه الوطنية الكاملة.

وندد الرفيق فؤاد بالتنازلات الرسمية الفلسطينية التي لم تبدأ بتسليم الأمين العام للجبهة الشعبية الرفيق القائد أحمد سعدات ورفاقه إلى الحراس الأمريكيين والبريطانيين في سجن أريحا، ولم تنته باتفاقية إبعاد المناضلين في كنيسة المهد عن وطنهم.

وندد بدعوات وقف الانتفاضة والتنازل عن حق العودة، مؤكدا مواصلة النضال ورفض مشروع خارطة الطريق الأمريكية.

وحذر الرفيق أبو أحمد من نتائج العدوان الأمريكي على العراق واستهدافاته، مؤكدا على خطورة المرحلة الحالية من تاريخ أمتنا، ووجوب الاستعداد لمواجهة هذه المرحلة بما تحمله من مخاطر على مستقبل الأجيال العربية.

السيد عبد الحليم خدام يستقبل وفداً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين





استقبل السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية العربية السورية قبل ظهر يوم الأحد ٢٠٠٣/١/٥ وفدا من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الدكتور ماهر الطاهر عضو المكتب السياسي مسؤول قيادة الخارج، وضم الوفد الرفاق أبو احمد فؤاد وأبو علي حسن عضوا المكتب السياسي للجبهة والرفيق عمر مراد عضو اللجنة المركزية.

دار البحث خلال اللقاء حول التطورات السياسية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وتصعيد سياسة العدوان والإرهاب التي يمارسها العدو الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني، كما جرى بحث للتطورات السياسية على الصعيد العربي والتهديدات الأمريكية بشن عدوان على العراق. وقد أكد وفد الجبهة إصرار الشعب الفلسطيني على مواصلة الانتفاضة والمقاومة حتى يتم دحر الاحتلال، وانتزاع كامل الحقوق الوطنية الفلسطينية، وفي مقدمتها حق العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس.

كما أكد الجانبان على أهمية الوحدة الوطنية الفلسطينية على أساس التمسك بالثوابت الوطنية، وأهمية التضامن العربي لمواجهة التحديات والمخاطر التي يتعرض لها الأمن القومي العربي، وخاصة في فلسطين والعراق.

وقد أكد السيد عبد الحليم خدام دعم سورية الثابت لكفاح الشعب الفلسطيني وانتفاضته الباسلة ضد الاحتلال.

وقد ثمن وفد الجبهة مواقف سوريا بقيادة السيد الرئيس بشار الأسد الداعمة لكفاح الشعب الفلسطيني والمصالح العليا للأمة العربية.

وفد الجبهة الشعبية يعرب عن دعمه للعراق وإدانته لاحتمال العدوان الأمريكي عليه



قام وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بدعوة من القيادة العراقية بزيارة العراق ما بين ٢٣ -٢٠٠٣/١٢/٢٧، وقد تشكل الوفد من الرفيق ماهر الطاهر مسؤول قيادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في الخارج وعضوية الرفيقين أبو علي حسن، ومروان الفاهوم عضوي المكتب السياسي للجبهة، والرفيق عبد الحميد الشطلي عضو قيادة الفرع الخارجي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. وقد التقى الوفد كل من سيادة نائب رئيس جمهورية العراق السيد طه ياسين رمضان، والسيد طارق عزيز نائب رئيس مجلس الوزراء، مسؤول العلاقات الخارجية لحزب البعث العربي الاشتراكي، والسيد خالد الدويري رئيس مكتب حركات التحرر في العراق والعديد من المسؤولين العراقيين، وقد تباحث الوفد مع الأخوة في العراق حول آخر المستجدات والتطورات السياسية في المنطقة، وما يشهده العراق وفلسطين من تطورات، وأحداث هامة، وفي ظل احتمالات العدوان الأمريكي الغاشم على العراق الصامد والأبي.. وقد أكد وفد الجبهة وقوف الشعب الفلسطيني بكل فئات الاجتماعية ضد العدوان على العراق، واستعداده للدفاع عن العراق في مواجهة ما يتعرض له من أخطار ومؤامرات تستهدف وحدته ودوره القومي الهام.. وقد أكد الأخوة العراقيون على دعمهم غير المشروط أو المحدود للشعب الفلسطيني وعلى ترابط النضال ما بين الشعب الفلسطيني والشعب العراقي في مواجهة المخططات الأمريكية / الصهيونية، وحرصهم على وحدة الشعب الفلسطيني وعلى أهمية استمرار الانتفاضة والمقاومة كوسيلة هامة ورئيسية للوصول إلى إحقاق الحقوق الوطنية الفلسطينية المحقة والمشروعة.

٢٠٠٣/١/٢١

وفد من الجبهة الشعبية يزور الجزائر ويلتقي بن فليس

قام وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الرفيق أبو أحمد فؤاد وعضوية الرفاق مروان عبد العال عضو المكتب السياسي وعمر قطيش عضو اللجنة المركزية وصلاح محمد ممثل الجبهة في العاصمة الجزائرية بزيارة رسمية إلى الجزائر، بدعوة من حزب جبهة التحرير الوطني الجزائرية في الفترة الواقعة ما بين ٧ - ٢٠٠٣/١/٩.

وقد أجرى الوفد عدداً من اللقاءات الهامة مع المسؤولين الجزائريين، حيث التقى مع الأستاذ علي بن فليس الأمين العام لجبهة التحرير الوطني الجزائرية، رئيس الحكومة، بحضور عدد من أعضاء المكتب السياسي وحضر اللقاء الناطق الرسمي للجبهة مجاهد عبد السلام، ومسؤول العلاقات الدولية عز الدين عبد المجيد وعدد من قادة جبهة التحرير.

كما التقى وفد الجبهة مع ممثلين عن وزير الخارجية هما السيد شيره مسؤول الدائرة العربية والسيد الطيب سعدي مسؤول بلدان المشرق العربي في الوزارة.

والتقى الوفد مع مسؤولين في وزارة الخارجية والسفير الفلسطيني في الجزائر وممثلي فصائل المقاومة المعتمدين هناك.

بلاغات عسكرية

بعد أن تمكنت وحدة الشهيد وديع حداد الهندسية التابعة لكتائب الشهيد أبو علي مصطفى الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من تطوير عبوة ناسفة ذكية وموجهة، نجحت مجموعة الشهيد محمد سعدات من تفجير هذه العبوة في آلية صهيونية كانت قد توغلت مع عدد من الجرافات والآليات الصهيونية مدعومة بالطائرات المروحية، وذلك في حوالي الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة من منتصف هذا اليوم الجمعة الموافق ٢٠٠٣/١/٢٤ على طريق صلاح الدين غرب مدينة بيت حانون وتم تدميرها بالكامل وقتل وجرح من فيها.

وبعد عدة ساعات من العملية الأولى تمكنت مجموعتا الشهيدين الراعي والعكاوي التابعتان لكتائب الشهيد أبو علي مصطفى من تفجير عبوة ناسفة ثانية من نفس الطراز الأول في دبابة ميركافاة صهيونية، وذلك في تمام الساعة الخامسة والربع توقيت فلسطين، مساء الجمعة الموافق ٢٠٠٣/١/٢٤ على طريق صلاح الدين غرب مدينة بيت حانون، وأفاد أفراد المجموعتين وشهود عيان بتدمير الناقلة بالكامل وقتل وجرح من بداخلها.

إن هذه العملية الاستثنائية وكل عمليات المقاومة تأتي رداً من كتائب الشهيد أبو علي مصطفى - الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على جرائم الاحتلال المتواصلة ضد جماهير شعبنا في الأراضي الفلسطينية، والتي كان آخرها استشهاد ٤ فلسطينيين في مدينة نابلس، وهدم عدد من المنازل في حي الزيتون ومدينة رفح، وقصف إحدى الكنائس المسيحية في غزة جيفارا الباسلة.

إننا في الوقت الذي نعاهدكم على استمرار الانتفاضة والمقاومة المسلحة بكل أشكالها حتى طرد الغزاة الصهاينة وإقامة الدولة الفلسطينية كاملة السيادة وعاصمتها القدس، وعودة اللاجئين الفلسطينيين، فإننا نحذر كل من تسول له نفسه تبني عمليات كتائبنا المظفرة.

المجد للشهداء

النصر للانتفاضة والمقاومة

إننا حتماً لمنتصرون

كتائب الشهيد أبو علي مصطفى

الجناح العسكري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
٢٠٠٣/١/٢٤

سعدات يتلقى تهنئة من بوشيحة

- تلقى الرفيق القائد أحمد سعدات في معتقله في سجن أريحا رسالة من الرفيق محمد بوشيحة الأمين العام لحزب الوحدة الشعبية التونسي، بمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لانطلاقة الجبهة الشعبية مهنئاً بالذكرى المجيدة، ومحيياً دور الجبهة الكفاحي، مؤكداً على دعم حزب الوحدة للانتفاضة وللوحدة الوطنية الفلسطينية.

وأكد الرفيق بوشيحة أن حزبه يتابع بانشغال بالغ اعتقال الرفيق سعدات ورفاقه مشدداً على ضرورة تحرير الرفيق سعدات وكل المناضلين من سجون السلطة.

سعدات وحبش يعزيان بجار الله عمر والمتوكل

وجه الرفيق القائد أحمد سعدات من سجنه في أريحا برقية إلى الرفاق في قيادة الحزب الاشتراكي اليمني عزى فيها باستشهاد الرفيق جار الله عمر الأمين العام المساعد للحزب الاشتراكي اليمني، مشدداً على الخسارة الكبيرة للفقيد الكبير.

كما وجه الرفيق القائد سعدات برقية إلى الرئيس علي عبد الله صالح عزى فيها بوفاة الأمين العام المساعد لحزب المؤتمر الشعبي العام اللواء يحيى المتوكل في حادث مفجع، ووجه برقية مماثلة إلى الأخ عبد الكريم الأرياني الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام عزى فيها بوفاة اللواء المتوكل.

- وجه القائد المؤسس د. جورج حبش برقية إلى الرفاق في قيادة الحزب الاشتراكي اليمني عزى فيها باستشهاد الرفيق جار الله عمر مذكراً بدوره الوطني والقومي المميز. كما وجه الرفيق حبش برقية إلى الرفيق فاروق دحروج الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني عزاه فيها بوفاة والده.

وحبش يبرق إلى كاسترو

بمناسبة اليوم الوطني لجمهورية كوبا وجه القائد المؤسس الرفيق د. جورج حبش برقية إلى الرفيق فيدل كاسترو رئيس جمهورية كوبا هناه فيها والشعب الكوبي الصديق بذكرى الثورة المجيدة، مؤكداً على دور كوبا في مواجهة التحديات الإمبريالية ودعمها لكفاح شعب فلسطين.

قراءة في الوضع الراهن

الدكتور مازن حنا
الأمين العام لحزب الشغيلة الشيوعي الأردني

عندما تسيل الدماء حارة غزيرة بصورة يومية، كما هو الحال مع أبناء الشعب الفلسطيني وبناته، وعندما يعم التدمير والهدم والتجريف والحصار ومنع التجول على النحو الهمجي والبربري الذي نشاهده يوميا في سائر المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، ومن حولها، يصبح الكلام، أي كلام، عبئا ثقيلا على ملقيه ومتلقيه في آن معا. وعندما تزاحم أعتى قوة إمبريالية عرفتها البشرية، آخر وأبشع قوة احتلال إحلالي في التاريخ الحديث في محاربة شعب أعزل، ووأد طموحاته الوطنية، التي كفلتها قرارات الشرعية الدولية المتلاحقة تتعقد المهام وتتشابك، ويصبح البحث عن سبل المواجهة الفاعلة والتصدي الناجح فرض عين على الجميع دون استثناء أحد، إلا من رهنوا أنفسهم لخدمة المحتل، وهؤلاء قلة في كل الأحوال والظروف.

صحيح أن النضال التحرري الفلسطيني خبر خلال تاريخه الطويل شتى الصعوبات والعراقيل والمناورات، لكن المواجهة الحالية مختلفة نوعيا عن كل ما سبقها. فالصراع يدور بين قوى غير متكافئة، في ظل ظروف إقليمية ودولية مختلة لم نعهدها من قبل، تسعى الولايات المتحدة لاستغلالها إلى الحد الأقصى لتغيير جميع القواعد والأعراف التي حكمت العلاقات الدولية خلال مرحلة الحرب الباردة، متجاهلة كل المواثيق والقرارات الدولية التي أكدت على تصفية الاحتلال، وحق الشعوب في تقرير المصير، وإلغاء جميع أشكال التفرقة والتمييز العنصريين، وإرساء مناخ تنبلج في ظله آفاق أفضل للتنمية المستقلة وبناء دولة المؤسسات والقانون، التي تحترم الحقوق الديمقراطية والعامة لمواطنيها دون تمييز. ورغم تصاعد النزعة العدوانية للكيان الصهيوني، وانكشاف طابعه العنصري، وسعيه لتكريس احتلاله لأراضي الغير، عبر التوسع في استخدام آلته الحربية، وعدم التورع عن ممارسة شتى صنوف القمع والبطش والقهر والإذلال، التي يدينها المجتمع الدولي إذا ما مورست في أي منطقة أخرى من العالم، إلا أن الكيان الصهيوني لا زال يتمتع بالحصانة الكافية من أي إدانة، وبالرعاية والدعم المتزايد، المتعدد الأشكال والوجوه من جانب الدولة الإمبريالية الكبرى - الولايات المتحدة - ومن جانب العديد من دول العالم التي إن أتيح لها المجال تبدي إدانة خجولة، مترددة، منتقاة عباراتها بدقة.

لقد تبجح شارون في أكثر من مناسبة، أنه نجح في فك ارتباط الأنظمة العربية بالقضية الفلسطينية، ويشعر أن يديه متحررتان في الفتك بالشعب الفلسطيني، والتنكر لحقوقه الوطنية، وأن كل الظروف باتت مواتية ومهيأة لفرض استسلام مهين على الشعب الفلسطيني. كما أن غالبية متزايدة من المجتمع الإسرائيلي باتت تجنح باتجاه التطرف، وتنزع إلى المغالاة في تأييد توجهات اليمين الصهيوني وأفكاره التوراتية العنصرية المتزمتة، وأضحت مقتنعة بأن أمن الدولة العبرية يمكن ضمانه وتأمينه على حساب الشعب الفلسطيني، وهي تمنح تفويضا غير محدود لليمين الإسرائيلي في مواصلة شتى السياسات والممارسات، التي نرى تطبيقاتها على الأرض يوميا على امتداد الأراضي الفلسطينية المحتلة.

هذه الظروف وإن كانت معروفة للجميع، إلا أنها لم تراع ولم تؤخذ بالحسبان دوما عند صياغة السلطة الوطنية الفلسطينية لتكتيكاتها التفاوضية، ولأساليب تصديها ومقاومتها للمناورات الإسرائيلية التي سبقت الانتفاضة الحالية، ولم تحسن التعامل مع إفرازاتها التي انكشفت وتعرت بعد اندلاعها. وقد تجاهلت السلطة كافة النداءات التي طالبتها بضرورة التمسك بنهج تفاوضي أكثر صلابة، والإصرار على رفض إعادة التفاوض على قضايا تم الانتهاء منها وتوقيع اتفاقيات بشأنها ومقاومة كافة الضغوط، أحيانا الإغراءات، الإسرائيلية التي سعت دوما التي تفتيت وتجزئة القضايا، واتباع سياسة المراوغة والتسويف في مناقشة ما اصطلح على تسميته بقضايا الحل الدائم. وتمثلت الطامة الكبرى في تقديم التنازلات تباعا أمام الضغوط ومواصلة التفاوض بنفس الأسلوب والاستجابة على الفور لأي دعوة بمواصلة التفاوض على أسس وقواعد جديدة حتى في ظل مواصلة الحكومات الإسرائيلية، بل وتوسعها، في مصادرة الأراضي وبناء المستوطنات وفرض حقائق على الأرض تجعل المفاوضات أمرا غير ذي جدوى وفارغا من أي مضمون. وقد استهانت السلطة بلجان الدفاع عن الأرض التي شكلتها قوى وفعاليات سياسية فلسطينية للتصدي لسياسة مصادرة الأراضي لأغراض الاستيطان وشق الطرق الالتفافية، وتجاهلت كافة الدعوات لتقديم الدعم المالي والسياسي لها.

وإلى جانب ذلك، واصلت قوى وفصائل سياسية فلسطينية، تحظى بالاحترام الواسع ولها نفوذ لا يمكن إنكاره أو التقليل من شأنه معارضة السلطة الوطنية الفلسطينية، باعتبارها وليدة اتفاقيات مرفوضة ومدانة من قبلها، ولم تلحظ بدرجة كافية، أن السلطة، على علاتها، تشكل بنى وهياكل جنينية للدولة الفلسطينية المنشودة، ولم تعر اهتماما كافيا لتصريحات أقطاب اليمين الإسرائيلي الذين لم يخفوا نواياهم في تدمير هذه البنى باعتبارها تشكل، من وجهة نظر أطماعهم التوسعية، خطرا على أمن المجتمع الإسرائيلي، وعلى وجود الدولة العبرية نفسها. ونرى أنه كان من الأولى دعم السلطة الوطنية الفلسطينية، والمشاركة في هياكلها وأطرها، دون أن يعني ذلك، التنازل عن المواقف السياسية الرافضة لاتفاقيات أوسلو، باعتبارها أضحت أمرا واقعا يستحيل تجاهل وجوده، وإنكار أهميته السياسية والمعنوية. صحيح أن المآخذ على أداء السلطة كانت، ولا زالت، كبيرة وعديدة. وقد كان بمقدورها أن تؤمن الحماية والوقاية من أن تعلق بها أمراض البيروقراطية والترهل الإداري والفساد المالي التي تنخر أنظمة الحكم في العالم العربي، وكان من الممكن أن تفوت الفرصة على إسرائيل لمواصلة الادعاء بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة، بإرساء وترسيخ الطابع الديمقراطي للسلطة، واعتماد مبادئ المساءلة والشفافية وفصل السلطات. كان على السلطة أن تبادر منذ اليوم الأول لقيامها لاعتماد هذه المبادئ والاسترشاد بها والسهر على تعميقها وتطويرها على الدوام. لم يحصل هذا لاعتبارات عديدة، لا يمكن من ضمنها تجاهل الدور التخريبي الإسرائيلي ومحاولاته الدؤوبة لإشغال السلطة وعدم إفساح

المجال أمامها لعملية البناء الداخلي باستقلالية وحرية. لكن السلطة نفسها لم تكن محصنة في وجه هذا التخريب، ولم تتمتع بالمناعة الكافية لمقاومته.

اندلعت الانتفاضة الفلسطينية المجيدة، كتعبير عن رفض قاطع لمحاولات حكومة باراك فرض تسوية مجحفة، غير متوازنة على الشعب الفلسطيني. اتسمت الانتفاضة بطابع جماهيري عفوي فاجأ الجميع، وفي مقدمتهم السلطة الوطنية الفلسطينية. وقد غذت السلطة هذه الانتفاضة ودعمتها ضمن سياق الأهداف التي حددتها، دون أن تعلنها، في أنها - أي الانتفاضة - تشكل فرصة لتحسين موقعها التفاوضي، في حين أن فصائل فلسطينية عديدة قيمتها على أنها انتفاضة الاستقلال، أي أنها ستتواصل حتى دحر الاحتلال وإقامة الدولة الفلسطينية العتيدة. إن الانتفاضة، بطابعها الجماهيري، تشكل بالفعل، السلاح الأكثر مضاء الذي يمكن أن يستخدمه الشعب الفلسطيني بنجاح وفعالية في ظل اختلال موازين القوى لصالح إسرائيل، يستطيع من خلاله تحييد الآلة العسكرية الإسرائيلية. بيد أن إسرائيل سعت منذ اليوم الأول لتدنيس شارون باحة المسجد الأقصى لإغراق الانتفاضة في الدماء، وتفجير نوازع الانتقام لضحايا المجازر الإسرائيلية المتلاحقة، واغتيال القادة الميدانيين والقتل العمد واستباحة المدن والقرى والمخيمات الفلسطينية، وهدم البيوت وترويع الأطفال وتجريف الأراضي. وفي هذا السياق يتوجب القول أن هذا النموذج الكفاحي، الذي يتميز باستعداد عالٍ للتضحية بنكران ذات، يمكن أن يشكل، إذا ما أحسن استخدامه في المكان والزمان الصحيحين، سلاحا استراتيجيا لردع المحتلين الصهاينة عن مواصلة سياسة القبضة الحديدية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وإجبارهم على التسليم بالحقوق الوطنية الفلسطينية المشروعة. غير أن حكومة شارون استغلت الظروف الدولية التي تشكلت بعد تفجيرات واشنطن ونيويورك لتصوير أن حرب الإبادة التي تشنها ضد الشعب الفلسطيني لشل إرادته وكسر صموده وتشبثه بحقه في مقاومة الاحتلال وكنسه بكافة الوسائل التي تكفلها له الشرعية الدولية، هي جزء من الحملة الكونية التي تقودها واشنطن ضد الإرهاب. وقد نجح اليمين الإسرائيلي مدعوما من قوى اليمين المسيحي المتصهين في الولايات المتحدة، ومتكئ على مساندة وسائل الإعلام الجماهيري المتواطئة معها في إشاعة البلبلة في أوساط قطاع لا بأس به من الرأي العام العالمي، وتشويه وعيه، وبلورة مواقفه بصورة مغلوطة، مجافية للواقع. إن الهبة الجماهيرية العفوية التي اندلعت في مدينة رام الله، وسائر المدن الفلسطينية ليلة العشرين من أيلول من العام الماضي أفشلت خطط شارون في تدمير كامل مبنى المقاطعة على من فيه، واعتقال أو قتل من كان متواجدا هناك من أعضاء القيادة الفلسطينية، واضطر شارون إلى سحب آلياته المدرعة من المقاطعة. وهكذا تبين أن رسالة الجماهير قد تكون في مستوى بلاغة رسالة الاستشهادي، وبكلفة أقل.

ولمواجهة التحديات المتعاظمة، التي تفرض نفسها على الشعب الفلسطيني ينتظر الجميع من قيادة السلطة ومن سائر القوى والشخصيات والفصائل والأحزاب الفلسطينية في الداخل والخارج إعمال الفكر بصورة جماعية، ومراجعة التجربة الماضية برمتها دون تشنج أو مكابرة، واستخلاص العبر والدروس، وصياغة برنامج كفاحي واقعي ملزم للجميع، قادر على تحقيق أوسع التفاف جماهيري حوله، يأخذ بالاعتبار المستجدات والظروف القائمة، يقطع الطريق على دعاة التخاذل والتفريط بالحقوق الثابتة، وفي مقدمتها حق عودة اللاجئين إلى ديارهم وممتلكاتهم. ومن الضروري أن يعكف أطراف الحوار الوطني الشامل على وضع تصور لإحياء وتفعيل أطر منظمة التحرير الفلسطينية على قاعدة ميثاق وطني جديد، باعتبارها الوعاء الحاضن لآمال وطموحات الشعب الفلسطيني في الداخل، وفي الشتات.

تعبر السياسة الأمريكية تجاه العراق عن نموذج تحاول واشنطن تكريسه في منظومة العلاقات الدولية في فترة ما بعد الحرب الباردة، يستند إلى أن مصالح الدولة الكبرى، حتى لو كانت غير مشروعة، تتقدم على مصالح سائر دول العالم، وأن التسليم «بحقها» في «الدفاع» عن هذه المصالح الكونية هو حق مطلق، لا يخضع لأية قواعد سلوكية، أو قيم أخلاقية، أو معايير محددة. وهي تتولى بنفسها تحديد وسائل الرد والردع لأي تهديد، حتى لو كان مزعوما أو مختلقا، بما في ذلك التوسع، كما بينت الوقائع، في التلويح باستخدام القوة العسكرية الغاشمة، واستخدامها فعلا، حتى لو لم يكن ضرورة لذلك، واللجوء إلى أساليب الضغط والابتزاز وأدوات الحرب النفسية، دون أن تكون هذه الأساليب منسجمة أو متماشية، بالضرورة، مع قواعد وأحكام القانون الدولي، فنفوذها الهائل على الصعيد الدولي المستند إلى قدراتها العسكرية والاقتصادية والمالية والتكنولوجية المتعاظمة كفيل بأن يؤمن لها الغطاء الكافي لتمرير أي قرار عبر الهيئات الدولية، وخاصة مجلس الأمن، تستند إليه في تحقيق أهداف ومصالح شركاتها الاحتكارية عابرة القومية للسيطرة والتحكم في اقتصاديات العالم وثرواته الطبيعية، وفي مقدمتها الثروات النفطية، حتى لو اقتضى الأمر تجريد الحملات العسكرية، وإشهار أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا إنتاج السلاح في وجه كل من يشكل تهديدا، حتى ولو كان محتملا لهذه المصالح، التي لا تقر ولا تعترف للدول والشعوب الأخرى بأي مصالح خارج دائرة مصالح المجمع الصناعي الحربي الأمريكي.

ولم يعد خافيا على أحد أن إحكام سيطرة الاحتكارات النفطية



الأمريكية على نفط المنطقة العربية، وعلى احتياطياته الضخمة المكتشفة في الأراضي العراقية وإقصاء الشركات الدولية المنافسة، والتحكم في كمية الإنتاج، والأسعار والتوزيع هو المحرك الأول والأساس لهذا الحشد الهائل لأضخم ترسانة عسكرية في التاريخ، وهو الذي سيتيح للولايات المتحدة إحكام قبضتها على العالم، وتقرير مصائره من طرف واحد، وضمان هيمنتها الكونية المطلقة لعقود طويلة قادمة. وبطبيعة الحال هناك أهداف أخرى تسعى واشنطن لتحقيقها تنسجم تماما مع أهداف شريكها الاستراتيجي في المنطقة - الكيان الصهيوني - صاحب المصلحة الحقيقية في تأجيج بؤر التوتر القابلة للتفجر في أية لحظة، توفر له مادة للادعاء بأن النظام العراقي وليس الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية هو المسؤول عن استمرار حالة التوتر وانعدام الأمن والاستقرار في المنطقة. إن الإجهاز على القدرات العسكرية والاقتصادية والعلمية العراقية وجعلها في متناول وتحت سيطرة أجهزة البنتاغون والاستخبارات الأمريكية أمر طالما تحمست إليه الحكومة الإسرائيلية وهي معنية مباشرة فيه، وتبذل كل جهد ممكن في سبيل تحقيقه. وتشير كافة المؤشرات إلى أن الدولة العبرية تتهيأ لاستغلال انشغال العالم بالعدوان على العراق، لتصفية حساباتها القديمة والجديدة مع الشعب الفلسطيني، والإجهاز على انتفاضته، بتشديد قبضتها الحديدية على الأراضي الفلسطينية المحتلة، وفرض مناخات تتردى في ظلها، لدرجة غير مسبوقة، الأوضاع المعيشية والحياتية للمواطنين علها تفلح في النهاية في انتزاع استسلام غير مشروط من قبل قيادة السلطة الفلسطينية، وموافقتها على تصورات شارون لما يسمى بالحل النهائي، التي لا يعارض فيها قيام دولة فلسطينية ضمن نطاق مساحة لا تتجاوز ٤٠٪ من مساحة الضفة الغربية، مقطعة الأوصال، منزوعة السلاح، محدودة السيادة، يحدد هو حدودها وعلاقاتها الخارجية. وفي حال فشله، كما هو متوقع، فلن يتورع عن تصفية القيادة الفلسطينية بالاغتيال أو الاعتقال، وارتكاب المزيد من المجازر، وأعمال القتل الجماعي، ومصادرة الأراضي لأغراض الاستيطان، وتحويل حياة الشعب الفلسطيني إلى جحيم لا يطاق، تضعه أمام خياري الموت أو الرحيل.

بيد أن هذا كله ليس قدرا، حدوثه أمر مفروغ منه، لا نستطيع دفعه أو رده. فمخططات الإدارة الأمريكية تواجه بمعارضة متزايدة في الداخل والخارج. وفي حال شن العدوان سيتعاظم السخط الدولي عليها، وستتعزز مقاومة الشعوب وتصديها لدعاة الحرب، بمن فيهم شارون، وستجد الأنظمة العربية نفسها في حرج شديد إزاء صمتها على ما يتعرض له شعب عربي شقيق، في ظل تعاظم المعارضة الدولية للحرب وفواجعها وذيولها، وستتفجر حالة من الغليان الشعبي لن تستطيع آلة البطش والقمع أن تكبتها طويلا. وهذا ما سيشكل بدوره دفعة قوية لصمود الشعب الفلسطيني وتصديه لمخططات شارون وحكومته اليمينية المتطرفة.

في سياق الانتفاضة الفلسطينية الأولى تبدت بوضوح للعالم أجمع الطبيعة العنصرية للدولة العبرية، وانكشفت حقيقة ديمقراطيتها، التي تتحول إلى تمييز عرقي، وممارسات عنصرية واستعلاء شوفيني عندما يتعلق الأمر بالشعب الفلسطيني وبالمواطنين العرب داخل الخط الأخضر. وفي مواجهتهم تتوحد، مع استثناءات محدودة، وفروقات غير جوهرية الأحزاب الصهيونية الإسرائيلية، والأوساط الاجتماعية التي تمثلها، والتي تنخرها الخلافات الإثنية والمذهبية والطائفية. وخلال العقود الثلاثة الماضية، التي دشنها السادات بزيارة القدس، وتواصل في ظلها ميل النظام الرسمي العربي لإبرام صفقات الصلح الانفرادي مع الكيان الصهيوني تزايد أكثر فأكثر نفوذ القوى اليمينية الإسرائيلية، وخاصة اليمين الديني، الذي يتمسك بمقولات «أرض الميعاد، وإسرائيل الكبرى»، «وطرد الفلسطينيين العرب»، «والدولة اليهودية النقية»، رغم أن هذه المقولات راسخة في الفكر الصهيوني، إلا أنها تعالت، وأصبح انصارها يحتلون مواقع متزايدة في الكنيست الإسرائيلي. فأنصار حزب شاس، الذي لا يتورع زعيمهم الروحي أعوفاديا يوسف عن إطلاق شتى النعوت العنصرية الحاقدة ضد العرب، أوصلوا (١٧) نائبا للكنيست الحالية، ومن المنتظر أن تحصل قوى اليمين، ولولا الفضائح التي كشف النقاب عنها، والمتعلقة بشارون وولديه، لحصل اليمين بكل تلاوينه على أغلبية مريحة في الكنيست القادمة.

وإزاء تنامي مطالبة العرب داخل الخط الأخضر بحقوقهم القومية، ورفضهم القاطع «للأسرلة»، وتعاظم مشاعر التضامن مع نضال اشقائهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، باعتبارهم جزء لا يتجزأ من الشعب الفلسطيني ارتفع منسوب الحقد العنصري ضدهم، ولم تتورع قوات الأمن الإسرائيلية عن إطلاق الرصاص الحي ضد مسيرات ومظاهرات التضامن السلمية مع الانتفاضة الفلسطينية، في حين تلتزم قوات الأمن الصمت وتقوم بحراسة مسيرات العنصريين الإسرائيليين الداعين إلى طرد العرب وتهجيرهم وإبادتهم. ومقارنة سريعة بين المجتمع الفرنسي الذي نزل إلى الشوارع على مدى أسبوعين عندما لاحت في الأفق إمكانية ضئيلة للغاية لانتخاب مرشح اليمين العنصري الفرنسي لوبين لرئاسة الجمهورية وبين انتخاب المجتمع الإسرائيلي بأغلبية ساحقة لمجرم مدان من قبل القائمين على الجهاز القضائي لاحتلال منصب رئاسة الوزراء تبين مدى الزيف والادعاء في الديمقراطية الإسرائيلية، التي حاول فرسانها، وفي مقدمتهم المستشار القضائي للحكومة، استنادا إلى توصية لجنة الانتخابات التابعة للكنيست حرمان كل من أحمد الطيبي، والدكتور عزمي بشارة والقائمة العربية الموحدة من الترشح لانتخابات الكنيست لأن مواقفهما لا تروق للطغمة الإسرائيلية الحاكمة وباتت تضيق بها ذرعا.

إن الميول اليمينية المتطرفة لدى المجتمع الإسرائيلي تتنامى وتتفشى لعوامل عديدة سياسة واقتصادية واجتماعية وثقافية وإثنية، لكن دعم الإدارة الأمريكية واليمين الأصولي المسيحي الأمريكي السخي، لحكومة شارون ولمن يقف خلفها، وللنهج الذي تواصل السير عليه والصمت عما ترتكبه من ممارسات عنصرية يشكل تربة خصبة لاكتساب هذه الميول مزيدا من الأنصار. كما أن تخاذل الأنظمة العربية، ووقوفها موقف المتفرج والمراقب، واستعدادها لتطبيع علاقاتها مع الكيان العنصري، رغم كل ما ترتكبه حكومته من مجازر بحق شعب شقيق لأشكال قوى السلام الإسرائيلية، التي تخلي مواقعها لغلاة المتطرفين الصهاينة.

إن لجم التوجهات العنصرية داخل المجتمع الإسرائيلي، والمساهمة في سد الطريق أمام تنامي مواقع ونفوذ الأوساط اليمينية المتطرفة، هدف لا يمكن بلوغه إلا من خلال صياغة برنامج كفاحي فلسطيني واقعي، بمعنى إدراك الواقع من أجل تغييره، بما ينسجم مع تطلعاتنا وثوابتنا الوطنية الراسخة، وليس الاستسلام له، وانتهاج أساليب نضالية ملائمة، تأخذ الظروف القائمة، وإمكانات العدو غير المحدودة بعين الاعتبار، تفوت على دعاة وانصار إبادة العرب، وطردهم فرص تحقيق مآربهم، التي باتت في متناول اليد وأكثر قابلية للتحقيق من ذي قبل.

كلمات في ذكرى انطلاقة الجبهة الشعبية

توفيق مهنا
(عميد الإذاعة والإعلام في الحزب السوري القومي الاجتماعي)

من رحم تاريخنا، من عذابات وآلام شعبنا وتوقه إلى الحرية، ولأجل فلسطين، ولدت قبل ٣٥ عاما الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، كمنظمة فدائية جهادية متحصنة بوعي ثوري، وأخلاق نضالية استحوذت على احترام كل المناضلين الصادقين، وساهمت بعطاءاتها وبرنامجها ودورها في تأليب القوى المناهضة للإمبريالية والصهيونية والاستعمار في العالم حول قضية فلسطين.

ونظرا لأهمية الدور الصراعي الذي لعبته الجبهة، أجمع شعبنا على اعتبار مؤسسها وقائدها الصديق والحليف د. جورج حبش ضمير الثورة، فتحية له في عيد الجبهة، وتحية إلى أمينها العام الشهيد أبو علي مصطفى، وإلى أمينها العام الموجود في الأسر المناضل أحمد سعدات وإلى كل الشهداء والمناضلين في كل المواقع والساحات.

إن دلالة هذه المناسبة، في هذه اللحظات التاريخية التي تمر بها قضية فلسطين، لا تقتصر على مخزون الذاكرة النضالي لجهاد مناضلي الجبهة وجهاد كل شعبنا، بل تتعداه إلى رسم صورة المستقبل الذي يصنعه الشهداء بدمائهم الطاهرة. فالذاكرة تختزن عظمة التراث القومي الجهادي لشعبنا على أرض فلسطين، وفي نطاقها القومي في سورية الطبيعية كلها، وفي العالم العربي.

والذاكرة تختزن، البعد القومي للمسألة الفلسطينية، الذي همشت معانيه وأبعاده وتأثيراته السياسية والنضالية أوهام سياسات استبدت بالقرار السياسي الفلسطيني لعزله عن عمقه القومي بذرائع شتى. وقد ظهر في سياق هذا النهج، حجم الخيبة والفشل في اعتماد خيارات تفاوضية تحت سقف الرهان على تصدق الكيان الصهيوني أو النظام الإمبريالي الأمريكي علينا بقيام دولة مفترضة على قسم من فلسطين. وتأكد كذلك، أن خيار الدولة الفلسطينية وحق شعبنا في تقرير المصير، وفي السيادة والاستقلال ليس طريقه خارطة الطرق الأمريكية الصهيونية، بل خارطة طريق الانتفاضة التي تزلزل مقومات الكيان وتصنع حقائق على أرض الصراع، عجزت عن صنعها الجيوش والأنظمة.

لذلك، نرى ضرورة قصوى للعمل على إسقاط نهج التفاوض المعتمد من قبل البعض، واعتماد استراتيجية الانتفاضة والمقاومة في فلسطين، والسعي إلى تعزيز الوحدة الوطنية الفلسطينية تحت هذا السقف. لأنه من الخطأ الاعتقاد أن باستطاعة البعض توظيف تضحيات شعبنا في خيار التسوية ونهجها ومقتضياتها، فالتضحيات والنضالات لا توظف إلا في مصلحة تحرير فلسطين كل فلسطين. لأن الفارق كبير بين أن يوظف نضال شعبنا في نهج التسوية وبين توظيفه في استراتيجية التحرير.

فبعد عشر سنوات على «أوسلو» وربع قرن على «كامب ديفيد»، وفي ظل ولوج المهرولين خيارات التفاوض، تضررت المسألة الفلسطينية كثيرا، إذ أنها تحولت من مستوى القضية المركزية القومية



الجامعة، وقبلة الأحرار في العالم، إلى قضية أمتار من الأرض ومناطق ألف وباء إلخ..

لذلك، نؤكد أن فلسطين كلها، بالنسبة لنا ولكل المقاومين والمجاهدين هي منطقة ألف بالمفهوم القومي البحت ويجب أن يجلو عنها الاستيطان ويتقوض عليها بنيان الكيان الصهيوني الغاصب.

وعلى هذا الأساس فإننا ندعو إلى:

١- وحدة وطنية فلسطينية تعزز خيار الانتفاضة وتعيد بناء منظمة التحرير الفلسطينية على قاعدة إحياء الميثاق النضالي التحرري، ووفق هيكلية جديدة تضم كل القوى المقاومة والمجاهدة على أرض فلسطين.

٢- حوار فلسطيني، نشجع عليه شرط أن يكون هدفه التمسك بثوابت النضال القومي التحرري وحماية الانتفاضة التي هي التعبير الحي عن إرادة شعبنا وآماله.

٣- وضع استراتيجية عمل في الساحة الفلسطينية تهدف إلى تعزيز التلاحم القومي وتحيي المضمون القومي في عملية الصراع. إذ أنه لا يعقل أن تستمر قيادة السلطة الفلسطينية في «قرنة» أوسلو فارضة على نفسها العزلة الذاتية عن قوى الصمود القومي في أمتنا وعالمنا العربي. ونرى أن الخروج من العزلة يتطلب إعادة بناء العلاقة مع سوريا، قلعة الصمود القومي والحضن الدافئ للانتفاضة وفصائلها، والمتصدية لكل الضغوط، والذي أعلن رئيسها د. بشار الأسد منذ يومين أن الانتفاضة وقوى المقاومة هي حركات تحرير وليست حركات إرهاب، ويلتف حولها ثلاث مائة مليون عربي وكل المسلمين.

ولابد من الإشارة إلى موقف سوريا الجريء في مجلس الأمن الدولي، والذي سجل اعتراضا قويا على القرار الذي يعتبر قتلى الدولة اليهودية ضحايا. مذكرة العالم أن شعبنا في فلسطين هو ضحية الإرهاب الصهيوني المتواصل.

من الملح في هذه الأوقات العصيبة الخروج من نفق التسوية ومحور أوسلو، ووادي عربة، وكامب ديفيد، والتخندق في محور الصمود القومي بعمقه القومي والعربي والإسلامي من دمشق إلى طهران.

٤- إن الكيان الصهيوني هو كيان اغتصاب، واستدراجه إلى التنازل، لا يكون باسترضائه بل بخلخلة بنيانه. وإن الرهان على معادلة الاعتدال والتطرف في الكيان الصهيوني هو رهان عبثي، ففلسطين لا تتحرر برهانات عبثية بل بتضحيات سخية.

- إن وعينا السياسي والثقافي للعلاقة التفاعلية العضوية في الترابط بين الصهيونية والاستعمار والإمبريالية، يجب أن يكون حاضرا في استراتيجية عملنا السياسي والنضالي على كل مستوى، بهدف إعادة الاعتبار لهذا المنطق الصحيح الذي لا يميز بين مواجهة الصهيونية وقوى الاستعمار، إذ من السذاجة التفكير بإمكانية إيجاد هامش بين السياسة الإمبريالية والصهيونية خارج إطار بناء ميزان القوى، الذي يفرض معادلة جديدة على أرض الصراع، وليس على طاولة التفاوض. وحسبنا أن نشير إلى أن الحرب الأمريكية البريطانية الصهيونية هي حرب مشروع واحد ومخطط واحد من فلسطين إلى العراق. فالكيان الصهيوني يخوض حرب المصالح الأمريكية، كما تخوض الإدارة الأمريكية حرب المصالح الصهيونية.

لذلك نرى أن المطلوب في هذه المرحلة بالذات، التصدي بكل حزم للمنطق الانهزامي المتواطئ على حق شعبنا في تحرير أرضه وفي العودة إليها، وتوفير أفضل المناخات التي تضمن توحدا حقيقيا على استراتيجية المقاومة والانتفاضة لمواجهة المخطط الصهيوني الاستعماري، ولمواجهة الدعوات إلى إيجاد أوطان بديلة عن فلسطين لشعبنا الفلسطيني، وبعض أصحابها يعتبر الوجود الفلسطيني في هذا البلد العربي أو الأجنبي كجاليات نازلة وليس كشعب مشرد من أرضه نتيجة الاحتلال.

إن تمسكنا القومي بكامل هوية فلسطين وجغرافيتها وتاريخها وحضارتها هو تأكيد على تمسكنا بوحدة المصير القومي، واعتبار أن أبناء شعبنا الفلسطيني في أي بقعة كانوا في لبنان أو الشام أو الأردن هم على أرضهم القومية، وأنهم على موعد قريب في العودة إلى مدنهم وقراهم في فلسطين. وكل شعار يرتفع لدعم الانتفاضة وحق العودة يجب أن ينطلق من هذا المفهوم، وهذا يقتضي حكما، إعادة نظر في كثير من السياسات الرسمية تجاه شعبنا الفلسطيني، ليحيا بكرامته ولا يفرض عليه نطاق عزلة بفعل قوانين جائرة أو ممارسات كيانية. فالمصير القومي الواحد ومصالح كل الدول التي يتواجد في نطاقها شعبنا الفلسطيني لها مصلحة أكيدة في صياغة برنامج مشترك للوصول إلى ضمان حق العودة وتحرير فلسطين.

بهذا الإيمان أرى ضرورة في تعميق العلاقات اللبنانية - الفلسطينية بالاستناد إلى العمق القومي بهدف التآزر في مواجهة المشروع الصهيوني، وهذا أمر يسهم في توفير أرضية صلبة للانتصار على كل مفاعيل المؤامرة الدولية الصهيونية.

ماذا تنتظر؟

الأب الياس زحلاوي

أبحق تسألني عن الانتفاضة.. وعن الحرب ضد العراق.. وعن تطورات المجتمع الإسرائيلي؟
كيف لك أن تفصل بين هذه الأمور الثلاثة؟

ألست ترى معي أن هذا الذي يجري في فلسطين المحتلة، وما يعد من حرب ضد العراق، والتطورات الطارئة داخل المجتمع الإسرائيلي.. ليس سوى القمة من جبل ثلجي هائل يغوص في قلب العالم بأسره، وهو في الطريق إلى تفجير هذا العالم الغبي والجبان، بفعل إرهابي واحد، مصدره في تل أبيب، وأداته في واشنطن؟

أجل، إنه فعل إرهابي واحد، يرمي إلى استراتيجية واحدة تبسط شبكتها التقنية والإعلامية والاقتصادية والعسكرية والسياسية على دول الأرض كلها.. دون أن يتاح لأي منها أن يفلت من عقدتها..

قد لا ترى ما أرى.. وأنت حر في ما لا تريد أن ترى!

إنه، باختصار، الحقد الصهيوني القائم والقادم، الذي لا تشكل مظاهره الراهنة في فلسطين المحتلة، على هولها وتنوعها وتسارعها، سوى لعبة أطفال أمام ما يعد في وجه كل مقاوم أو متردد أو رافض!

أيا كان هذا الرفض.. وأنى كان!..

في فلسطين اليوم.. في بغداد غدا.. وفي.. وفي.. بل وحتى في موسكو وباريس وبكين!

ولا بأس إن كان ذلك مخالفا للوجدان البشري الصرف..

ولا بأس إن كان مناقضا لدستور الولايات المتحدة الأمريكية بالذات..

ولا بأس أيضا إن كان مناهضا للشرائع والمعاهدات والمؤسسات الدولية كلها..

أما هذا بعينه ما يحدث اليوم؟..

فيما الكل ساكت أو واجم.. أو متلعثم!

الجرافة الإسرائيلية تكتسح اليوم جنين ورام الله وغزة والقدس..

وغدا سوف تكتسح الآلة الأمريكية الأرض كلها..

والكل سيكون ساكتا أو واجما أو متلعثما!

وليكن كل ذلك باسم الديمقراطية والعدالة!

وهنيئا لمن يظن نفسه بمنأى من ضربات هذه الآلة الأمريكية!

وهنيئا مضاعفة لمن أغرته وتغريه بمشاركتها في حروبها!..

لأنه سيكون أولى ضحاياها..

إما بفعل هذه الحروب عينها..

وإما بفعل انتفاضات داخلية مجنونة..

والنتيجة في كلا الحالين واحدة: إبادة!

يقلمون أظافر العراق.. بعد أن بتروا يديه!

والدنيا كلها تتظاهر بالتصديق، والكل يعلم أن ما من أحد يملك ما يملكون لتدمير العالم عشرات المرات!

سيما وأنهم لا يملكون ذرة واحدة من وجدان رادع!

أجل الغد الأمريكي قادم!

تهللوا يا شعوب الأرض!

الغد الأمريكي قادم!

افرحوا يا قادة العالم!

واستعدوا جميعا للجحيم الآتي!

.. أما قيل قديما:

كما تكونون.. يولى عليكم؟!

الانتفاضة والمجتمع الإسرائيلي

محمد الطويل

تعود الأصول العرقية للمجتمع الإسرائيلي إلى أكثر من ثمانين قومية مختلفة.. وتتشكل الكتل الاجتماعية فيه على أساس قومي طائفي، وتتجلى في ثنائية بين الأشكناز والمزراحيم.

لدى المجتمع الإسرائيلي دينامية عالية في الحفاظ على وحدته ضد أي عدو خارجي، ولم تصل تناقضاته إلى حد الصدام أو الانقسام أو تشكيل أغلبية ما باتجاه الإقرار بالحقوق العربية والفلسطينية كاملة.

شهد هذا المجتمع منعطفات هامة في تاريخ الصراع مع العرب والفلسطينيين، حيث لم تظهر عليه تناقضات أو انقسامات كان يتوقعها بعض العرب والفلسطينيين وخاصة في أحداث حرب ٧٣ والاجتياح الإسرائيلي عام ٨٢، والانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧، ليس بسبب متانة وتماسك هذا المجتمع، بل بسبب عدم تواصل ومراكمة إنجازات هذه المحطات، حيث كنا نحاول قطاف ثمار هذه المحطات قبل أن تنضج.

تقتضي دراسة آثار الانتفاضة على المجتمع الإسرائيلي تحديد أبرز الملامح الخاصة للبنيان الاجتماعي الإسرائيلي، بحيث تنبع خصوصية هذا البناء كونه لايزال في حالة اتصال بمنشئه الاستعماري الاستيطاني، فهو تجمع لمستوطنين مهاجرين لاتزال هجرتهم مستمرة، وهو لم يتكون تاريخيا فوق الأرض الفلسطينية شأن المجتمعات الطبيعية وحتى المجتمعات ذات المنشأ الاستيطاني (المجتمع الأمريكي) فهو يعتبر حديث النشأة، إذ أن أغلب المهاجرين جاؤوا في السنوات الخمسين الماضية.

يعاني الكيان الصهيوني من مشكلات تكامل واندماج، وتجري بداخله انقسامات واستقطابات على أساس قومي أو طائفي أو إثني أو ديني والذي يلجم هذه التناقضات هو العدو الخارجي، والا ما الذي يفسر مقتل رابين الذي تجاوز مقتله حدود الديانة اليهودية التي تحرم قتل اليهودي لليهودي، ومنع شامير لوزير خارجيته آنذاك من السفر إلى مدريد بحجة أنه يهودي مغربي، وتصريح بن أليعزر بأنه لم ينتخب لرئاسة حزب العمل لأنه ينتمي إلى اليهود الشرقيين.

المجتمع الإسرائيلي يزداد يمينية

لم يكن المجتمع الإسرائيلي في يوم من الأيام يساريا معتدلا يؤمن بتسوية سياسية تضمن الحدود الدنيا لطموحات الشعب الفلسطيني بل كان يساراً يميل إلى التطرف عندما يتعلق الأمر بالثوابت الفلسطينية، والشواهد كثيرة، فعندما كان المقتول رابين وزيراً للدفاع أوجد سلاح تكسير العظام للقضاء على الانتفاضة، وعندما وقع اتفاق أوسلو سئل هل هذا الاتفاق مقدمة لدولة فلسطينية على أراضي ٦٧ رد: «لا لأنه مقدمة لحكم إداري ذاتي لأنني لا أستطيع أن أتنازل عن القدس والمستوطنات في الضفة وأعرض أمن إسرائيل للخطر»، أما بيريس وباراك فقد تحولا من دعاة سلام إلى صقور عندما تعلق الأمر بالثوابت الفلسطينية وبالقضاء على الانتفاضة.

هذا لا يعني أن لا وجود لفئات يسارية تقر بالحقوق الفلسطينية بالحدود الدنيا لكنها غير مؤثرة في صنع القرار السياسي في إسرائيل مع الإشارة إلى أن هناك إجماع بين كل الفئات على رفض حق العودة.

إن المجتمع الإسرائيلي كان بمعظمه يميناً وسطا، والآن تحول إلى أقصى اليمين بسبب فقدانه لأمنه وطرح الانتفاضة الفلسطينية عليه أسئلة استراتيجية لابد له من الإجابة عنها عاجلا أم آجلا - الاحتلال وبقاءه - شكل التسوية إمكانية الجيش من القضاء على الحلم الفلسطيني.

إن جنوح هذا المجتمع إلى أقصى اليمين والتطرف دليل ضعف لا دليل قوة على المدى المنظور، لأنه لم يعد لديه أي خيارات، وان إمكانية كسره أصبحت أكثر واقعية من ذي قبل، فإما السلام القائم على أساس الحقوق الفلسطينية، وإما استمرار فقدان الأمن والخسائر البشرية والاقتصادية.

وقد اختار المجتمع الإسرائيلي مؤقتاً غلاه التطرف واليمينية لأنهم هم الطلقة الأخيرة بيده، إلا أنه إذا استمرت الانتفاضة وتصاعدت فإن المجتمع الإسرائيلي مرشح لتغيرات دراماتيكية في بنية وعيه الزائف التي ستؤدي به إلى قناعة بأنه لا إمكانية للسيطرة على الشعب الفلسطيني بقوة الجيش، لا إمكانية لتعايش الشعب الفلسطيني مع المستوطنات.

الحل هو الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، إذا كان يريد أن يعيش بأمان. إن فوز عمرام متسناع الذي يدعو إلى انسحاب فوري من غزة على بن أليعازر الذي يراهن على الحل العسكري قبل الدخول في أي تسوية سياسية، يعني هذا أن حزب العمل والذي يمثل شريحة معقولة من المجتمع الإسرائيلي قد وصل إلى قناعة بعد عامين من الانتفاضة أنه لا فائدة من الحل العسكري والتطرف السياسي وبالتالي يجب العمل على طرح مشروع سياسي معتدل بالنسبة لحزب الليكود للتوصل إلى حل سياسي مع الشعب الفلسطيني، إن هذا يعطي مؤشر محدود الآن على كسر تتطرف هذا المجتمع دون أن يعني ذلك عقد الآمال على متسناع لأن الحقوق الوطنية مرهونة بالعامل الذاتي الفلسطيني المتمثل في الانتفاضة والمقاومة.

الأمن الفردي والجماعي للكيان الصهيوني

بسبب حالة الخوف المتواصل في الكيان الصهيوني منذ نشوئه تحظى المسألة الأمنية باهتمام بالغ الأهمية حيث تعطى الأجهزة الأمنية المختلفة كافة الصلاحيات والميزانيات الضخمة للحفاظ على أمن الكيان من أي جهة كانت، وفي بعض الأحيان تأخذ القيادة السياسية الإسرائيلية مواقف سياسية استنادا إلى تقارير أجهزة المخابرات المختلفة. غير أن الانتفاضة استطاعت وعلى مدار عامين ونيف من أن تقلب الأمور رأسا على عقب حيث أثبتت فشل الأجهزة الأمنية الإسرائيلية في الحفاظ على الأمن الفردي والجماعي في الكيان الصهيوني بدءاً من الوزير وانتهاء بالمستوطن فلم يعد المطعم والحديقة والباص والطرق آمنة بسبب ضربات المقاومة الفلسطينية، لقد خاضت إسرائيل عدة حروب مع العرب والفلسطينيين حيث كانت تلجأ إلى الحرب الخاطفة ونقل المعركة إلى أرض الخصم، وبذلك تبعد المفاصل الرئيسية في

الكيان الصهيوني عن أي تهديد، وتحسم المعركة بشكل سريع حفاظا على الخسائر البشرية، غير أن الانتفاضة نقلت المعركة إلى المفاصل الرئيسة في الكيان الصهيوني، حيث ضربت نظرية المكان الآمن للمستوطنين في الضفة وغزة ومناطق ٤٨.

لقد أقرت المؤسسة الأمنية والعسكرية والسياسية في الكيان الصهيوني، بأن هذه العمليات لا يمكن إيقافها لأنها حرب من نوع جديد تواجه الكيان وأن الحل هو اعتقال وتدمير بيوت المقاومين وحصار وتجويع ونفي، للتخفيف من هذه العمليات وليس لوقفها نهائيا، لأن إسرائيل من الممكن أن تتحمل خسائر اقتصادية أو عسكرية، لكن لا يمكن أن تتحمل أن يعيش مجتمع بكامله بحالة من الخوف والقلق، لأن هذا الوضع إذا استمر وتصاعد فإن هذا المجتمع مرشح للانهيار وبالتالي البحث عن بدائل تخرجه من هذا الواقع، وهي أن يسلم بالحقوق الفلسطينية المشروعة.

تفشي الظواهر الاجتماعية السلبية

يركز المجتمع الإسرائيلي في حياته على عاملين: الرفاهية الاقتصادية والشعور بالأمن، وهذين العاملين تم ضربهما من قبل الانتفاضة الفلسطينية لذلك ظهرت على السطح جملة من المشاكل النفسية والاجتماعية، فقد ذكرت صحيفة معاريف ٢٠٠٢/١١/٢٤ أن: ٦٨٪ من الإسرائيليين يشعرون بفقدان الأمن، وأكثر من نصف عدد السكان في إسرائيل يشعرون بأنهم مكتئبون بما فيه الكفاية بسبب الوضع الأمني. نصف السكان يعانون من اضطرابات في النوم وعدم التركيز، ٣٧٪ من سكان إسرائيل يسترجعون الأحداث الفدائية أثناء اليقظة وفي الكوابيس الليلية، ربع الإسرائيليين يشعرون بالعزلة والنفور نتيجة الوضع الأمني، آلاف الإسرائيليين يزورون العيادات النفسية، وهناك ميل لدى شريحة واسعة منهم لاستعمال العقاقير الطبية المهدئة، وخاصة لدى أوساط الشباب، للهروب من هذا الواقع المأساوي.

إن هذه الأرقام تحمل في طياتها مؤشرات لتغيرات كبيرة ستصيب الكيان إذا استمرت الانتفاضة، وبالتالي ستؤثر على كافة المفاصل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية لأن هذا المجتمع بدأ يصاب بحالة عدم التوازن التي ستفقده القدرة على الصمود طويلا.

اشتداد الصراع القومي

يتمتع فلسطينيو ٤٨ (بحق المواطنة الإسرائيلية حسب القانون الإسرائيلي، لكنهم يوضعون في أدنى درجات السلم الاجتماعي فلا يسمح لهم أن يكونوا عربا، وأن يتفاعلوا مع المحيط العربي الذي هم جزء منه، ولا مع شعبهم الفلسطيني في مناطق ٦٧، ولا أن يكونوا (مواطنين إسرائيليين) لهم حق المواطنة مثل بقية اليهود، دون تمييز أو اضطهاد مثلما الذي يمارس ضدهم.

إن حالة التميز والاضطهاد الذي يعاني منه شعبنا في ٤٨ وتزايد حالة الوعي لديهم قد أظهر على السطح تيارات قومية وإسلامية ذات توجهات سياسية تطرح فكرة دولة بجميع مواطنيها، حكم ذاتي للأقلية العربية، دولة ثنائية القومية، تأييد النضال المشروع للشعب الفلسطيني في مناطق ٦٧.

إن بروز هذا التيار السياسي القومي في مناطق ٤٨ أرعب الكيان الصهيوني لأنه تجاوز الطروحات ذات الطابع المطلبي الذي تعود الكيان على سماعها من قبل، إن هذه الطروحات تضرب في الصميم طروحات غلاة التطرف واليمين التي تتحدث عن دولة يهودية صهيونية نقية، وما محاولة اليمين الإسرائيلي في لجنة الانتخابات الإسرائيلية المركزية في منع د. عزمي بشارة والتجمع الوطني، ود. أحمد الطيبي من الترشح للانتخابات إلا دليل قوة الحركة الوطنية في مناطق ٤٨ ومحاولة صهيونية لعملية ترانسفير سياسي، لإقصاء هذا التيار عن الخارطة السياسية.

يقول د. عوزي أراد مستشار نتنياهو ورئيس مؤتمر هوتسليا الذي ضم عشرات الشخصيات الأمنية والأكاديمية الإسرائيلية وكان عنوانه (ميزات الأمن القومي لإسرائيل).

(يجب توزيع السكان اليهود في مناطق إشكالية من ناحية ديمغرافية، وبالأخص في الجليل ومرج ابن عامر والنقب، وذلك من أجل الحؤول دون نشوء تواصل إقليمي لأكثرية عربية يقطع أوصال إسرائيل. شمل مجموعات استيطانية يهودية محاذية للخط الأخضر، مقابل نقل مجموعات سكانية عربية من المثلث الصغير وتجمعات بدوية في النقب الشمالي إلى السيادة الفلسطينية).

في الدولة الفلسطينية المرتقبة

إن هذا التطرف اليميني للمجتمع الإسرائيلي وللمؤسسة الحزبية والأمنية جاء نتيجة:

أ- سقوط كل أوهام إسرائيل في أسرلة وتذويب الهوية الوطنية والقومية للشعب الفلسطيني في مناطق ٤٨، وما مساندة هذه الجماهير للانتفاضة الفلسطينية في الضفة وغزة وتقديمهم ثلاثة عشر شهيد وألف جريح إلا دليلا ساطعا على ذلك.

ب- تنامي الروح القومية لدى جماهير شعبنا في مناطق ٤٨، قد يدفعهم في المستقبل إلى رفع مستوى النضال ضد الإسرائيليين عن طريق انتفاضة من نوع ما، والمطالبة بحكم ذاتي للأقلية العربية داخل إسرائيل.

تزايد الصراع الطبقي

كشف تقرير برلماني صهيوني أن هناك فجوة هائلة تفصل بين الأغنياء والفقراء، ويعتبر التقرير أن القطاعات البدوية والحريدية والأثيوبية هي قنبلة اجتماعية موقوتة، إذ تبلغ نسبة البطالة في القطاع البدوي حوالي ٣٠٪ وفي القطاع الحريدي يشير التقرير إلى أن ٧٥٪ من الذين تزيد أعمارهم عن ثمانية عشر لا يعملون وفي وسط المهاجرين الأثيوبيين يعمل ٩٢٪ منهم في مهن قاسية وأجور متدنية. كما أشار تقرير أعدته شركة (بيزنس داتا إسرائيل) إلى أن أكثر من ألف مطعم قد أغلق وكان يشغل أكثر من ٢٥ ألف عامل.

لقد أثار هذا التقرير صدمة في الكيان الصهيوني، لأنه يدرك الأبعاد الاجتماعية والأمنية لوجود هذه الفجوة داخل المجتمع الإسرائيلي.

إن الذي سيزيد من حدة الصراع الطبقي هو دخول الصراع الطائفي على خط الصراع الطبقي بمعناه الاقتصادي، هذا إذا علمنا أن الصراع الطائفي هو شكل من أشكال الصراع الطبقي، كما قال الشهيد مهدي عامل.

إن ازدياد الفقراء فقراً والأغنياء غنى، سيؤدي إلى احتمال تصاعد نزعات العمل ذات الطابع الطبقي الطائفي.

إن الذي يؤجل من تسعير حدة التناقضات داخل المجتمع الإسرائيلي هو العدو الخارجي الذي يستهدف وجودهم كما يروجون، إن اليمين الإسرائيلي استطاع أن يحشد المجتمع ويؤجل من تناقضاته مؤقتا عبر بث جملة من الأكاذيب ستنكشف عاجلا أم آجلا أمام هذا المجتمع.

لقد بات مطلوب منا العمل على تصعيد حدة التناقضات داخل المجتمع الإسرائيلي، كأحد العوامل المساعدة لتحقيق حقوقنا الوطنية من خلال القراءة الدقيقة لكل مظاهر التناقضات، والعمل على تعميقها من خلال استراتيجية سياسية كفاحية فكرية إعلامية موحدة.

الانتفاضة وهزيمة دعاة التطبيع في مصر

عبد الغفار شكر

واجهت الثورة الفلسطينية العديد من التحديات الخطيرة، وهي ماتزال صامدة أمامها حتى الآن بفضل الاستعداد العالي للتضحية لدى الشعب الفلسطيني، وبفضل قدرة قياداتها على تفهم الأوضاع المحيطة بالثورة، وكيفية مواجهتها بحكمة. وفي سياق المقاومة الشعبية المتصلة للعدوان الصهيوني ظهرت تحديات جديدة وخاصة بعد توقيع اتفاقيات أوسلو التي هيأت مجالا خصبا لتصاعد نغمة التسوية السلمية لدى بعض الدوائر في الوطن العربي وما ترتب على ذلك من دعوة للتطبيع بحجة كسب أنصار السلام في إسرائيل، وقد برز هذا التحدي بوجه خاص في مصر حيث حرصت إسرائيل والحركة الصهيونية مدعومة بتأييد واضح من الولايات المتحدة الأمريكية على عزل مصر عن ساحة الصراع العربي الصهيوني مستفيدة في ذلك من توقيع مصر اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع الكيان الصهيوني، وعاش سفير العدو الصهيوني في القاهرة في عزلة كاملة، وحرص المصريون بكل فئاتهم على محاصرة محاولات التطبيع، وعجزت الحكومة المصرية أن توفر لرئيس الدولة الصهيونية عندما زار مصر لقاء مع المثقفين المصريين أو زيارة لشركة الحديد والصلب، ورغم المواجهات المستمرة بين القوى الوطنية والقومية في مصر وبين دعاة التطبيع إلا أن صوتهم ارتفع في السنوات الأولى من التسعينات، وانتهزوا الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة التي يمر بها المجتمع المصري للترويج لأفكارهم مستخدمين منطقا زائفا يقوم على الدعوة إلى اهتمام مصر بمصالحها الخاصة، والتركيز على إيجاد حلول لمعاناة المصريين، وانطلقوا في دعوتهم هذه من مجموعة من الأفكار في مقدمتها:

أولا: إنكار عروبة مصر:

وأن معظم المشاكل التي يعاني منها المجتمع المصري والشعب المصري كانت نتيجة مباشرة لتورط مصر في معارك عديدة نتجت عن التوجه القومي لثورة ٢٣ يوليو، وأن ابتعاد مصر عن المشاكل العديدة في المنطقة العربية سوف يوفر لها إمكانيات كثيرة تبددها في الساحة العربية بما يمكنها من حل هذه المشاكل.

وتناسى دعاة التطبيع في إنكارهم لعروبة مصر حقائق التاريخ والجغرافيا، وأن تحرر مصر واستقلالها كان على مر التاريخ مرتبطا باستقلال الوطن العربي وتحرره، وأن تعرض أي جزء من الوطن العربي لغزو خارجي لم يكن يتوقف إلا بعد غزو مصر لكي تستقر الأمور للوافد الأجنبي، وفي كل مرة تسعى مصر للتحرر من هذا الأجنبي لم يكن ذلك ليتم إلا بعد أن تتحرر كل الأرض العربية. كانت مصر في كل مرة تدافع عن نفسها وهي تشارك في تحرير الأرض العربية، تأكد ذلك في مواجهة الفرس والرومان والصليبيين والمغول والاستعمار الأوروبي الفرنسي والبريطاني.

ثانيا: تجاهل الطبيعة التوسعية العدوانية للمشروع الصهيوني:

وكانت مغالطة دعاة التطبيع هنا واضحة، فهم يصورون الأمر وكأن مصر قد حققت مصالحها باستعادة سيناء بعد توقيع معاهدة الصلح بين الحكومتين المصرية والإسرائيلية، وأن قيام علاقات طبيعية مع الكيان الصهيوني يوفر لمصر الأمان ويجنبها مخاطر المواجهة مع إسرائيل. وركز دعاة التطبيع هنا على أن توفير تكاليف الاستعداد العسكري سوف تحقق الرخاء للشعب المصري وسوف تساعد عل حل كثير من مشاكله متجاهلين الطبيعة التوسعية العدوانية للمشروع الصهيوني الذي لن يقنع بالوصول إلى حدود فلسطين التاريخية بل سينتقل إلى مرحلة جديدة أساسها إحكام السيطرة على موارد الوطن العربي ومقدراته، وهو ما بدا واضحا من المكونات الأساسية لمشروع الشرق أوسطية الذي دعا إليه شيمون بيريز وساندته بكل ضراوة الولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية والمؤسسات الرأسمالية الدولية التي حرصت على أن ينعقد دوريا ما تسمى بمؤتمرات التعاون الجماعي في الشرق الأوسط، وقال شيمون بيريز في مؤتمر الدار البيضاء لمندوب مصر: لقد قدتم المنطقة إلى الخراب خلال السنوات الثلاثين الماضية فدعونا نقودها نحو الرفاهية في السنوات القادمة. وطرحت العديد من المشروعات الاقتصادية تقوم كلها على الربط بين اقتصاديات الدول العربية ومشروعات التنمية بينها وبين الاقتصاد الإسرائيلي والشركات متعدية الجنسية بدعم من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي.



وغفل دعاة التطبيع في مصر عن حقيقة المشروع الصهيوني التوسعية اقتصاديا وكذلك عسكريا، وأن سيناء ماتزال في الفكر الصهيوني هدفا ومطمعا تعززه الأفكار الدينية الصهيونية.

وأن إسرائيل لن يهدأ لها بال إلا إذا نجحت في إضعاف مصر وسلبها القدرة على التصدي لمخططاتها التوسعية، وأنها ستقاتل بكل ضراوة من أجل استمرار تقييد الوجود العسكري المصري في سيناء واستمرار محطات التجسس الأمريكية هناك، لإخطار إسرائيل بأي تطور في هذا المجال يتجاوز ترتيبات الأمن الموقعة في معاهدة الصلح بين الدولتين، وأن إسرائيل عندما تطمئن إلى خروج مصر كلية من ساحة الصراع العربي الصهيوني ستكون قادرة على فرض شروطها على دول عربية أخرى، وتحقيق أطماعها التوسعية بالنسبة لأجزاء جديدة من الوطن العربي.

ثالثاً: الفصل بين الأمن القومي المصري والأمن القومي العربي:

وتأتي هذه المقولة كنتيجة طبيعية لتجاهل الطبيعة العدوانية التوسعية للمشروع الصهيوني. حيث يرى دعاة التطبيع ويروجون لفكرة أن الأمن القومي المصري يمكن أن يتحقق بتعزيز العلاقات مع إسرائيل وتحويلها إلى علاقات طبيعية، وأن ذلك كفيل باستقرار الأوضاع على حدود مصر مع إسرائيل. وأن تطوير العلاقات مع إسرائيل سيقوي معسكر السلام داخلها، وسيعزز الاتجاه بين دوائر إسرائيلية واسعة نحو التوقف عن الاعتماد على القوة العسكرية في علاقاتها مع مصر. وستنشأ مصالح مشتركة بين الطرفين تعزز التعاون بينهما، مما يفسح المجال لتعزيز فرص السلام على حساب مخاطر الحرب وتأمين الأمن القومي المصري دون الحاجة إلى الإنفاق على القوات المسلحة أو الدخول في سباق للتسلح يهدر إمكانيات مصر وقدراتها على حساب عملية التنمية، ويروج دعاة التطبيع لأكذوبة مفادها أن أمن مصر القومي يمكن أن يتحقق بمعزل عن الأمن القومي العربي، متجاهلين الحقيقة التي أكدتها إسرائيل على مدار تاريخها، وهي أنها تنظر إلى مصر باعتبارها الخطر الأكبر، وأنها لن تهدأ إلا إذا جردت مصر من مصادر قوتها العسكرية التي تتعزز بالتأكيد، بالتعاون العربي في هذا المجال. وخاصة في ظل اتفاقيات الدفاع العربي المشترك عندما يتم تفعيلها.

رابعاً: الزعم بأن التطبيع يزيد فرص التطور الديمقراطي:

ومن الأفكار التي ينطلق منها منطق دعاة التطبيع أن الصراع العربي الصهيوني أوجد الفرصة لنمو مظاهر الاستبداد السياسي في الوطن العربي، وأن نظم الحكم العربية قد استندت إلى الخطر الإسرائيلي لكمّ الأفواه وحرمان الشعوب العربية من حرياتها وحقوقها في المشاركة السياسية، وأن إقامة علاقات طبيعية مع إسرائيل وانتهاء المواجهة المسلحة سوف يهيء الفرصة لمزيد من التطور الديمقراطي، ويقطع الطريق على قوى الاستبداد السياسي، ويتجاهل دعاة التطبيع أن الاستبداد موروث قديم في الوطن العربي، وأنه لم ينشأ مع تصدير الشعوب العربية للخطر الصهيوني. وأن القوى الوطنية والقومية تدعو منذ فترة طويلة لإنهاء الاستبداد السياسي كشرط ضروري لفاعلية المواجهة مع إسرائيل، وأن تحرير إرادة الشعوب وحصولها على حرياتها الإنسانية وحقوقها السياسية هو الكفيل ببروزها في الساحة كطرف أساسي في الصراع مع العدو الصهيوني، وأن امتلاك الشعوب العربية لإرادتها وسيطرتها على مقدرات الأمور في بلادها ومشاركتها في صياغة البيانات العامة سوف يزيد من فاعلية المواجهة والتعبئة، وسيمكن الشعوب من استغلال قدراتها وثرواتها على أفضل نحو ممكن، وعدم إهدارها في مغامرات غير مجدية كما حدث في الماضي.

الانتفاضة تسقط منطق التطبيع

كان للانتفاضة الشعبية الباسلة أكبر الأثر في مواجهة دعاة التطبيع وإثبات فساد منطقهم هذا، وقد انهارت كل حججهم بمجرد مشاهدة ملايين المصريين المشهد الوحشي لاغتيال محمد الدرة، فتأكد لديهم من جديد أن المواجهة مع هذا العدو لا يمكن أن تنتهي إلا باستعادة الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة وأرضه السليبة. وتجددت مرة أخرى ذكريات المصريين المريرة مع العدوان الصهيوني وما فعله مع الأسرى المصريين من قتل جماعي وانتهاك لأبسط الحقوق التي نصت عليها الاتفاقيات الدولية، كما تأكد لهم أنه لا يمكن اختزال القضية على هذا النحو التبسيطي المحلي الذي اعتمده دعاة التطبيع في مصر، ومع تصاعد المقاومة الشعبية الفلسطينية لقوات الاحتلال الصهيوني في الضفة وغزة وسقوط مئات الشهداء والجرحى في هذه المواجهة غير المتكافئة، تأكد للمصريين مرة أخرى طبيعة المشروع الصهيوني العدوانية، وما يمثله من خطر على مصر إذا نجح في التهام ما بقي من أرض فلسطين. واختفى دعاة التطبيع من الساحة، وخفت صوتهم إلى درجة أننا لم نعد نسمع منهم أو عنهم، خاصة وأن إسرائيل قد تنصلت من تنفيذ التزاماتها في اتفاقيات أوسلو وما ترتب عليها من وثائق، وعادت إلى احتلال الأرض التي دخلت في إطار مناطق السلطة الفلسطينية، واستخدمت كل أسلحتها في قمع الشعب الفلسطيني وتدمير المزروعات والمنازل، وارتكبت المذابح ومارست سياسة منهجية لاغتيال قيادات المقاومة بهدف حرمان الشعب الفلسطيني من أدنى قدرة على استعادة حقوقه الوطنية المشروعة. وتأكد لدى المصريين من جديد أن أمنهم القومي مرتبط أشد الارتباط بالأمن القومي العربي. وأن إسرائيل ماتزال تنظر إلى مصر باعتبارها مصدر الخطر الأكبر عليها. وأن حرصها على إخراج مصر من ساحة الصراع هدفه الحقيقي أن تنفرد إسرائيل بالقدرة على توجيه أمور المنطقة بما يتفق مع مصالحها على حساب المصالح العربية. وانكشفت أمام المصريين أكذوبة معسكر السلام داخل إسرائيل، فقد اختفت الأصوات الداعية للسلام، وأعيد رص الصفوف داخل الكيان الصهيوني بما يتفق مع متطلبات قمع مقاومة الشعب الفلسطيني. ولم يعد هناك في إسرائيل صقور وحمائم بل الكل شريك في جريمة إبادة الشعب الفلسطيني، واشترك حزب العمل مع حزب الليكود في حكومة واحدة مارست كل ألوان وأشكال القمع ضد شعب أعزل لا يملك سوى الحجارة والسلاح الشخصي.

وهكذا كان للانتفاضة الكلمة العليا بالنسبة لمنطق التطبيع ودعاته، حيث أثبتت فساد هذا المنطق. واتسع داخل مصر حجم المساندة الشعبية للانتفاضة، وتزايدت المطالبة بقيام مصر بدور أساسي في مواجهة العربدة الإسرائيلية، وحظيت الولايات المتحدة الأمريكية بكراهية شعبية متزايدة لمساندتها العدوان الصهيوني على الشعب الفلسطيني، بل وتحريضها ضد منظمات المقاومة الفلسطينية والخلط بين المقاومة الوطنية الفلسطينية المشروعة ضد الاحتلال وبين الإرهاب. ومباركتها اغتيال قادة المقاومة وتصديها في مجلس الأمن ضد أية محاولة لإدانة العدوان الصهيوني.

وليس من شك في أن هذه التطورات في ساحة المواجهة وتزايد الوعي الشعبي بمخاطر التطبيع، وضرورة مساندة انتفاضة الشعب الفلسطيني تلقي مسؤولية جديدة على الحركة الوطنية الفلسطينية بمختلف فصائلها، لكي تحافظ على قوة الدفع التي تحققت في مقاومة الاحتلال، وعلاج نقاط الضعف في الجبهة الفلسطينية بالحرص على توفير أفضل الظروف للوحدة الوطنية الفلسطينية في إطار ديمقراطي وتحت قيادة موحدة تعمل وفق برنامج نضالي يشارك الجميع في تحديد أولوياته، بما يتفق مع قدرات الشعب الفلسطيني وبذلك تضمن مزيداً من التأثير للانتفاضة الثانية كما حدث بالنسبة لهزيمة دعاة التطبيع.

البعد النهضوي لانتفاضة الشعب الفلسطيني

عارف الآغا

ليس هناك عاقل يخالف الرأي القائل بأن الأمة العربية تعاني من أزمة عميقة وشاملة. أزمة تطال مختلف أوجه النشاط البشري والحيوي للأمة. وهي ليست على ما يبدو لدى النظر إليها من أية زاوية كانت، أنها أزمة طارئة، بل هي في حقيقة الأمر أزمة مديدة توضعت كطبقة كتيمة فوق سطح حضارتنا الغافية منذ قرون وتغلغلت حتى في تلافيف أدمغتنا. وقد ألقت بظلها القاتم على إنساننا، على مدننا وقرانا وصحرائنا، على ثقافتنا ووعينا، على طرائق تفكيرنا، على أساليب عيشنا وعلى إنتاجنا المادي والفكري والفني.. إنها محنة ترزخ تحت وطأتها تسلبها القدرة على إيجاد أشكال تعبيرها الخاصة بها، وبلورة شعورها الخاص بذاتها، وتأكيدها لنفسها وللعالم من حولها.. وليس أدل على عمق هذه الأزمة في القرن العشرين الحافل بكفاح الشعوب ويقظتها والرغبة في التعبير عن ذاتها، من قيام الدولة الصهيونية في قلب هذه الأمة واستمرارها أكثر من خمسين عاما. إن مصيرها الوجودي في خطر، وما لم تنهض لمواجهة تحديات العصر فإنها، كما يقول المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي عرضة «لأن تفقد قيمتها الأصلية وهيبتها الخارجية ورفاهها المادي، وربما آل بها الأمر إلى الفناء والزوال». لكن الاستجابة للتحديات يكفل لها البقاء والاستمرار بفضل القوة الداخلية والخارجية المستمدة من نجاحها. فهل تستجيب لتلك التحديات؟

ثمة في تاريخ كل أمة أو شعب أو مجتمع لحظة ما، لحظة تستيقظ فيها روح كبيرة. روح وثابة تستجيب للصعاب والتحديات التي تهدد كيانه ووجوده ورد الفعل الذي يقوم به هذا المجتمع هو الذي يكفل له البقاء والاستمرار والازدهار.

وفي الثامن والعشرين من أيلول من العام الأخير من القرن الماضي تصاعد نداء غامض مفعم بالحيوية والتحدي تصاعد من أعماق الوجود الحي للشعب الفلسطيني مؤذنا بميلاد تلك الروح الكبيرة التي استيقظت في باحة الحرم القدسي، وسرعان ما انداحت في مختلف أرجاء الأرض الفلسطينية. وما تزال هذه الروح الكبيرة بعد أكثر من عامين على انبثاقها تضطرم بنيران التحدي، وتنمو بفعل قوتها الداخلية والخارجية المستمدة من نجاحاتها. وفي مقدمة تلك النجاحات قدرتها على البقاء والاستمرار بنفس قوة رد فعلها الأولي ونبضها الحيوي، وبما تتمتع به من إرادة قادرة على الصمود ومجابهة التحدي الصهيوني الذي يتهدد كيان الشعب الفلسطيني ووجوده السياسي والمادي. وليست الانتفاضة بكل تجلياتها سوى صورة ناطقة لتلك الروح الكبيرة، وتعبيرا مجسدا لها ومدخلا لحقبة جديدة في تاريخ الشعب الفلسطيني، وربما في تاريخ شعوب الأمة بأسرها.

والمثير للدهشة والغرابة والخطورة في آن معا أن انبثاق هذه الروح قد نما وولد في تربة عربية بائسة يائسة ضعيفة وممزقة وخائرة مترددة وحائرة، تعيش عصر الثورات العلمية الكبرى ولا تكون فيه. وتعيش عصر القوة من غير قوة، وتنشد السلام دون استعداد للحرب، وتستحضر أمجاد الماضي دون أن تعد لاحتمالات المستقبل. وبإيجاز نقول: تعيش أزمة شاملة وعميقة مركبة ومعقدة ومتعددة الأوجه والميادين، وتبحث - دون جدوى حتى هذه اللحظة - عن هوية وموقع ودور على المسرح الدولي في مناخ مغرق في عدائه وعدوانيته وهيمنته شبه المطلقة على مصائر الشعوب بل على مصير كوكبنا برمته. ومع كل هذا انبثقت هذه الروح مفعمة بالإرادة والحيوية والتصميم على النصر.

وفي بيئة هذه التربة الفقيرة من ناحية بعدها العربي والعدائية من ناحية مناخها الدولي، واصلت الانتفاضة، هذه الروح الكبيرة، مسيرتها دون تباطؤ أو وجل، لتضع العربي بل لتفرض عليه خياراً حاسماً مضى وقت طويل على تجنبه والهرب منه تحت ذرائع المتغيرات الدولية ومقولات أخرى على شاكلة كفانا هزائم واستحالة الحسم العسكري وضرورة الالتفات إلى التنمية ومواجهة تحديات العولمة والعقلانية السياسية وفن الممكن، وغيرها من المقولات والتبريرات التي أنتجتها الأزمة، والتي بدورها تفرخ ازمات، وتخلق حالة او مرحلة شاذة في التاريخ العربي المعاصر عنوانها «طاني ولكن دعني أعيش». لكن من يرضى بهذا العنوان لن يكتب له البقاء ولن يعيش، لذلك تعالت وتتعالى صيحات هنا أو هناك من بعض النخب من الإنتلجنسيا العربية منذرة تارة بمصير تعس، وداعية تارة أخرى إلى مشاريع نهضوية ظلت في واقع الأمر مجرد كتابات على الورق أو صيحات لا أصداء لها. لكنها على أية حال تدرك الأزمة وتشير إليها وإلى الطرق المؤدية للخروج منها. لكن الرافعة اللازمة لتجاوز أزمتنا بحاجة إلى الفعل إلى جانب الفكر، فالرغبة في التغيير وحدها لا يمكن أن تحقق التغيير ما لم ترافقها الإرادة لذلك. والإرادة في نهاية المطاف فعل. لذلك يمكننا القول بمنتهى الثقة أن الانتفاضة الفلسطينية رغبة وإدراك وإرادة فاعلة، وهذا الفعل العنيف والتحدي المصبوغ بالدم قد حرك الأمواج في بحيرة المياه العربية الراكدة أو بكلمة أخرى أعاد إلى معادلة توافق الفكر والفعل شيئا لو يسيرا من توازنها المفقود.

والتساؤل الذي يمكن أن يطرح نفسه اليوم بعد دخول الانتفاضة عامها الثالث، دون أن نغفل بالطبع أحداث الحادي عشر من أيلول وتداعياتها الدولية والإقليمية، وذاك المناخ الدولي المشحون بالتوتر والعداء للأمة العربية والعالم الإسلامي والتحضيرات الجارية على قدم وساق لشن الحرب على العراق، والسيناريوهات المعدة لإعادة تشكيل الخارطة السياسية للمنطقة العربية وفق المصالح الأميركية والصهيونية، التي تضع الأمة أمام إحدى مفارق الطرق الكبرى في تاريخها المعاصر، يقول ذلك السؤال: إلى أي مدى لعبت وتلعب الانتفاضة الفلسطينية، يقظة تلك الروح الكبيرة، دورا في حاضر الأمة العربية ومستقبلها، وفي إمكانية إثارة دوافع الاستيقاظ والنهوض الموحد والمشترك للروح الكبيرة للأمة كلها؟ وهل تؤسس الانتفاضة لحقبة نهضوية عربية تخرجها من حالة العجز والتشرذم الراهنة ومن الارتهان للإرادة الدولية الباغية وتدفعها للاستجابة والرد بنجاح على التحديات التي تواجهها والتي بانتظارها في المستقبل القريب؟..

لا يجادل عاقلان في أن التحدي الصهيوني

المدعوم مادياً وسياسياً وإعلامياً ومعنوياً، بقوى دولية كبرى هو الأخطر في تاريخ الأمة العربية المعاصر، ورد فعلها أو استجابتها لهذا التحدي سواء إيجاباً أو سلباً هو مقياس قدرة هذه الأمة على إثبات ذاتها أو نفيها. وإزاء يقظة روح الشعب الفلسطيني وتصاعد الهجوم المضاد الصهيوني بكل ما فيه من وحشية وغطرسة وعنف دموي، تتقلص خيارات التحدي السلبي الداعية إلى حوار تصالحي، وتتراجع إلى الخلف القوى التي تتبنى هذا النهج وتدافع عنه باستماتة يائسة، دفاعاً عن مصالحها ومواقعها وخطابها السياسي الانبطاحي الذي فقط مصداقيته وقابليته للحياة بعد عشر سنوات من الدوران في متاهات التسوية. ولا نجانب الحقيقة إذا زعمنا أن هذه الاستجابة السلبية هي إحدى أهم تجليات أزمة الأمة وأكثرها عمقاً وأشدها تعبيراً عن تخلف الأمة وضياعها. وعلى الجانب المقابل تتبلور خيارات الاستجابة الإيجابية التي صاغتها الانتفاضة الفلسطينية فعلاً نهضوياً انداحت آثاره وتأثيراته لتشمل كافة الفئات والطبقات والشرائح الاجتماعية العربية ذات المصلحة الحقيقية في الحرية والسيادة والتقدم.. وبنفس المستوى وربما بعقلانية أوضح وأكثر تجذراً تفاعلت أوساط القوى الحية في الأمة مع الانتفاضة وشكلت عنصراً هاماً في عملية الضغط الهادفة لإحداث انقلاب ولو تدريجي في النهج السياسي والاجتماعي الذي يفتقر إلى روح الاستجابة الفاعلة لتحديات العصر. ولكن للأسف لم تمتلك هذه الأوساط بعد في معظم الدول العربية الأطر الكفيلة بتنظيم وتفعيل دورها، ولم تشارك مباشرة بعد في صناعة القرارات المصيرية التي تحدد الملامح الرئيسة لحاضر الأمة ومستقبلها. لكنها على أية حال تتحرك في الاتجاه الصحيح المفضي إلى استنهاض الروح الغافية وإلى خلق تربة بيئة أكثر ملاءمة ليقظة روح الأمة التي تعيش لحظات مخاضها الصعبة.

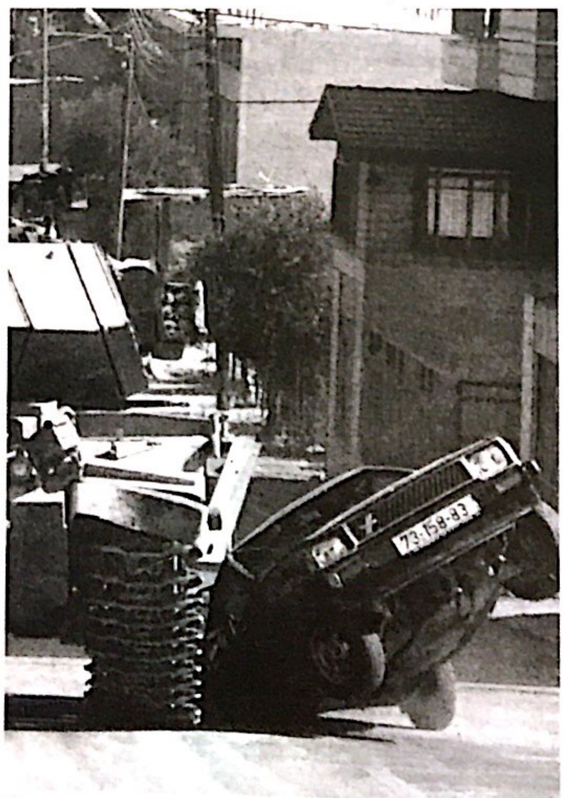
ليس صحيحاً ذاك التصور القائل أن القضية الفلسطينية هي جوهر الصراع العربي الصهيوني، بل الأصح أن الصراع العربي الصهيوني هو جوهر القضية الفلسطينية. فالمشروع الصهيوني لا يستهدف الشعب الفلسطيني وحده، وإن كان هذا الشعب أول ضحاياه. كذلك فإن مشروع التحرير الوطني الفلسطيني عربي بامتياز وإن كان الشعب الفلسطيني رأس الرمح في هذا المشروع. ومادام هذا الرمح مغروزاً في اللحم الصهيوني بصيغته الانتفاضية سيظل فعل تحريض يتنامى يوماً إثر يوم مولداً المناخ الملائم للحظة التي ستستيقظ فيها روح جماهير الأمة الكبيرة، وما حققته في عامها الأول والثاني من صمود أسطوري، وما أبدته من إرادة حاسمة حازمة غير قابلة للكسر أو الانحناء أمام الوحش الصهيوني المنفلت من عقاله، والذي لا يجد من يردعه ويوقفه عند حده سوى تلك الإرادة الانتفاضية المسلحة بيقين النصر والتي استطاعت رغم الحصار والجوع والقتل والدمار أن تزرع الرعب في قلوب الصهاينة. وبات من المؤكد أن الصهيوني في المرحلة الحالية على الأقل يدرك إدراكاً لا ينقصه الغموض، في أن مشروعه الاستعماري الاستيطاني مشروع مؤقت وقابل للانهيار والزوال. وما ميله الشديد والحاد نحو التطرف والعنف الوحشي والعدوانية المفرطة سوى دليل لا يخطئ على حالة الرعب التي يعيش، وعلى الشعور بأنه يقاتل في خندقه الأخير. إن المأزق الذي يواجهه العدو وفشله في إنهاء الانتفاضة يضيف بعداً جديداً لأهمية الانتفاضة وأثرها على الصعيد العربي لما تساهم به من إلغاء لمشاعر اليأس والإحباط وتجاوز تراث من الهزائم والعجز والاستكانة للأمر الواقع.

في إطار هذا الدور الهام الذي تلعبه الانتفاضة من تأصيل لحقائق الصراع، وإنعاش لخيار المواجهة والاستجابة الفاعلة للتحدي الصهيوني ولمن يدعمه ويشجعه على العدوان، لم يعد ممكناً العودة إلى الوراء وبات مفهوم الأمن القومي العربي مطروحاً بإلحاح على النظام الرسمي العربي، وبات دور الجماهير الشعبية وقواها الحية ضاغطاً وفاعلاً ومؤثراً مع أنه مازال في طي الكمون. في إطار هذا المشهد الذي تشتبك فيه القوى على الأرض وتتفاعل التحركات السياسية وتتداخل على إيقاعه، يقف العربي وجهاً لوجه أمام حقائق لم تعد غائبة عنه، وتدفعه مرغماً إذا أراد أن يعيش تحت الأقدام، إلى أن يختار السبيل الذي يهيء لميلاد روحه الكبيرة. إن نداء الانتفاضة يتردد في أسماع العربي كل يوم ويملأ رأسه بحشد من مشاهد المأساة والبطولة، فهل يستجيب كما ينبغي لهذا النداء؟

لاشك في أنه سيفعل. ذلك لأنه بات يرى بأم عينيه أن أزماته تضغط عليه تكاد تخنقه تسد عليه منافذ التنفس، وتشكل خطراً حقيقياً على وجوده. الأمريكيون قادمون والصهاينة يعيثون قتلاً وتدميراً، والتحديات تحيط به من كل جانب، فلا خيار هناك سوى أن يحذو حذو أولئك الذين حملوا أرواحهم على أكفهم وحاصروا بحصارهم عدوهم. إنهم نداء الروح الملح لملاقاة الحياة الحرة الكريمة.

إن شعبنا يناضل منذ أكثر من ثمانين عاماً ضد البريطانيين أولاً والصهاينة تالياً، ويؤمن بالاستشهاد وسيلة للحياة، لا يمكن أن يرفع الراية البيضاء أو ينحني لغاز غاصب وحشي وبربري مهما كانت قوته، ومهما كانت أساليب قمعه وبطشه، ومهما كانت وراءه من قوى إمبريالية عظمى. وإن أمة بحجم وتاريخ وحضارة الأمة العربية، لم تسمح في الماضي للغزاة أن ينالوا من عظمتها ولن تسمح لغزاة و أعداء اليوم مهما كانت حالتها وظروفها الراهنة أن ينالوا من تلك العظمة. لقد مر فوق ترابها الإغريق والفرس والرومان والبيزنطيون والصليبيون والتتار والأتراك والفرنسيون والبريطانيون ولم ينالوا منها. وليست الصهيونية استثناء لهذا التاريخ، رغم طابعها الإحلالي الاستيطاني العنصري المغلف برداء ديني خرافي، والمدعوم بجبروت الشرطي العالمي المنفلت من عقاله.

ولا مغالاة في القول أن الشعب الفلسطيني يجسد في هذا العصر روح الأمة التواقة إلى الحرية والحياة الكريمة الأبية وإلى أخذ مكانتها التي تستحق بين الأمم.



«تصعيد المقاومة ضد الصهيونية العنصرية السرطانية»

شعاراً في مطلع عام ٢٠٠٣

أحمد صدقي الدجاني

هذا ما تبلور في الوقفة الزمنية بمناسبة انتهاء عام ٢٠٠٢ الميلادي، بعد إمعان نظر وإعمال فكر في الواقع القائم على صعيد الصراع العربي الصهيوني، في أبعاده المحلية والإقليمية والدولية.

تبلور هذا الشعار، وفي الاعتبار أن البعد الدولي للصراع يشهد أشرس هجمة تشنها قوى الهيمنة والطغيان الدولية على الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية جمعاء، ودائرته الحضارية الإسلامية. وتقود هذه الهجمة اليوم الإدارة الأمريكية بوصفها زعيمة العولميين المتوحشين في عالمنا، في مخطط مرسوم للانفراد بالقطبية الدولية، والسيطرة على النفط في عالمنا، وإخضاع المقاومين للعولمة المتوحشة أينما كانوا.

في الاعتبار أيضاً، أن البعد المحلي يشهد أفظع جرائم الصهاينة الإسرائيليين على مدى قرن من زرع قوى الهيمنة الدولية لهم في قلب وطننا، ونصف قرن على إقامة دولة لهم عام ١٩٤٨. وما أثقل ما يتحمله ضمير إنسان العصر بعامة والإنسان العربي بخاصة، وهو يشاهد عبر الإعلام المصور هذه الجرائم، ويقرأ في الإعلام المكتوب وصفاً تفصيلياً لها.

في الاعتبار أيضا، أن البعد الإقليمي يشهد أكثف احتقان للمقاومة في دائرة الوطن العربي والحضارة الإسلامية، وأعظم صور مقاومة الاحتلال في فلسطين، وصوراً من مقاومة الشعوب لقوى الهيمنة هنا وهناك.

تبلور شعار «تصعيد المقاومة ضد الصهيونية العنصرية السرطانية»، من خلال استلهام روح الشعب العربي الفلسطيني والأمة العربية جمعاء، هذه الروح التي تجلت في مظاهر كثيرة ومواقف واضحة. وكاتب هذا الحديث حريص على متابعة هذه التجليات يوماً بيوم، ومن خلال تقارير وشهادات موثوقة.

نقف أمام المصطلحات الواردة في الشعار..

فأما «المقاومة»، فهي تشمل كل فعل وكل موقف يواجه اغتصاب الوطن، واحتلال الأرض، وانتهاك حقوق الإنسان، والطغيان بشتى صوره، وهكذا فإن مفهومها يتضمن جميع أبعاد المقاومة، الروحي والسياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري، وهي أبعاد متكاملة تتبادل التأثير فيما بينها. ومن الصعب الحديث عن المهم والأهم فيها، ولكن يمكن في هذه المرحلة بالذات الإشارة إلى الأهمية الخاصة للبعدين الروحي والعسكري.

هذه المقاومة هي أشرف وأنبل الظواهر في عالمنا المعاصر. تجلت على الصعيد العالمي بعد الحرب العالمية الثانية في «ثورة التحرير» التي شاركت فيها حركات التحرير في مختلف الأقطار المستعمرة (بفتح الميم الثانية). وبرز فيها «لاهوت التحرير وفقهه». وأثمرت في وطننا العربي ودائرتنا الحضارية استقلال أقطار كثيرة، واستمرت في فلسطين «القلب» حلقة بعد حلقة في سلسلة ذهبية متوهجة بالضياء، آخرها حلقة انتفاضة الأقصى التي أكملت سبعة وعشرين شهراً.

وأما «الصهيونية»، فهي تلك «العقيدة» العنصرية التي تبنتها قوى الهيمنة الغربية ودعمتها، الساعية لتوظيف اليهود في استعمار استيطاني لفلسطين، بزعم أنهم «شعب» بالمفهوم القومي للكلمة، و«قومية» خاصة تفصلهم عن «الأغيار». وهي تلك الحركة التي عملت على «تهجير» اليهود من أوطانهم إلى فلسطين وإخراج الفلسطينيين مسلمين ومسيحيين من ديارهم بفلسطين. وقد وضعت نفسها في خدمة الاستعمار البريطاني أولاً ثم في خدمة الطاغوت الأمريكي.

عنصرية «الصهيونية» أمر صارخ في مجاهرته سواء في صلب عقيدتها أو في سجل ممارساتها منذ قامت تجاه العرب الفلسطينيين، وتجاه بعض اليهود أيضاً، الشرقيين والسود الفلاشا. فماذا عن كونها «سرطانية»؟ وهذا الوصف يستخدمه كاتب هذا الحديث لأول مرة.



«السرطانية» هنا تدل على شهوة تكاثر مطلق لا يحده حد على صعيد الاستعمار الاستيطاني. وهذه الصفة في الصهيونية هي التي جعلت زعماء الصهيونية لا يقومون برسم حدود الكيان الإسرائيلي عند إقامته، وقصدوا أن يجعلوها «حدوداً مفتوحة»، وتابعوا مخططهم في إقامة المستعمرات الاستيطانية في أراضي فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨، ثم في فلسطين المحتلة عام ١٩٦٧ بعد حرب الأيام الستة، بل وفي الأراضي العربية المحتلة آنذاك في الجولان وسيناء. ولم يخف هؤلاء أن «حدودهم المؤقتة» تقف عند آخر جندي إسرائيلي يحتل أرضاً عربية. كما جاهروا بالحديث عن توسع في عدة

أقطار عربية مجاورة. وقد عمدت قوى الهيمنة الطاغوتية الغربية على دعم برامج الاستعمار الاستيطاني هذه، ماديا بالأموال، ومعنويا بالحيلولة دون إصدار قرارات أممية من مجلس الأمن يجري تطبيقها لإيقاف هذا العدوان الصهيوني على القانون الدولي. وهكذا رأينا مئات المستعمرات الاستيطانية الصهيونية تقوم وتتوسع، ومعها عشرات البؤر الاستعمارية الاستيطانية التي تتحول بدورها إلى مستعمرات استيطانية، كما رأينا الحركة الصهيونية سادرة في تهجير مزيد من يهود العالم من أوطانهم إلى فلسطين المحتلة.

يرتفع هذا الشعار في مطلع عام ٢٠٠٣ معبراً عن إرادة الشعب والأمة في وقت يستميت فيه العدو الصهيوني لإثبات «نظريته الأمنية» التي تقول بـ «كسر رؤوس العرب»، وفرض الاستسلام عليهم ليقبلوا الأمر الواقع الذي يرسمه هو، وفي وقت تبنت فيه إدارة بوش الأمريكية هذه النظرية الأمنية ودعمتها في نطاق حربها ضد المقاومين للعولمة المتوحشة التي تسميها «الحرب ضد الإرهاب». وقد تضافرت جهود قوى الهيمنة الأمريكية والصهيونية العنصريين لإثبات صحة نظريتهم بإرعاب الشعب المقاوم من جهة، وشن حملة إعلامية لتشكيكه بجدوى المقاومة من جهة أخرى، وصولا إلى إسكات صوت مقاومته. ولافت أن جميع المبادرات السياسية الأمريكية تحدد نقطة البدء بإيقاف المقاومة أولا ثم يكون كذا وكذا..!! وهاهو مجرم الحرب شارون يوم كتابة هذه السطور الأحد ٥/ ٢٠٠٣/١ يتحدث عن «تصدع» في جبهة المقاومين يمكن أن يفتح الباب أمام طرح سياسي يلتقي مع ما طرحه الرئيس بوش بشأن دولة فلسطين.

شملت هذه الحملة الإعلامية الإسرائيلية الأمريكية للفت في عضد المقاومة، صدور تصريحات في الساحة الفلسطينية لنفر معزولين، جاهروا بطلب إيقاف انتفاضة الأقصى، وأدانوا «عسكرتها»، وتباكوا على ما خسرته السلطة الفلسطينية، وما أسرع ما أجمع الشعب والأمة على إدانة هذه التصريحات وتفنيد مضمونها، ومتابعة عزل أصحابها اجتماعياً وشعبياً. وكان أبشع ما آذى المشاعر في هذا الجانب من الحملة الإعلامية، هو المساس بمقام العمليات الاستشهادية وأبطالها الاستشهاديين وتبني مصطلح العدو في تسميتهم.

لقد دلل صمود الشعب أمام الإجرام الصهيوني اليومي وهذه الحملة الإعلامية، وتمسكه بالمقاومة، على وعي بأن المطلوب اليوم هو أن يقر العدو الصهيوني وقوى الهيمنة الأمريكية بداية فشل نظريتهم الأمنية الإرهابية المجرمة، قولا وعملاً، ومن ثم يكون البحث في مسار الصراع وهذا يتحقق بتصعيد المقاومة، وشعبنا قادر على ذلك.

أجدني عند هذا الحد من حديثي هذا الذي بدأت كتابته صباح السبت ٢٠٠٣/١/٤، وتابعته مساء الأحد، أقف أمام خبر حدوث عمليتين استشهاديتين في قلب تل أبيب، الأمر الذي يدلل على قرار شعبنا بتصعيد مقاومته وقدرته على ذلك، وعلى ضرب نظرية العدو الأمنية.

أتابع الحديث مع شروق شمس الاثنين ٦/ ٢٠٠٣/١، وقد تتبعت ردود الفعل على هاتين العمليتين الاستشهاديتين، وبخاصة رد فعل المستعمر المستوطن الصهيوني متمثلاً في حكومة الكيان الإسرائيلي.

جاء رد الفعل الإسرائيلي هذا في عدة إجراءات تستهدف المقاومة والشعب من جهة، من قصف بالصواريخ والقيام بمزيد من الإرعاب والقمع. كما تستهدف تحرك السلطة الفلسطينية من جهة أخرى، من منع انعقاد المجلس المركزي يوم ١/٩ ومنع سفر وفد فلسطيني إلى بريطانيا تلبية لدعوة رئيس حكومتها. وهو كما توقعنا رد فعل مستعمر مستوطن يشتد حصار المقاومة عليه، فتأتي تصرفاته بعيدة عن العقلانية، هوجاء إجرامية، تنفخ في مجموعها في أوار المقاومة، وتكشف عن عجزه عن السير في طريق أي حل سياسي. وهو عجز نابع من طبيعة الاستعمار الاستيطاني، وقد صادفني وأنا أراجع أوراقاً قديمة، بحث لي في تحليل هذا العجز نشرته قبل ثلاثة عقود مجلة «الطليعة» القاهرية يصدق في خطوطه الأساسية على ما تقوم به الحكومة الإسرائيلية اليوم.

وبعد..

فإن تبني الشعب والأمة لشعار تصعيد المقاومة ضد الصهيونية العنصرية السرطانية في عام ٢٠٠٣ يستلهم ذكرى ميلاد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ويشد أنظارنا ناحية بيت لحم وكنيسة المهد التي تعاني الحصار الإسرائيلي الإجرامي، وكنيسة القيامة في القدس، حيث المسجد الأقصى. تماماً كما استلهمنا من شهر رمضان وعيد الفطر عزماً متجدداً لزهق الباطل الصهيوني والبغي الطاغوتي الأمريكي.

في عملنا الدؤوب لتنفيذ هذا الشعار، نوظف الخبرات التي خرج بها الشعب والأمة من سبعة وعشرين شهرا من انتفاضة الأقصى وهي:

- فهم أعمق لحقيقة أن الكيان الإسرائيلي هو كيان استعمار استيطاني صهيوني عنصري سرطاني. ولا بديل لبلوغ السلام في منطقتنا عن «نبذ الصهيونية العنصرية السرطانية» المتسلطة اليوم على اليهود في العالم بدعم قوى الهيمنة.

- فهم أعمق لحقيقة العلاقة بين قوى الهيمنة الغربية وهذه القاعدة الاستعمارية الاستيطانية. وهي تتجلى اليوم وكأن الكيان الإسرائيلي امتداد سرطاني للتوسع الاستعماري الأمريكي.

- فهم أعمق لحقيقة أن الصراع الذي نخوضه ضد قوى الهيمنة والصهيونية هو صراع «النفس الطويل»، ولا بديل فيه عن متابعة المقاومة القادرة بطبيعتها على التجدد والتصاعد.

نوظف أيضاً في سعينا لتصعيد المقاومة فهمنا للوضع الراهن في عالمنا الذي يحتدم فيه الصراع بين العولميين بقيادة حكومتي أمريكا وبريطانيا والمقاومين للعولمة المتوحشة، وهم كثر في جميع دوائر عالمنا الحضارية. وعيوننا مفتوحة على الحرب التي أعلنتها إدارة بوش في ٢٠٠١/١٠/٧ حين استهدفت أفغانستان. وأعطت الضوء الأخضر قبل ذلك بعام للصهاينة لفتح جبهة فلسطين، حين اقتحم مجرم الحرب شارون المسجد الأقصى بالقدس يوم ٢٠٠٠/٩/٢٨، وهاهي تحشد أسلحتها لفتح جبهة العراق. ويدرك دارس التاريخ ما لهذه الحرب من تداعيات ومضاعفات بدأنا نرى بعضها وسوف نرى كثيراً منها في عام ٢٠٠٣، وهناك مجال واسع لمقاومتنا في كسب تأييد المقاومين للعولمة المتوحشة أينما كانوا وبخاصة في دائرة الحضارة الغربية. وقد رأينا أمثلة على ذلك في مظاهرة فلورنسا ومظاهرات أخرى.

نركز النظر على اليهود المعادين للصهيونية بين المقاومين للعولمة المتوحشة، ونتابع تصديهم لها، ونزداد تعرفاً عليهم، وقد بدؤوا يتزايدون في أوطانهم في الغرب وداخل الكيان الإسرائيلي نفسه، ويتحركون للتخلص من الصهيونية عليهم وتوظيفها لهم «ذخيرة سلاح» لقوى الهيمنة. وقد نشرت الأهرام ويكلي يوم ٢٦/ ٢٠٠٢/١٢ مقالاً لروبن هيرش المحاضر في يونيفرستي كوليدج بلندن، يقدم مثلاً على ذلك. وهناك أمثلة كثيرة أخرى تستحق أن نفرد لها حديثاً خاصاً.

نعم، سيكون بإذن الله عام ٢٠٠٣ حافلاً بتصعيد المقاومة ضد الصهيونية العنصرية السرطانية، يتقدم بنا على طريق تحرير القدس وفلسطين وإنقاذ اليهود غير الصهاينة من تسلط الصهاينة.

الحرب العدوانية على العراق

أبو أحمد الزعتر

على الرغم من أن العراق نفى امتلاكه لأسلحة الدمار الشامل ووسائل صنعها، وقدم تقريراً بذلك من اثني عشر ألف صفحة. وعلى الرغم من تعاون العراق التام مع المفتشين الدوليين، الذين لم يجدوا شيئاً حتى الآن من الأسلحة المحظورة، واستعداده لاستقبال خبراء أمريكيين بخصوص الأسلحة المحظورة، حتى يتقي ضربة عسكرية متوقعة. وعلى الرغم من قناعة الإدارة الأمريكية أن العراق لا يشكل خطراً عليها ولا على «إسرائيل»، إلا أن الاستعدادات الأمريكية والبريطانية وتحشيد الأساطيل البحرية والجوية والقوات البرية جارية على قدم وساق، تمهيداً لشن حرب ضروس تدمر العراق وتغير نظامه السياسي وتنصب نظاماً موالٍ للولايات المتحدة ومستسلماً للإرادة «الإسرائيلية».

وحتى تكتمل قصة «الذئب والخروف» فإن وزير خارجية بريطانيا «جاك سترو» خرج برأي شديد الغرابة بقوله: «إذا أجاب صدام حسين نافياً ملكية بلاده أسلحة دمار شامل ووسائل إنتاجها، فأعتقد أن ذلك سيفسره مجلس الأمن بصفته انتهاكاً لموجبات القرار ١٤٤١». وهذا يستدعي شن حرب عليه. وإذا أقر بوجود أسلحة دمار شامل فهذا يقود إلى اتهام العراق بالكذب والخداع وتضليل مجلس الأمن، وهذا يستدعي أيضاً شن حرب لتدميره. فالحرب حتمية برأي بريطانيا على كلا الحالتين.

أما إدارة الرئيس بوش، التي ينتمي معظم أعضائها إلى اليمين الصهيوني، فلا تشعر أنها بحاجة إلى مبررات لشن الحرب وتغيير النظام العراقي بالقوة. فاليمين المسيحي الصهيوني، فضلاً عن اليمين العلماني، قد بدأ ينهض وينمو ويقوى منذ أوائل الثمانينات من القرن الماضي إبان رئاسة الرئيس ريغان. وحتى أن معظم «صقور» الإدارة الأمريكية الحالية كانوا في إدارة الرئيس بوش الأب.

اليمين المسيحي الصهيوني:

يؤمن هؤلاء أن «إسرائيل» أرض الميعاد التي وعدها الرب لليهود. وهم مسكونون بعقيدة عودة المسيح، المشروطة باجتماع اليهود في فلسطين، ومهووسون بحرب «الأرماجدون»، وهو المكان الذي سيبيد فيه المسيح العائد «قوى الشر». وهم يرون أن إنشاء دولة «إسرائيل» عام ٤٨ وما يجري الآن في الأرض المحتلة كلها إرهاصات ما يتوقعون أن يحصل. ولذلك، فإن ائتلاف اليمين المسيحي واليمين العلماني واللوبي الصهيوني «إيباك» له أكبر التأثير على قرارات الحكومة الأمريكية ومواقفها من «إسرائيل» وفلسطين والعراق والوطن العربي، حيث يستخدم هؤلاء مئات المحطات الإذاعية المسموعة المرئية وكتاب عمدان الرأي في الصحف والكنائس الجنوبية لدعم شارون وإطلاق يده في الأرض المحتلة.

ولقد قال أحد قادتهم: «فالويل» (إن إسرائيل والإجهاض هما القضيتان اللتان تربوان على كل التحالفات والصداقات). ويقدر عدد هؤلاء، الذين ينتمون إلى «اليمين المسيحي الصهيوني» المتحالفين مع اللوبي اليهودي ومراكز «إنتاج الأسلحة» واليمين العلماني والمحافظون الجدد بحوالي ٣٠ مليوناً يسيطرون على ١٨ ولاية ولهم نفوذ كبير في ١٣ ولاية أمريكية أخرى.

إنهم يرون في مساعدة إسرائيل وشارون والليكود وترحيل الفلسطينيين واجباً يفرضه الكتاب المقدس.

إن «زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس النواب الأمريكي» ريتشارد آرمي والذي انهالت عليه المساعدات المالية اليهودية، اقترح في برنامج تلفزيوني يذاع على نطاق الولايات المتحدة أن يتم ترحيل الفلسطينيين إلى خارج الضفة الغربية، وهي دعوة سافرة إلى تطهير عرقي غير مشروع أطلقها سياسي أمريكي كبير.

وقد ضيق المحافظون الجدد الخناق على كل الآراء المخالفة لآرائهم وخاصة في مجالات محاربة الإرهاب ومعاداة العراق ومساندة إسرائيل. فتعرضت كثير من الصحف لضغوطاتهم، فتراجعت عن انتقاد جرائم شارون مثل «لوس إنجلس تايمز» و«شيكاغو تريبيون» و«ميامي هيرالد»... إلخ.

قوة الإمبراطورية الأمريكية العظمى: فرديتها وعدوانيتها:

تشعر الولايات المتحدة الأمريكية أنها تمتلك أكبر قوة على الكرة الأرضية، بما لا يقاس بالمقارنة مع الدول الكبرى الأخرى، وذلك على الصعد: العسكرية والاقتصادية والإعلامية والثقافية.

فقوتها العسكرية أضعاف قوة من يليها من الدول، وموازنتها العسكرية ضعف موازنات كل شركائها في حلف الناتو. ومع أن سكانها ٥٪ من سكان العالم لكنها، على الصعيد الاقتصادي، تنتج ٣٣٪ من الدخل الإجمالي المحلي للعالم.

وتتفوق تقنياً على كل بلدان العالم قاطبة، حيث تنفق ٤٠٪ من مجموع ما ينفقه العالم قاطبة في مجال البحث والتطوير. أما قوتها الثقافية، التي تتباهى بها، والإعلامية تعتبرها من أرقى ثقافات ووسائل الإعلام. إن دخلها من بيع الأفلام السينمائية يبلغ ٨٣.١٪ من الدخل العالمي من الأفلام.

إن صقور الإدارة الأمريكية اليمينية - وعلى رأسها الرئيس «جورج دبليو بوش» ونائبه «ديك تشيني» ووزير دفاعه «دونالد رامسفيلد» ونائب وزير الدفاع «بول ولفوفتز» و«كونداليزا رايس» مستشارة الرئيس للأمن القومي، والصقر «ريتشارد بيرل» المستشار السياسي لوزارة الدفاع، و«إليوت أبرامز» مستشار الرئيس لشؤون الشرق الأوسط وأفريقيا - لشعورهم بالعظمة والقوة الخارقة - يتصرفون حسب رغبتهم في السيطرة على العالم والتفرد الذي يتمثل برفضهم الدخول في محكمة العدل الدولية لجرائم الحرب، ما لم يعف الأمريكيون من الملاحقة. ورفضهم المعاهدة الخاصة بالبيئة، ودرع الصواريخ.

ولم يعودوا يسعون لإقناع حلفائهم بضرورة التعاون لضرب العراق «ومحور الشر». وهم لا يعيرون مشاعر ومصالح، حتى حلفائهم، ماعدا إسرائيل، أية أهمية. ويتبنون سياسات عدائية لمن ليس معهم. «من ليس معنا فهو مع الإرهاب». ويطلبون من الآخرين الإذعان لفهمهم الخاص للحقائق، لأنهم يملكون الحقيقة المطلقة بالنسبة للإرهاب ولمحور الشر. ولذلك يجد العالم نفسه أحياناً مضطراً للانصياع

لإرادة الولايات المتحدة واختلاق المبررات لتصرفاتها وسلوكها ماعدا «إسرائيل» التي لا تقبل أن تتغاضى عن رؤيتها الخاصة لمصالحها وأهدافها وسياساتها، لأنها الأكثر فهما واستيعابا لتفاصيل سياسات أمريكا القديمة والجديدة. وما يقوم به شارون من جرائم ومجازر وحشية ينسجم تماماً مع الاستراتيجية الأمريكية، كما ينسجم مع سياسة أمريكا تعريف شارون للإرهاب.

ولذلك فإن شارون عندما سئل عن مشروع «خريطة الطريق» الأمريكية التي يمكن أن تؤدي إلى دولتين أجاب بازدراء حسب رواية وليام سافير: «العرض الأمريكي جاء في ٦ صفحات ومكتوب بخط صغير ولم تتح لي قراءته».

هذا على الصعيد العالمي. أما على الصعيد العربي فإن برنامج الصقور يتلخص:

بشن الحرب على العراق ودعم إسرائيل الليكودية المطلق، وسحق المقاومة التي يعتبرونها إرهاباً، وإفساد علاقات أمريكا بالعرب، وترجيح ميزان القوى لصالح إسرائيل. «ويقوم تحليل الصقور على أساس أن الأنظمة العربية هي اليوم في غاية الضعف، فهي ناضجة وقابلة للإسقاط والتعديل. وذلك لأنها إما تحت حكم شبان يفتقرون إلى الخبرة (المغرب، الأردن، سوريا) وإما تحت حكم زعماء طاعنين في السن وفي سن التقاعد (مصر، ليبيا، السعودية)، وبالتالي إعادة رسم خريطة العالم العربي باختفاء دول وإنشاء دويلات.

هذا وتتبنى الولايات المتحدة الأمريكية السياسة التوسعية العدوانية والنزعة العسكرية المغامرة، والضربات العسكرية الاستباقية، كما تتبنى النظرية في علم السياسة ما يعرف بـ «منظور الواقعية المتشددة» التي تفترض دوام التهديد لأمنها القومي في الساحة الدولية سواء كان هذا التهديد محتملا أو غير محتمل الوقوع. إن مجرد وجود قوة أخرى يشكل تهديدا بحد ذاته. فهي محكومة بعقلية الحصار والتهديد وإرهاب الخطر الخارجي.

والولايات المتحدة تتبنى الآن واقعية أكثر تشددا. حيث أصدر مجلس الأمن القومي الأمريكي تقريرا يقول على الولايات المتحدة الحفاظ على وسائل ردع ذرية ومنع المنافسين المحتملين من مجرد الأمل نحو لعب دور إقليمي أو عالمي أكبر. ولذلك فهي لم تسمح لا لروسيا ولا للأمم المتحدة ولا للاتحاد الأوروبي بالتدخل في مشكلة الشرق الأوسط. كما أن الرئاسة الأمريكية طلبت من هيئة الأركان المشتركة أن تكون على أهبة الاستعداد لاستخدام القنابل الذرية ضد روسيا والصين والعراق وليبيا وسوريا وإيران وفي حال نشوب حرب بين العرب وإسرائيل وبين الصين وتايوان.

إن «نظرية الواقعية المتشددة» تذكرنا بموقف القائد التاريخي البروسي بسمارك بشأن بولندا حيث قال: «إن عودة مملكة بولندا في أية هيئة أو صورة هي بمثابة خلق حليف لأي عدو يختار أن يعتدي علينا.. إن علينا سحق هؤلاء البولنديين سحقا يفقدون معه كل أمل ويستسلمون تماماً للموت.. إذا أردنا أن نبقى فلا خيار لنا إلا محوهم من الوجود». فالولايات المتحدة الأمريكية ترى العراق الذي يمكن أن يشكل خطرا مستقبليا على حليفتها إسرائيل كما رأى بسمارك من بولندا الضعيفة خطرا مستقبليا على بلاده.



الإسلام السياسي محفز جديد

إن المحفز، الذي تستطيع الولايات المتحدة، حشد شعبها وحلفائها خلفها لمواجهته (الخطر السوفياتي) له أهمية كبرى على مستوى العلاقات الأوروبية - الأمريكية، حيث أنه كان الأساس وراء استمرار حلف الناتو، بينما يرى الأوروبيون على حد تعبير «غابرييل روبين» ممثل فرنسا السابق في حلف الناتو: «إن وظيفة الحلف الأساسية والتي تتجاوز جميع الوظائف إنما هي الإشراف على أوروبا ومنعها من تأسيس نفسها كقوة مستقلة».

ولذلك، وفي غياب المحفز لدى الإدارة الأمريكية، بانهيار الاتحاد السوفياتي، قال مسؤول سوفياتي عند نهاية الحرب الباردة: «نحن على وشك أن نعمل بكم أمراً فظيعاً، نحن سنقوم بحرمانكم من عدو».

وفي بحثها المحموم عن محفز، أو عدو جديد، وجدت الولايات المتحدة «بالإسلام السياسي» عدواً جديداً أو ما سمته «الإرهاب».

والواقع أن أمريكا هي التي شجعت «الإسلام السياسي» كأيديولوجية ودعمته كحركة سياسية في الخمسينات والستينات ضد نزعة القومية العربية الوحدوية العلمانية، بل هي التي خلقت منظمة الدول الإسلامية لتكون معاكسة لجامعة الدول العربية التي تقودها مصر الناصرية. وكما أن الولايات المتحدة قامت بعمليات التمويل والتسليح والتدريب غير المشروع لمجموعات «الكونترا» وغيرها من الحكومات وعصابات الموت المناهضة للثوار في أمريكا الوسطى، فإنها قامت بنفس الأعمال من تمويل وتدريب وتعبئة وتسليح «المقاومة الإسلامية» ومنهم «أسامة بن لادن» في أفغانستان ضد السوفيات. ولذلك «انقلب السحر على الساحر» أو ظاهرة «الضربة المرتدة» **Blow Back** على حد تعبير المخابرات المركزية الأمريكية.

وهكذا وجدت الولايات المتحدى أن عدوها الاستراتيجي هو «الإسلام السياسي».

صراع الحضارات:

فقد اقتراح الأكاديمي الأمريكي صموئيل هانتغتون نظرية عن العالم المعاصر: «أن الصراع العالمي الآتي في أعقاب الحرب الباردة لن يكون صراع قوة تخوضه دولة أو ائتلاف من دول على مصادر اقتصادية وأسواق، أو على مواقع جيواستراتيجية، إنما سيكون بالأحرى صدام حضارات». وأن الجماعات الثقافية تحل محل كتل الحرب الباردة، وخطوط التماس بين الحضارات

تصبح الخطوط المركزية للصراع. والإسلام عند هانتغتون هو «قوة الظلام» في العالم بسبب نزوع المسلمين نحو الصراع العنيف.

وفي أعقاب ١١ أيلول، ظهرت حالة هستيرية معادية للعرب والإسلام في الإعلام الأمريكي وصلت إلى حد أن يقول المدعي العام الأمريكي «جوان اشكروفت» في مقابلة إذاعية في ت٢ سنة ٢٠٠١: «الإسلام دين يطلب فيه الله منك أن ترسل ابنك ليموت في سبيله، أما المسيحية فهي عقيدة يرسل فيها الرب ابنه ليموت من أجلك».

الحرب العدوانية على العراق

وفي مثل هذا الجو الهستيري المشحون بالعداوة والكراهية ضد الإسلام والعروبة، تحضر إدارة الرئيس بوش لشن حرب على العراق. الرئيس الذي قال إنها «حرب صليبية» ضد «الإرهاب»، وفسروها فيما بعد أنها «زلة لسان».

مع تهافت نظرية «صراع الحضارات» وبطلانها، فالحقيقة أنه كان ومازال وسيظل الصراع بين الدول والطبقات سببه الاستئثار بالخيرات المادية بالمال والثروة والاقتصاد - البترول.

ومن هنا، فإن السبب الأساس لشن الحرب العدوانية على العراق وإسقاط نظامه الذي تعتبره أمريكا عقبة كأداء مستقبلياً أمام سيطرتها على الخليج واستحواذها على بترول الخليج.

ففي مواجهة القوة الاقتصادية للاتحاد الأوروبي، واليابان، وآفاق القوة الاقتصادية المتوقعة للصين من الآن حتى ٢٠١٥، (كما يرى د. خير الدين حسيب)، فإن الولايات المتحدة توصلت إلى قرار استراتيجي باعتبار احتياطي نفط الخليج - (بما فيه نفط العراق، الذي يتوقع الخبراء أن يقترب من احتياطي السعودية حجماً وأهمية، السعودية تنتج: ٢٥٠ برميلاً والعراق: ٢٠٠ مليون، ويقدر ثمن احتياطي نفط العراق: ١.١ تريليون دولار) - هو الورقة التي تمكنها من التحكم في هؤلاء العمالقة الثلاثة.

هذا بالإضافة إلى الإدارة الأمريكية ترى أن إزاحة صدام حسين ونظامه هو المفتاح لتغيير الأوضاع وإعادة رسم خارطة الشرق الأوسط والقضاء على الأصولية الإسلامية والمقاومة الفلسطينية والقومية العربية في العراق وفلسطين وسوريا ولبنان وإيران، وإعادة ترتيب شامل لشؤون المنطقة كما حصل في نهاية الحرب العالمية الأولى ومعاهدة سايكس - بيكو. كما تريد هذه الإدارة تهيئة الظروف لـ «إسرائيل» كي تفرض هيمنتها على الفلسطينيين والعرب.

إن شعار: «الحرب على الإرهاب» استخدم مبررا للحصول على قواعد وتسهيلات أمريكية في دول آسيا الوسطى خاصرة روسيا وبطنها الرخو للسيطرة على ثروات بحر قزوين البترولية وغيرها. فمن يمتلك كل هذه الثروات يستطيع أن يسيطر ويتحكم بالعالم.

والواقع أن التحضيرات الأمريكية العملية لقواتها المسلحة وتصريحاتها المتكررة لتدمير العراق وتغيير نظامه بالقوة والضغوطات الهائلة على النظام العربي وتهديد أمنه وسلامته، مع عجزها التام عن تقديم أدلة أن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل، وأنه يشكل خطراً على جيرانه وعلى الولايات المتحدة يعتبر تجاوزاً لكل قوانين الشرعية الدولية وللأمم المتحدة ويعتبر عدواناً وخطراً هائلاً على النظام العربي وأمنه وسلامته. كما يشكل خطراً على الأمن والسلام في العالم.

التيارات والدول المناهضة للحرب على العراق:

المظاهرات:

لذلك فقد ترافقت مع هذه الاستعدادات للحرب الاستعمارية على العراق تيارات وحركات ودول مناهضة لهذه الحرب. فطيلة خريف عام ٢٠٠٢ قامت تظاهرات شعبية صاخبة ضد الحرب على العراق وضد المجازر والجرائم التي يقترفها شارون بحق الشعب الفلسطيني في معظم العواصم والمدن الأوروبية والأمريكية والأسترالية والكندية وخاصة باريس وروما وحتى نيويورك وواشنطن، حيث تجمع ما يزيد عن عشرين ألف متظاهر أمريكي في سنترال بارك استمعوا إلى نخبة من الفنانين بينهم «جين فوندا» و«سوزان ساراندون» يلقون خطباً تحض على تجنب الحرب على العراق وإيقاف جرائم شارون ضد الشعب الفلسطيني.

أما زعماء الكنائس المسيحية في أوروبا وأمريكا، بما فيهم البابا ورئيس كنيسة كانتربري في بريطانيا أعلنوا عن معارضتهم للحرب الأمريكية ضد العراق ماعدا كنائس الجنوب الأمريكي الموالية لـ «إسرائيل».

أما على الصعيد الرسمي، فقد أعلنت معظم دول العالم، ماعدا الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل، معارضتها للحرب الأمريكية ضد العراق.

فقد أعلنت ألمانيا وفرنسا موقفهما المعارض للحرب ضد العراق خوفاً من انفراد واشنطن بقيادة العالم، وبسبب عوامل اقتصادية تهم البلدين، حيث تدركان أن شركاتهما لن تحظى بعقود مماثلة لما تحظى به الشركات الأمريكية في عراق ما بعد صدام. فالشركات الفرنسية إلف Elf وتوتال Total التي تعاقدت على مشاريع نفطية مع العراق تخشى أن تخسر هذه العقود.

وللشركات الألمانية والفرنسية تجارب سيئة بعد تحرير الكويت. فالشركات الألمانية منذ عام ٩٠-٩٧ لم تتمكن من التعاقد على تنفيذ مشروع مهم في السعودية.

أما روسيا فتعتبر من أكثر الدول المتضررة من تغيير النظام العراقي التي لها عليه دين ٨ مليارات دولار ثمن أسلحة دمرت أثناء تحرير الكويت.

والشركات الروسية تحصل على مليار دولار على دورها كوسيط في بيع النفط العراقي مقابل الغذاء. وروسيا تخشى خسارة السوق العراقية، في حال تغيير نظام صدام أكثر من خشية فرنسا وألمانيا، ولذلك فهي تعارض هذه الحرب.

وأما الصحف الأمريكية فقد شهدت سيلاً من التحليلات المناهضة للحرب على العراق وأرسلت معظم الصحف الأمريكية مراسلين إلى بغداد، حيث أرسل هؤلاء تقارير تصور بالتفصيل الحالة المزرية التي يعيشها الشعب العراقي. وقد انصبت معظم التحليلات على مدى جسامة الخسائر في الأرواح التي ستكبدها الأمريكيون في حال نشوب حرب.

«وقد سخرت الكاتبة الأمريكية «مورين دود» من بوش ومن مستشاريه ونزعتهم الحربية ووصفت ريتشارد بيرل المستشار في البنتاغون بـ «أمير الظلام»».

أما على الصعيد الرسمي العربي: فإن أغلب الأنظمة تقف عاجزة أمام ما يجري من مجازر في فلسطين وتتمنى سراً وقف الانتفاضة وتغيير النظام العراقي، على الرغم من إعلانها أنها تعارض الحرب على العراق.

فقليل من الأنظمة تعبر عن مقاومتها للضغط الأمريكي السياسي والعسكري. وبعضها يرحب بالقوات الأمريكية على أرضها ويعتبر نفسه تحت الحماية الأمريكية، وبعضها الآخر مرتبط مصيره بالمساعدات الأمريكية إلى حد فقدان أي حرية في التصرف عدا البلاغة الإعلامية.

مناهضة الإمبريالية الأمريكية

هناك احتمال كبير، فيما لو ضربت الولايات المتحدة العراق عسكرياً، أن تواجه، ليس بتنظيم «القاعدة» فحسب، بل بحركة تمرد وممانعة ومقاومة واسعة ومناضلة ضد التدخل الأمريكي السياسي والعسكري في العالمين العربي والإسلامي وضد صلافة الغرب وعنصريته وشراسته.

ففي عهد بوش الابن يشهد العالم امتداداً أمريكا بقوتها وازدرائها لآراء الآخرين ومصالحهم، ورفضها التعرف على حدود «الإرهاب» لمعالجة أسبابه. والخلط بينه وبين مقاومة الاستعمار والاحتلال، وقبولها دون مناقشة التعريف الشاروني لـ «الإرهاب»، وعدم

اعترافها بالقانون الدولي، مما جعل الأمريكيين معرضين للخطر في كثير من البلدان.

إن دروس التاريخ تؤكد على أن كل دولة تسيطر على سواها لابد أن تقابل بمقاومة عنيفة. إن مقاومة الشعوب لأمريكا في العالمين العربي والإسلامي لا يجمعها إطار واحد وقيادة واحدة وتخطيط موحد، بل هناك تيارات مختلفة وروافد عديدة يجمعها العداء لأمريكا. وبسبب تعدد هذه الروافد يصعب القضاء عليها.

هناك شعور قوي معادٍ للولايات المتحدة من المغرب حتى أندونيسيا، يغذيه الانحياز الأمريكي لإسرائيل في جرائمها ضد الشعب الفلسطيني، وفرض الحظر على العراق مدة ١٢ سنة مما سبب بموت مليون و٧٠٠ ألف طفل، فضلا عن نيتها شن حرب ضروس من أجل تدمير العراق بحجة أسلحة الدمار الشامل، التي لا يمتلكها، بينما إسرائيل تمتلك هذه الأسلحة، بالإضافة إلى القنابل الذرية ومع ذلك تتحالف معها استراتيجياً.

كيف نواجه العدوان الأمريكي الصهيوني؟

كان عام ٢٠٠٢ عام الشعب الفلسطيني ببطولاته وتضحياته وقدرته على إفشال مخطط شارون، بكسر إرادته أو تهجيره. لقد برهن الشعب الفلسطيني أن هناك حيوية وقدرات هائلة لا تنضب تمتلكها الشعوب العربية، وأن «العين تستطيع أن تناطح المخرز».

أصبحت الشعوب العربية مكشوفة أمام الخطر الأمريكي والإسرائيلي فليس أمامها إلا المقاومة، وليس هناك بديل سوى المقاومة واستمرارها أمام انكشاف وافتضاح عجز الأنظمة العربية وتخاذلها.

لقد بدأ التحرك الجماهيري في المغرب العربي (وأول الغيث قطرة) حيث عبر عشرات الآلاف عن سخطهم ونقمتهم على العدوان الأمريكي والصهيوني على الشعبين الفلسطيني والعراقي، في تظاهرة عارمة خلت من قادة الأحزاب المشاركة في الحكم.

وجماهير هذه الأمة تستطيع أن توحد سيلها الجارف لمواجهة العدوان، والتنسيق وتوحيد الجهود بين مختلف الفصائل الفلسطينية في الداخل والخارج، وبين هذه الفصائل والحركة الشعبية العربية لممارسة الضغوط الهائلة على هذه الأنظمة المرتعدة، لمنع استعمال القواعد والأجواء والتسهيلات للعدوان الأمريكي على العراق.

لا أحد يستطيع أن ينصب نفسه أستاذاً ومعلماً لهذه الجماهير، ويدلها على أساليب النضال فلديها من الأساليب وطرق النضال وابتكار أساليب جديدة ما لا يخطر على بال.

حصاد الصوت

سنة سعيدة

كعادتها في نقل الحدث من موقع الحدث.. بنزاهة وشفافية.. بصدق وأمانة.. تاركة الحكم والتحليل واتخاذ المواقف لمتابعينا على محطتنا الفضائية أو الأرضية.. أو عبر إذاعتنا أو موقعنا على الإنترنت أو صحافتنا المكتوبة..

فقد تمكن مراسل وكالة أنباء أبو صابر الأكثر نشاطاً وفعالية، والمتخصص في الشؤون الاجتماعية من التسلل عنوة إلى مكان ما.. وفي زمان ما.. والمحظور دخوله لعامة الناس.. ونقل لنا بالصوت والصورة ما حدث أمام عينيه..

ثلة من المجانين جمعتهم قواسم مشتركة لإحياء إحدى المناسبات، يعتقد أنها عيد الميلاد أو رأس السنة.. أو لربما لتبادل وجهات النظر ومناقشة ما يدور في العالم والمنطقة، في جلستهم الحميمية تناول المجتمعون المنكر.. وفعل فعله في رؤوسهم وبدأت مفاعليه وتداعياته، وحصل ما حصل، وتحددت التخوم والمحددات القسرية.. وسنحاول جاهدين قدر الإمكان وضعكم في صورة ما وقع..

خلع أحدهم ملابسه وبدأ يرقص ويغني، ويصرخ بأعلى صوته، انتصرنا.. مات بوش، وأخذ يصفق بحذائه، ويقول بهذا سوف أضرب بوش وأتباعه، في هذه الأثناء دخلت إحدى العاملات، وما إن شاهدت المنظر حتى ولت هاربة.. ولحق بها منادياً بأعلى صوته لا أريد بك سوء.. وهي تصرخ.. النجدة.. أنقذوني..

الآخر (ارتدى ملابسه الداخلية فوق الخارجية)، قال:

- تعالوا نشرب ونتسامر، فمازال الوقت مبكرا ولدينا متسع منه..

صرخ:

- سمع.. يا هو.. دعونا نفكر.. كيف نتخلص من المجانين والمعتوهين في هذا المجلس؟..!

- لنتوزع في الشوارع.. والحارات.. ومن ثم لنحاول هل نستطيع التجمع مرة أخرى!!

- سنتصدى للعدوان الأمريكي على العراق.

- يمكن دعوة بلير وبوش ومن لف لفيفهم لمشاركتنا هذه الجلسة، وبالتأكيد سنقنعهم بما نريد.. فحتماً سيغيروا مواقفهم وقراراتهم.

- بوش عين وزير داخلية.. يجب مساعدته حتى لا يفشل في مهمته..

- شو رايكم لو رجعنا كل العرب المهاجرين في أوروبا وأمريكا وخليها تخرب عندهم!!

أصابع الاتهام كلها كانت تشير إلى أحد الجالسين بينهم، والذي منع من الكلام، رغم محاولاته المتكررة والجهود المضنية التي بذلها في ضبط إيقاع الجلسة وتهدئة الخواطر، لكن الفشل والإحباط كانا حليفين له.

أشعل سيجارته، ثم وضع كفه على جبينه وأطرق هنيهة، نفث دخان سيجارته وأخرجه بشكل دوائر مترابطة ومتلاصقة في هواء الغرفة.. أخرج زفرة عميقة نمت عن ألم وحزن عميقين، وقال مخاطباً نفسه.. كل ما أريده وما يتوجب عليّ فعله أن أعلم هؤلاء الحمقى كيف يمارسون الجنون عن حق وبكل كفاءة واقتدا[illegible] باليد حيلة، قد قيل إذ جن ربعك ما ينفعك عقلك!..

أبو صابر

«حكم» نازي؟ نعم.. وشعب أيضاً؟

حلمي شعراوي

من المألوف أن يتحول حكم من تحالف «وطني» إلى حزب نازي، ولفترة محدودة يتحمل فيها نتائج تحوله وكشف عوراته مثلما حدث مع النازي الألماني، أو التحالف الفاشي الإيطالي. وقدم كل ذلك دروسا للعالم لا يمكن تجاهلها عن العسكرة والعنصرية والعجرفة المستبدة. لكن الإنسانية ما كادت تفيق من ذلك عام ١٩٤٥ حتى رزقت بالنظام العنصري في جنوب أفريقيا بقيادة «الحزب الوطني» أيضا عام ١٩٤٨. وفي نفس العام نجحت عصابات عنصرية أخرى في «الشرق الأوسط» بإقامة دولة على النمط النازي باسم إسرائيل، بحجج استهلكت فيها «العمالية»، و«الاشتراكية»، و«القومية»، و«الدينية»، و«التكنولوجية»، ثم الديمقراطية والنيوليبرالية، بتوال مدهش، وبدون خجل. وكل ذلك في ظل مكون عنصري لا ينافس إلا «النموذج النازي» في رؤاه وتوسعه وعسكريته وتنشئته الاجتماعية.

نلاحظ أن الحكم العنصري في جنوب أفريقيا - مثل البطل التراجيدي المتحدي للعواصف، كان لابد أن ينتهي بفقد قاعدته الخارجية والداخلية تدريجيا حتى انهار، لتعود الأمور إلى طبيعتها في نظام يحقق التوافق حتى مع النيوليبرالية الأمريكية نفسها.

بقيت «النازية» الإسرائيلية، وحدها في العالم متمترسة بكل مخلفات النازية والفاشية على السواء، من نخبوية، وتكتيل «الأمة» حول الأهداف النازية. ويدهش المرء أن يستطيع حكم أن يستمر بصفته النازية هذه لأكثر من نصف قرن، على نحو ما هو قائم في إسرائيل، وأن يتكيف كالحرباء بهذا الشكل مع كل الأيديولوجيات والنماذج الحاكمة من الموشاف والهستدروت إلى أعتى قواعد تجارة السلاح والخبرات النووية والتحالفات الدولية، إلى كسر الأذرع والأعناق واصطياد الأطفال والكوادر المناهضة على الأرض، من داخل الأباتشي الأمريكية في سمائها العالية. فهل يتوفر في القوانين الاجتماعية للتطور أنساق فكرية خاصة تجعل هذه النازية قادرة على الاستمرار وحدها بهذا الشكل متجاوزة ما تتحدث به كل الإنسانية عن نهاية القوميات والماضويات والأيديولوجيات الدينية والعنصرية والتفوق الانتقائي لشعب الله المختار.. إلخ؟..

تكاد الانتفاضة الفلسطينية وحدها - في هذه الأيام - وباستمرارها البطولي، أن تكون هي المدرك الوحيد لاستحالة قراءة إسرائيل بهذا القانون المخالف لكل القوانين، وهو قانون استمرار النازية لأكثر من نصف قرن في تحد سافر لكل التقدم الإنساني. الانتفاضة الفلسطينية تتحدى وحدها نفي الشرعية الدولية في أدراج إدارة الولايات المتحدة الأمريكية. والانتفاضة الفلسطينية وحدها تنفرد بإدراك البعد النازي في الحركة الصهيونية وجهازها الإسرائيلي. وتدرك أن مواجهة «جهاز حكم» لا يكفي ولكن كان لابد من إقلاق جسد «الكيان الصهيوني» كله ومن داخله حتى لا يشعره جهاز حكمه بإمكان الاستقرار، واستمرار عجرفته إلى ما لا نهاية.

أقول أن الانتفاضة تتحرك وتستمر بهذا الوعي، بل وتدفع جماهير ومنظمات شعبية ومثقفة على مستوى العالم لهذا الوعي أيضاً، رغم ذلك التحفظ هنا وهناك على جدوى الانتفاضة نفسها طمعا في طريق سلام تفاوضي يرونه ممكنا - «بغير ذلك»، وهو ما لم يثبت في أي لحظة من لحظات النظام العنصري النازي في إسرائيل مثلما لم يجد ذلك مع هتلر من قبل، فظل حتى انتحر.

أما الذي مازال غريباً بحق، وخارج نطاق المنطق الإنساني البسيط، أن يستطيع «نظام حكم» تحويل شعبه باستمرار إلى التوحد مع جوهره النازي ذلك، ولأكثر من ربع قرن على الأقل لم تتحرك نسبة تزايد «السلاميين» في قشرتها السطحية قيد أنملة، بل ويأتي «شارون» ليضاعف من نسبة التوجهات الفاشية والنازية بين هذا «الشعب» بما لم يتحقق طوال نصف قرن. فكيف يمكن «لشعب» أن يواصل تعميق التوجهات النازية، بينما التاريخ مع تصفيتها ولو تدريجيا؟ وفي ظل انتفاضة الرفض المؤثرة لسنوات وسنوات على بعد مرمى حجر؟ وكيف ترى شعوب مستقبل حركتها الثورية - أو الديمقراطية - من خلال تطورها وتطور العالم من حولها مثلما يفعل الشعب الفلسطيني، بينما لا يتأتى للإسرائيليين أي قدر من هذه الرؤية في نفس الظروف؟ سأغامر بطرح احتمالين جديرين بالتأمل:

أولهما: أن ما يسمى بـ«الشعب الإسرائيلي» - لم ولا - توفره من صفات الشعوب، ما هو جدير بتنمية حركات اجتماعية ديمقراطية داخلة في مواجهة النازية المدمرة، أي أنه كيان مصطنع تدفعه لا عقلانية التكوين الحديث إلى عقلنة التوحد في العنف النازي، وأنه لذلك سيظل مصطنعا، في يد النخبة النازية التي تشكل «نظام الحكم» في خدمة مصالح إمبريالية عالمية وكفى، وسوف ينفرط مثل هذا التجمع الصهيوني - ككيان سياسي - إلى ما ينتهي إليه مصير العولمة ومصالحها. ذلك أن النظام الصهيوني بدأ وانتهى دائماً إلى «ملحق» بالنظام الرأسمالي الإمبريالي العالمي ولم يحقق صفة «النظام - التابع»، لأنه لا يعقل أن يكون ثمة «شعب نازي» في «نظام» متصل الوجود بهذا الشكل لنصف قرن.

وثانيهما: أن يكون المعنى الوحيد لنجاح «شارون» على رأس هذا النظام، مع تزايد «تمسك الشعب» بسياسته النازية وحدها بهذا الشكل، هو أن روح النازية مدعومة بالفاشية هي التي تتلبس الإسرائيليين، وقد ثبت أنها روح شريرة فعلا لنظام «شرير» لابد أن يذهب إلى حتفه بصلفه. وأنا لا أغرق هنا في الأماني، لأن مثل هذا الشعب مسؤول عن مصيره، ويدرك تاريخ ومصائر الاستبداد العنصري والنظام النازي، ولو أن ثمة «جماهير» حقيقية في إسرائيل ما ظلت «منفية في ذاتها» إلى هذا الحد لتلقي بنفسها في جحيم النازية الذي جربته عدوا وتجربه سيدا.

أليس ملفتا للنظر أن كل محاولات الالتقاء الأوروبية الشعبية مثلا مع أي نظير إسرائيلي، لا تجد من تتحدث إليه كتنظيم اجتماعي أو ثقافي بارز (عمالي / شبابي / نسائي..) بقدر ما تتجه الأنظار للأفراد والجماعات النوعية المحدودة أو أصحاب رأي داخل التنظيمات الحاكمة ذات التوجهات النازية في النهاية؟ أليس ملفتاً أن تكون أغلبية «شعب» ما، من مغاربة وعراقيين ويمنيين وآسيويين وأحباش، ثم لا يكون التعبير عنهم طوال نصف قرن إلا مجرد «أوروبي»؟ بل وتدفع الهيمنة الأيديولوجية هؤلاء المشارقة «السفارديم» ليكونوا أشد نازية من غيرهم وهم في قاع المجتمع.

إن استمرار الانتفاضة الفلسطينية هو الكفيل وحده بأن يضع الخيارات قوية أمام الإسرائيليين ليحددوا طريق الخلاص من «النظام النازي» إلى «الوجود الديمقراطي» مع شعب حقيقي مثل الفلسطينيين، ساعتها سيتأكد المنطق الإنساني الأصيل بأنه لا يعقل أن يكون ثمة شعب نازي وإن وجد نظام نازي لبعض الوقت. وهذه مهمتنا إلى جانب الانتفاضة لتوصيل رسالتها إلى العالم لا إلى حفنة «السلاميين» في إسرائيل، وسوف ترسل الحركة العالمية إلى جوار الانتفاضة تحذيرها لكل النازيين في العالم.. ومن هم في جيوب العولمة التي تخبئ تلك الفاشية المتوحشة التي تحمي إسرائيل.

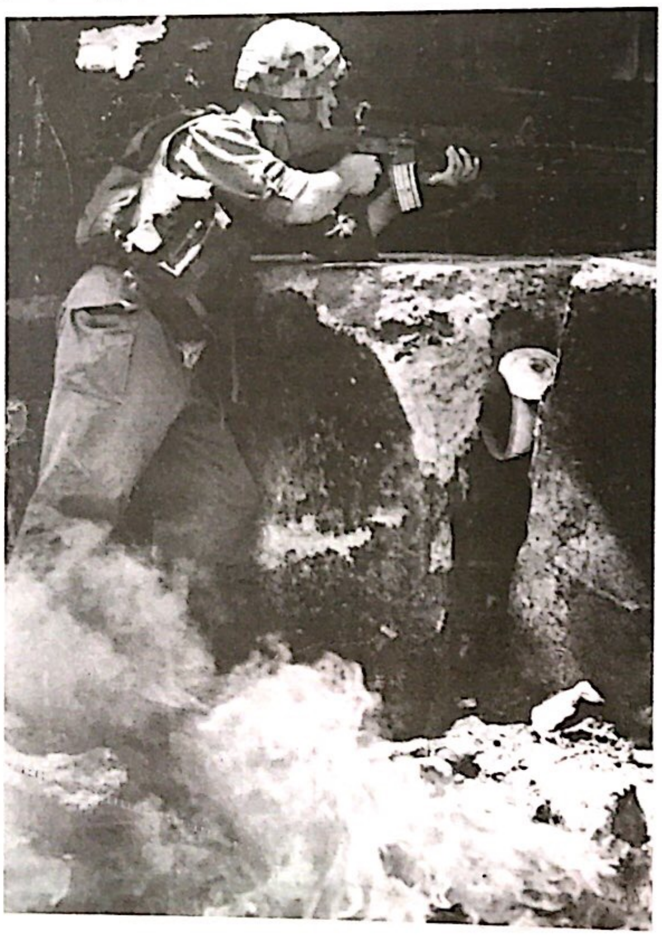
الانتفاضة في قمة الاتساع.. وأوج الخطر!

وليد عبد الرحيم
كاتب فلسطيني

مساحة الصراع:

الحمقى وحدهم، وأولئك الذين لم يفهموا التاريخ كما يجب، هم من يعتقدون بأن مسيرة الشعب الفلسطيني ستتوقف في مرحلة ما - لاسيما في هذه الفترة بعد اندلاع الانتفاضة - كنتيجة لحل جزئي أو ابتسامة من قبل رؤساء الجانبين، فقد ترسمت الحالة اليومية للاشتباك الواسع، وتأكدنا متأخرين بأن المفاوضات والصيغ الدبلوماسية وحدها لن تحقق الحلم الفلسطيني، ليس الحلم الكبير فحسب، بل حتى الأحلام المصغرة التي دفعت البعض إلى اللجوء لمجرد تفاهمات هامشية والبعض الآخر إلى نسيان صفحات التاريخ، تاريخ فلسطين الخاص الذي لم يتم اكتشافه حتى الساعة كما يجب، ولم يتم الانتباه إلى أن مساحة فلسطين الحقيقية ليست تلك الكيلومترات التي ترسم على الخرائط الجغرافية أو السياسية، بل تمتد إلى كتب الدين ومقولات الفلسفة، ونصوص الشعر والمسرح، إلى كل هذه العناوين وغيرها التي تبدو للوهلة الأولى بعيدة عنها في حين هي واقعيا تشكل الدينامو الذي يحرك مفردات الصراع التاريخي كما يبدو ظاهريا، فهو صراع من نوع آخر أكثر شمولاً وأشد ضراوة واتساعا وتشعبا مما يبدو على السطح.

بهذا المعنى، ليس صدفة أن يتضح يوما بعد يوم انشطار العالم حول هذه القضية إلى معسكرين، المعسكر الفلسطيني الذي يضم معادي الفاشية والعنصرية والقهر والإمبريالية وكل صنوف اللاأخلاقية الجمعية والفردية، والمعسكر الآخر الذي يضم من سبق ذكرهم، وهو صراع يضم في جنباته كافة تفاصيل الحياة، ليس الفلسفة والاقتصاد وحسب بل حتى الشعر والموسيقى والطب الذي ظهر مؤخرا بطبعته الصهيونية من خلال قيام جماعة تؤمن بمقولاتها «طائفة الرائيليين» وتؤمن بأن المسيح الذي ظهر في فلسطين قبل ألفي عام مسيح مزيف، وأن الحقيقي سيظهر في القدس عام (٢٠٣٥) ليخلص البشرية من الخطايا وكل ما يمارسه «الأغيار»، وهي الفكرة الصهيونية التي تكمن وراء إنكار الآخر، أي آخر، فلم يظهر بعد حقبة انتشار اليهودية الأولى من يعترف به كنبي، مما ينفي كل ما هو غير يهودي ويضعه في خانة «الأغيار». وبالتالي فالمسيحية والإسلام باعتبارهما أكبر ديانتين توحيديتين هما ديانتان - حسب اليهودية - مفتعلتان من شخصين لا يملكان حق النبوة، وما تم تأسيسه على مقولاتهما وعقيدتهما باطل، وكل من يحمل قيمهما فهو في عداد الآخر غير المعترف به، وما يجعل عداءهما مستفحلا أن نبييهما يمثلان نقيضا طبقيا وفلسفيا، وبذلك توجب نسب أسس العقيدة نظريا من خلال اختراق حامليها من الداخل، من هنا ولدت الصهيونية المسيحية، ومن هنا ولدت الصهيونية الإسلامية التي لازالت غير ظاهرة للعيان، لكنها موجودة لمن أراد رؤيتها في الواقع عند بعض الرموز المنتشرة في غير مكان، وهي تعبر عن نفسها بتصريحات ومقولات وفتاوى لا تتوافق مع روح النص القرآني بقدر ما تتبنى مصالح الصهيونية فتصدر ما يتناسب ومصالحها، ولنفس السبب، تم ضم اليهودية الحالية، بصورتها الآن، إلى الديانات التوحيدية، من قبل حاخامات دخلوا الإسلام والمسيحية وارتدوا عباءتهما لتتم السيطرة على القوة التفسيرية للإنجيل، والقرآن من الداخل، فالقرآن الكريم مثلا حين يقول أهل الكتاب، إنما يقصد النصارى حصرا وربما يضم إليهم الصابئة المندائيين الذين لازالت طائفة منهم موجودة إلى أيامنا في العراق وهم أتباع النبي يحيى أو يوحنا المعمدان، واليهودية ليست كما يروج مقصودة كديانة توحيدية توجب حتى الإفتاء بتحريم مقاومتهم وقتلهم، كما تحدث بعض الشيوخ خلال العامين السابقين، عامي الانتفاضة.



لسنا في معرض نقل الصراع بوجهه الديني لكن هذا الجانب هو أحد أهم ركائز ومظاهر تجليات الصهيونية، حيث اعتبرت امتلاكه هو الدينامو الذي يجب صيانته بشكل يتناسب مع أطروحاتها وطموحاتها.

بدءا من التركيز على جمل العهد القديم مع العهد الجديد «التوراة والإنجيل»، وانتهاء بالمدارس التي تسعى الإمبريالية - الصهيونية اليوم بعنوانها الأمريكي نشرها في الدول العربية تحت راية الحرية والديمقراطية، هذه الحرية التي لا تتوافر حتى للرئيس الأمريكي نفسه، الذي يبدو متحررا من كل شيء إلا من سيطرة وضغط اللوبي اليهودي «إيباك» في الولايات المتحدة المسيطر بشكل واسع على الإدارات المتعاقبة، حتى ليبدو الرئيس نفسه سجينا في قفص إرادة اللوبي، الذي يتحكم بالحركة الاقتصادية بشكل واسع، والخيار السياسي خارجيا وداخليا بالولايات المتحدة برمتها بهذا المعنى فإن الولايات المتحدة محتلة كفلسطين بطريقة مختلفة، محتلة من نفس القوة ويقتل أبناؤها بنفس الأصابع وتستنزف جيوب مواطنيها وتضلل إعلاميا مع اختلاف الوسائل بين الاحتلالين، وكما حوصر الرئيس عرفات لأنه لم يلب كل ما طلب منه، ولم يخضع تماما، وفرضت عليه كل إذلالات الاحتلال وتصاعد قتل أبناء الشعب الفلسطيني، يحاصر أي رئيس أمريكي إذا لم يلب تماما مطالب «إيباك» ويعزل بطريقة أخرى ويحاصر ليس بالدبابات والحواجز، ولكن بوسائل الإعلام والضغط الداخلي، يعزل بطريقة «مونيكا لوينسكي» حيث تفتح أصابع مجهولة ملفا كان محفوظا تماما، حتى ثوب «مونيكا» أبقيت عليه الحيوانات المنوية للرئيس ولم يغسل لسنوات، وتم تفجير القضية كما لو أن كلنتون كان قديسا وصدم الأتقياء به فجأة. في تلك الأيام كان كلنتون يبتعد عن عدائيته لـ «الأغيار» وتم إيقافه، ولا عجب أن نسمع مع كل فترة يتراخى فيها جورج بوش عن تنفيذ إرادة اللوبي أنباء عن مصالح لديه مع شركات مشبوهة أو تمويل غامض، وما أن يعود الرئيس إلى بث قيم الحقد ويدق طبول الحرب على العراق حتى تختفي لتبقى قابلة للظهور في أية لحظة، ولهذا السبب نرى الرؤساء الأمريكيين أكثر إنسانية ومصداقية بعد أن يصبحوا خارج أسوار البيت الأبيض، ذلك أنهم تحرروا من ضغط الصهيونية حتى ولو بقوا في إطارها.

من هنا علينا كفلسطينيين أن نخترق الحاجز الذي يفصلنا عن الغرب عامة والأمريكيين، لاسيما الجماهير والمثقفين والفنانين وغيرهم، لتشكيل صلات تحالفية، لا اللجوء إلى تشكيل لوبي عربي، لأن ذلك لن يجدي نفعا ولأننا أكثر ضعفا من أن نستطيع ذلك، ولأن أرضية الاتصال والتفاهم، موجودة فعلا داخل الولايات المتحدة، فالمظاهرات التي خرجت في أكتوبر وأبريل الماضيين لمناهضة العولمة وضمت طلبة مثقفين ويساريين وسودا وعربا ومسلمين ومسيحيين أمريكيين، تحولت رغم لافتتها المعلنة المعبرة عن رفضها للعولمة الإمبريالية إلى مظاهرة مؤيدة لحقوق الشعب الفلسطيني، أصبح رمز الكوفية عنوانا موازيا لرفض العولمة، حيث شوهد الآلاف يحملون صور الأطفال الشهداء وصور التدمير الإسرائيلي، كما ندد المتظاهرون بالعنصرية والنازية الصهيونية والإرهاب الإسرائيلي المدعوم من الإدارة الرسمية الأمريكية، وبذلك وضع التمرد على العولمة الإمبريالية في مكانه الصحيح، وبينما تؤيد عصابات المافيا وكبار المستغلين الرأسماليين إسرائيل، وهكذا أصبح العالم يضم معسكرين بشكل جلي معسكر فلسطين، والمعسكر الصهيوني الإمبريالي، وبهذا انكشفت مرة أخرى بأن القضية الفلسطينية أكثر اتساعا مما تبدو عليه فهي ليست قضية سياسية، بل فكرية وأخلاقية بالدرجة الأولى وتتسع لكافة مناحي الحياة، ومن هنا يجب علينا أن ننطلق من جديد خصوصا وأن العالم لم يتغير بعد الحادي عشر من سبتمبر بل في الثامن والعشرين منه، يوم اندلعت الانتفاضة.



الانتفاضة والمفاوضات:

يلاحظ أي مراقب أن الصراع يشتد والقوة تزداد اتساعا بين الفلسطينيين والإسرائيليين، ليس في وقت اشتداد الصراع الأمني والعسكري، بل عندما تفتح ملفات الحقوق والمفاوضات السياسية لأن مجرد طرح التفاوض يضع إسرائيل في مكانها الطبيعي، المحتل والمستوطن، والمانع لعودة اللاجئين إلى ديارهم، والرافض لقرارات الشرعية الدولية، وهو ما يفسر الانسعار الإسرائيلي - الأمريكي والتعامل مع المفاوضات بطريقة حربية متوترة، وليس غريبا ما حدث في كامب ديفيد ٢ حين جندتا كل إمكاناتهما، لحصار الوفد الفلسطيني المفاوض، جندتا الاتحاد الأوروبي، وقوتهما، والحلفاء العرب ولم تترك أية فرصة للضغط على الرغم من استعداد الوفد للتوقيع على «الصيغة الممكنة»، فقد بقي ما يطرحه مرفوضا، لسبب بسيط هو أنهم لا يريدون للمفاوضات أن تنجح إلا في حالة واحدة، أن يقوم الفلسطينيون بالتوقيع على صيغة تنازل لمصلحة إسرائيل، أي الهزيمة الكاملة وإنهاء الصراع، وإذا لم يقبلوا فلتكن الحرب، ليوجد في النهاية من يوقع على صك الاستسلام دون شروط، ولتعمية الأعين عن حقيقة هذه النتيجة يعطي للفلسطينيين وعد بدولة يكون الحكم الذاتي في الواقع أفضل منها، دولة بمستوطنات مسمار جحا دولة بلا عاصمة، أو عاصمة تشكل شارعين في القدس الشرقية، بلا سيادة جوية، ولا حدود، ولا جيش ولابأس من شرطة لا تملك أكثر من مفتاح زنزانة لزج المعارضين والمشاغبين، عندها شعرت القيادة الفلسطينية بالأمر ذاهبا إلى هذا الحد، ولم تجد بدا من إعلان الرفض والحلم بالعودة إلى أيام القوة إلى السلاح، لكنها كانت قد وضعت أسلحة كثيرة تملكها في مستودعات العدو.. وعلى الرغم من ذلك فضلت الانتفاض إلى جانب شعبها، الانتفاض الذي بدا كحل وحيد ممكن في الوقت الراهن، وفعلا إيجابيا وحيدا إذا لم يحقق انتصارا على الأرض فهو في أسوأ

الأحوال يقي من شر الهزيمة الكاملة.

اشتعلت الانتفاضة، وأدينت منذ بدايتها من قبل التحالف الأمريكي - الإسرائيلي أدينت بعد تصدي المواطنين للقوات الإسرائيلية بصدر أعزل، وأدينت عندما احتج المواطنون بشكل مدني، وتم قمع المواطنين وقتلهم بشكل فاضح حتى أولئك الذين يحملون الهوية الإسرائيلية من الفلسطينيين لم يسلموا من بطش الاحتلال. وأدينت بعدما استخدم المقاتلون السلاح، وعندما قاموا بعمليات استشهادية، وعندما لم يقوموا بذلك. لأي من فعل فلسطيني إيجابي سيواجه بالرفض حتى لو كان الصراخ في الشوارع، أو التظاهر، حتى لو كان صراخ الأمهات على بيوتهن المهدمة وأبنائهن الشهداء، وأدينت السلطة والفصائل وأدينت سيارات الإسعاف أيضا، كالعمليات الاستشهادية مثلا التي وإن توقفت ستتم إدانة العمليات في المستوطنات داخل مناطق ٦٧ وإذا ما توقفت ستتم إدانة قتل جنود الاحتلال، ثم التظاهرات، ثم وقف التحريض، ووسائل الإعلام وأي حديث عن الحقوق التاريخية والإنسانية، ثم المعارضة السياسية، في حال توقف كل هذا يكون قد توقف الشعب الفلسطيني عن الحياة، في تلك الحالة يكون السلام، وهي عودة على بدء، عودة إلى مقولة الفلسطيني الجيد هو الفلسطيني الميت، وعندما يكون هناك شعب ميت فهو ليس بحاجة إلى دولة بل مقبرة، و هم على استعداد لتنظيمها على أكمل وجه، لهذا فإن القول بوقف أي نوع من العمليات يبدو ساذجاً خصوصاً عندما يصدر عن مجموعة من المثقفين والكتاب غابت عنهم مفاتيح الحقيقة ليدخلوا أبواباً خاطئة بتصويرهم المشكلة على أنها في العمليات وليس في الاحتلال وهو ما جعل هؤلاء يقعون في الشرك ويمهدون أنفسهم للخطوة المقبلة، خطوة ستضم مع كل مرة قضية جديدة، اللاجئون، ثم القدس، ثم التخلي عن سيادة الدولة، وهكذا ليصلوا في النهاية إلى عدم امتلاك سبب لوجودهم.

هذا لا يعني بالطبع عدم مناقشة الانتفاضة، وإيقاعها اليومي، والهدف الاستراتيجي لها ولا يمنع الخوض في نقاشات جدية حول السلبيات التي أساءت لحركة الشعب الفلسطيني، وبالتالي الخوض في جدوى العمليات على أن يتم رؤيتها بعين فلسطينية لا بعين العدو، ولا يمنع إغفال مناقشة الحق بالعودة ولا الحق الفردي بالتخلي عنه أي أن سري نسيبة وياسر عبد ربه وأي مواطن فلسطيني بإمكانهما التنازل عن العودة فهو حق شخصي لكن ما ليس بإمكانهما، التنازل نيابة عن المواطنين ذلك أن حق العودة يحمل مستويين، جماعي وفردي، وهو كذلك حتى في القانون الدولي وكذلك النضال اليوم حق ومهمة لكل فلسطيني على وجه الأرض وذلك يعني أيضا أن محمود عباس ليس ملزما بممارسة هذا النضال كما أنه ليس من حقه مصادرة حق أي فلسطيني بالمقاومة، لاسيما وأن الأسباب المطروحة فاشلة بالتجربة، فأيام الهدوء التي شهدتها فلسطين يكون الهدوء فيها سائدا في تل أبيب فقط لا في رام الله وغزة ولا يتوقف الإرهاب الإسرائيلي بل زادت إسرائيل من عملياتها العسكرية اعتقادا منها بأنها حققت مكسبا على الأرض واستثمرت كل دقيقة لتثبت نجاعة أسلوب القمع والإرهاب والاغتيال، فحققت أصوات من ينادون بوقف العمليات الاستشهادية ولم نسمع الأصوات نفسها تندد بنفس الحدة بالجرائم الإسرائيلية!. بل استمر هؤلاء بالحديث عن تجاوز إشكالية أخرى، حق العودة أو تخفيف «حدة، هذا لا حق، كل ذلك لعدم إحراج اليسار الإسرائيلي! تحديداً حزب العمل الذي لا يمت لليسار بصلة في الحقيقة، والذي لم يحرجه وجوده في حكومة يرأسها هتلر الجديد - شارون - ولم تحرجه دماء طلبة المدارس في خانيونس ولا البيوت التي هدمت على رؤوس ساكنيها في جنين، ولا المعتقلات النازية التي تبنى في عوفر والنقب حزب العمل تحرجه قضية العمليات الاستشهادية وحق العودة، وبدأ البعض من الفلسطيني يدافع عن اليسار بهدر حقوق الشعب الفلسطيني ونسيان آلامه وعذاباته التي نسيها محمود عباس، تذكر فقط تاريخاً مضنياً من الصراع مع الديمقراطية والشعبية وحاضراً مليئاً «بالمهاترات والأخطاء» من قبل الجهاد وحماس الذين كاد أن يحملهما مسؤولية الاحتلال الإسرائيلي حتى قبل ولادتهما بعشرين عاما!

ما العمل:

في خارج الوطن، يقف المناضلون وفصائلهم حائرين مستشعرين عدم المشاركة كما يجب في حركة النضال الفلسطيني، وأمام الحقيقة المرة، حقيقة نكوص الدور الفلسطيني في الخارج لا الدور العسكري بل السياسي، بعد أن كان رياديا على صعيد حركة التحرر العربية والعالمية وبعد أن توقفت المساهمات في حشد التأييد العالمي بشكل جيد بدعوى أن حقنا الواضح يعطينا حق السبات، هذا السبات الذي أضحى عجيباً وسائدا إلا من بعض الشخصيات والقوى العاملة على الصعيد الدولي، مما يتوجب دخول كل بيت في هذا العالم من خلال النشاط الإعلامي والثقافي إلى جانب السياسي، وعندما نلتقي بصحفيين أجانب ندرك كم قصرنا في ذلك، فبعضهم يعتقد بأن الفلسطينيين جاؤوا من سوريا ولبنان والعراق لينقضوا على دولة إسرائيل الديمقراطية التي تمتلك حظا سيئا بوجودها جغرافيا بين هذه الدول! إن مسألة كهذه تجعل من الصعب علينا تصور مدى فشلنا السياسي والإعلامي، ذلك أننا تصورنا أن عدالة قضيتنا تعطينا حق السبات، وهو ما لوحظ حتى في مظاهرات ومساهمات العالم العربي ماديا ومعنويا في دعم الانتفاضة، فالصورة المؤسسة هي أن قناة فضائية واحدة جمعت من الأصوات الهاتفة مع الانتفاضة وأموال التبرعات ما لا تقدر عليه كافة الفصائل الفلسطينية.

إن الخروج من مرحلة النكوص لدى القوى الفلسطينية يتطلب مناقشة القضايا بشكل علني، والبحث في كيفية إعادة استقطاب الطاقات الفلسطينية بشكل جاد والبحث في الوحدة الوطنية بشكل علني وشرح المعيقات للشعب، والمعيقين أيضا، بدءا من اتحاد الفصائل وحتى امتزاج بعضها لاسيما وأن بعض الفصائل تحمل نفس البنية ونفس الخطاب ولا مانع عمليا من انضمامها تحت اسم واحد وقيادة موحدة، وتوحيد الرؤى والجهود لا البقاء كل يفرد في مساحته. خصوصا وأنه يوما بعد يوم نبدو بشكل واضح نقاتل وحدنا. وخصوصا أن المرحلة اليوم تشبه عربيا كل مرحلة انتابتنا بعدها مصيبة، فبعد إيقاف ثورة الـ ٣٦، كانت النكبة، وبعد الصمود في بيروت قتلنا بسيف التهدئة وقام النظام الرسمي العربي بترتيب المقبرة، وترحيل المقاتلين إلى أصقاع الوطن واليوم نفس النظام يريد وقف الانتفاضة، وعود بدولة في كل مرة، وكأن التكرار لا يعلمنا، وخصوصاً أن بعض القوى لم تعد تمتلك على الأرض إلا عنوانها واسمها، علينا التفكير جديا في إعادة صياغة الحركة الوطنية الفلسطينية، مناقشة ماهية السلطة، والمحيط، والفصائل، إننا بحاجة إلى علنية من أجل ذلك «غلاسنوست»، وهي لن تودي بفلسطين كما أودت بالاتحاد السوفييتي العلنية، هنا هي بلسم حياة للفصائل والشعب والقضية، وأن شعبا يفخر نفسه بأعدائه واضعا فلسطينه في مرتبة أعلى من سلامته الشخصية وبكاء أطفاله لهو جدير بأن تصاغ في سبيله برامج مناسبة جديدة، لنكون فيما بعد، بعد ربع الساعة الأخيرة من هذه المعركة في وطن جديد، بكل معنى الحداثة، الحداثة التي يستحقها شعب بهذه الروح والقدرة على العطاء، وذلك التحمل الذي يصعب تصوره!..

حوار الحضارات
في خطاب الأمم المتحدة والعلاقات الدولية

محمد صوان

إذا استعرضنا تقارير الأمين العام للأمم المتحدة السنوية، ومنذ عام ١٩٩٨ تحديداً، نجد أنه يربط بين الدعوة لحوار الحضارات مع مفاهيم التعددية والتنوع بشكل عضوي. ويعتبر أي رفض لتلك المفاهيم سبباً للعديد من الصراعات والحروب في عالمنا، بما في ذلك ما سببته الأحقاد العنصرية والعرقية والتعصب الديني. كما سعت هذه التقارير إلى عدم عزل مفهوم حوار الحضارات في أدراج المثقفين وأرشيفهم، إنما ربطه بما يدور من نقاش حول العولمة، والبحث عن أنساق جديدة للعلاقات الدولية. وذلك من خلال إنكار ضرورة وجود «عدو» في العلاقات الدولية ممثلاً في الآخر، باعتبار أن العدو المشترك للجميع هو التعصب وعدم التسامح وإقصاء الآخر.

وعلى مستوى آخر، فإذا استعرضنا قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة السنوية منذ عام ١٩٩٨ أيضا حول حوار الحضارات، نجد تزايداً مطرداً في عدد الدول التي تبنت مشروعات القرارات، بما فيها دخول دول حرصت في البداية على الابتعاد عن هذه القرارات ربما توجساً من «أجندة» خطية كامنة وراءه، مثل الولايات المتحدة الأمريكية. وقد تم إدماج موضوعات مثل حقوق الإنسان، بما في ذلك حق تقرير المصير للشعوب، في تلك القرارات، وكذلك اعتبار حوار الحضارات مدخلاً لتعزيز العلاقات الودية والتعاون بين الدول وإنهاء التهديدات للسلم والأمن الدوليين. وبينما أقرت هذه القرارات بالتباين الحضاري وبوجود تعددية داخل كل حضارة وثقافة، فإنها اعتبرت إنجازات الحضارات إرثاً مشتركاً للإنسانية، مع الأخذ في الاعتبار خصوصية كل حضارة وثقافة، وربطت بين حوار الحضارات وثقافة السلام، ودعت لاحترام التباين الثقافي والعقائدي واللغوي. ورأت قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة في العولمة ليس مجرد ظاهرة اقتصادية وتكنولوجية ومالية بل تحدياً يدعو لتبني التعاون المتبادل بين البشر. وقد ركزت القرارات بالذات على دعوة الحكومات لتدرج في المناهج الدراسية ببلادها ما من شأنه احترام التعدد الحضاري والثقافي واللغوي وتدريس إنجازات الحضارات الأخرى، بما يدعم جهود الفهم والاعتراف المتبادل فيما بين الحضارات والثقافات.

وقد اتسق التكليف الصادر لفريق الخبراء الذي أعد تقرير الأمين العام للجلسة الخاصة



للجمعية العامة في كانون أول / ديسمبر ٢٠٠٢ بشأن حوار الحضارات مع ما ذكرناه عن مضمون التقارير السنوية للأمين العام للأمم المتحدة ومع مضمون القرارات السنوية للجمعية العامة منذ عام ١٩٩٨ مع التركيز على اعتبار التنوع سمة أصيلة لعالمية الفلسفة التي جاءت بالأمم المتحدة عام ١٩٤٥ وكونه مجسداً في قيم حواها ميثاق الأمم المتحدة ومواثيق أخرى للمنظمة الدولية. كما حمل هذا التكليف مفاهيم يمكن وصفها بالغموض مثل المسؤولية الفردية في إطار الأنساق الجديدة للعلاقات الدولية ومدى إمكانية محاسبة الأفراد في العلاقات الدولية، وهو الأمر الذي أثار بعض المخاوف بشأن محاولة الربط بين حوار الحضارات من جهة ومفاهيم جديدة يحاول البعض تمريرها وتقنينها والترويج لها داخل الأمم المتحدة مثل: «الدبلوماسية الوقائية»، و«حق التدخل»، و«تقييد مفهوم السيادة»، وغير ذلك من جهة أخرى، مما دفع دولاً من العالم الثالث إلى السعي لإجلاء هذا الغموض واستجلاء الأمور نسبياً لأي مفاجآت غير سارة.

إلا أن الثابت هو أن دعوة الأمم المتحدة للقيام بأنشطة عبر العالم في مجال تشجيع الحوار بين الحضارات لاقت صدى إيجابياً سواء من بعض الحكومات أو المنظمات الإقليمية أو غير الحكومية أو المؤسسات الأكاديمية، دون إنكار الدور الهام لمنظمات دولية وإقليمية مثل منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ووكالات دولية متخصصة مثل اليونسكو «منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة»، سواء في شكل موائد مستديرة أو ندوات أو مناظرات أو ورش عمل أو فرق بحثية.

وتبقى مسألة إيجاد آلية لمتابعة تشجيع الحوار بين الحضارات وهي مازالت محل تباينات بين الدول المختلفة، خاصة أن هناك دعوة من عدد من الدول والمنظمات لضمان وجود لجنة دائمة سواء داخل الأمم المتحدة أو اليونسكو لتعميق حوار الحضارات مفهوماً وممارسة عبر الترويج له فكرياً وأدبياً وتقنياً، خاصة وأن إنشاء مثل هذه الآلية سيضمن عدم تحول عام ٢٠٠٣ إلى مجرد «ذكرى» لحوار الحضارات تكتفي بإلقاء الكلمات وتسجيل مواقف وعرض لأنشطة تمت وانتهت دن استمرارية في النتائج ومتابعتها.

ويمكن هنا المرور على المائدة المستدير التي نظمتها اليونسكو على هامش القمة

الألفية للأمم المتحدة في ١٥ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٠ وضمت عدداً مختاراً من رؤساء الدول والحكومات ووزراء الخارجية والمفكرين كان من بينهم أمين عام الجامعة العربية الحالي عمرو موسى، وما شكلته من إسهام في حوار الحضارات، على الأقل من جهة التعريف به والترويج والدعاية له.

كما يمكن التذكير بما قاله الأمين العام للأمم المتحدة في كلمة له في ٥ شباط / فبراير ٢٠٠٢ من: «أن هدف حوار الحضارات يجب أن يكون البحث عن المعايير والقيم المشتركة وتعزيزها، وليس السعي لمضاعفة أوجه الخلاف والصراع، والسعي إلى التعايش السلمي». وضرب كوفي عنان مثلاً بمنطقة الشرق الأوسط موضحاً: «أن حوار الحضارات يمكن أن يساعد أطراف الصراع على التوصل للسلام»، بدون أن يذكر تفاصيل ما يعنيه وكيفية تنفيذه.

وإذا ما انتقلنا من مستوى الاتجاهات العامة التي جسدتها قرارات الأمم المتحدة وتقارير اليونسكو والأمين العام إلى مستوى التعرف على التباينات فيما بين الدول من قراءة خطابها السياسي العلني عند مناقشة مفهوم حوار الحضارات في الجمعية العامة يمكن لنا رصد ما يلي من تباينات وأفكار:

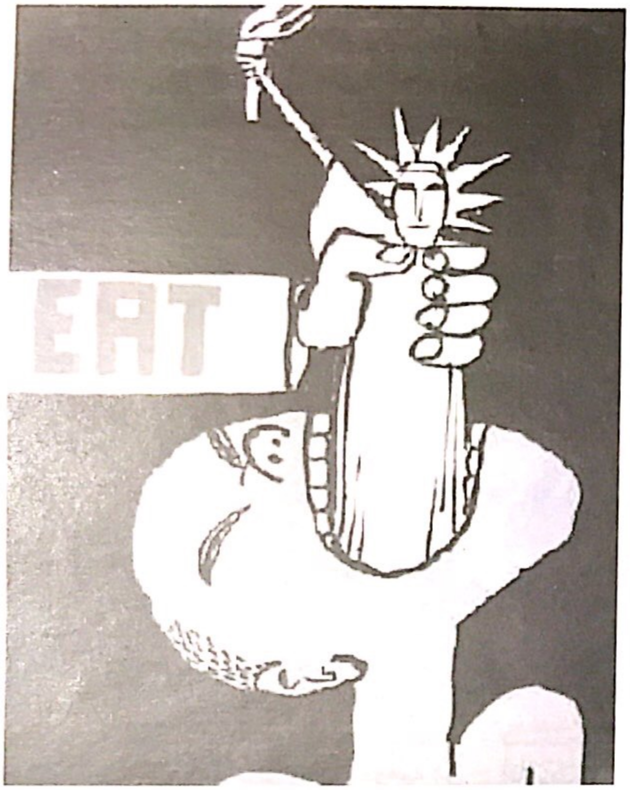
❖ تسعى إيران إلى إبراز دورها بإطلاقها مبادرة إقامة عام لحوار الحضارات الذي صادف ١٩٩٧، وتوظيف ذلك في إطار سياستها الخارجية للانفتاح على العالم وكسر محاولات عزلها، أو فرض المقاطعة عليها وإعادة الاندماج في النظام الدولي من موقع الند والشريك المساوي ودون تقديم تنازلات من جانبها.

❖ يبرز الاتحاد الأوروبي أهمية احترام التعددية الثقافية داخل المجتمعات وليس فقط فيما بينها، وربطها بحقوق الإنسان وكرامته وبالمساواة بين الرجل والمرأة، ويؤكد على إيجابية ما تتيحه ثورة المعلومات والاتصالات من فرص للتفاعل الحضاري، مع الإقرار بالمساواة بين أطراف الحوار.

❖ يتضح موقف دول ذات حضارات ترفض مساواة حوار الحضارات بحوار الأديان، خاصة في حالة معاناة هذه الدول من حساسيات أو صراعات إثنية دينية داخلها.

❖ أجمعت عدة دول على التحذير من فرط التطرف القومي والعرقي والديني على حوار الحضارات، وحاولت بعض الدول الغربية انتهاز فرصة حوار الحضارات كمدخل لتمرير قبول عالمي لعالمية قيم التعددية والديمقراطية الليبرالية وحقوق الإنسان.

❖ محاولة بعض الدول استغلال موضوع الحوار للهجوم على الإسلام كدين وحضارة وممارسات، الأمر الذي يستفز ويستنفر مشاعر المسلمين، خاصة أن الموضوع الأصلي هو السعي للحوار وليس للصدام، ناهيك أن مثل هذه الهجوم يعكس جهلاً بحقيقة الإسلام وجوهر العالمية.



❖ يذهب البعض للحديث عن العولمة الثقافية ووجود حضارة إنسانية عالمية واحدة، سواء تحدثت هذه الآراء عن المسألة باعتبارها واقعاً يجب التعامل معه أو باعتبارها طموحاً مرغوباً فيه لكونه يضمن التفاهم والتعايش بديلاً للصراع والمواجهة.

الخلاصة:

يعي دعاة الحوار خطورة الترويج لمفهوم «الحضارة الواحدة المعولمة»، لما يعنيه هذا من فرض تلك «الحضارة الواحدة» على بقية الحضارات والثقافات، كما أن هذه التباينات لم تلغ وجود شبه إجماع - مع استثناءات قليلة - على ضرورة «أنسنة العولمة» حتى تتحقق الاستفادة المتبادلة فيما بين مختلف الحضارات، وكذلك إجماع تام على أن فشل مسعى الحوار بين الحضارات سيؤدي بالبشرية إلى العودة إلى زمن التوحش وحكم الغاب ولو في ثوب عصري.

ويمكن القول أن الجدل الدائر حول موضوع حوار الحضارات في الأمم المتحدة خلال الفترة من ١٩٩٨ إلى ٢٠٠٢ قد اتسم بالإجماع على إيجابية التنوع الثقافي كعامل إثراء لتقدم البشرية، وضرورة تفعيل الحوار بين الحضارات، خاصة في ضوء سقوط برجي منظمة التجارة العالمية في نيويورك / أيلول / سبتمبر ٢٠٠١، والتأكيد على إنهاء كل أشكال الاحتلالات، وفي المقدمة الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية والعربية، وإدانة «الإرهاب» ومواجهته عبر تدعيم الحوار ونبذ الصراع أو إلصاق تهمة «الإرهاب» بحضارة بعينها مثل الحضارة الإسلامية، وإبراز أهمية الدور المحوري للأمم المتحدة بربط الحوار بمبادئ ومقاصد ميثاقها المتضمن حقوق الإنسان، وحقوق الشعوب في تقرير مصيرها، والإقرار بالتعددية الحضارية والثقافية، وتجنب ادعاء حضارة واحدة بالتفوق أو الرغبة في الهيمنة على بقية الحضارات، ورفض مبدأ وحدة الحضارة العالمية إذا كان يعني في ضوء العولمة ذوبان الفواصل بين الحضارات، بل اعتبار خصوصية كل حضارة مصدر ثراء لمسيرة الإنسانية وتقدمها وتطورها السلمي.

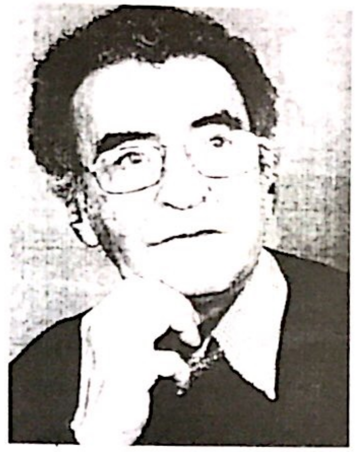


حوار مع الأستاذ محمد الحبيب طالب

نائب الأمين العام للحزب الاشتراكي الديمقراطي

خاص بمجلة «الهدف»

أعده: إدريس علوش



محمد الحبيب طالب، أحد الوجوه البارزة في حركة اليسار الجديدة، وفي جيل الشباب الذي أنتجته امتدادات الحركة الوطنية المغربية. عاش في الشرق بمدينة دمشق لفترة خلال المرحلة الجامعية، وكانت بالنسبة له فترة احتكاك مباشر بالحركات القومية في قمة فترة المد التي عرفتها، وكان بالتالي من بين المغاربة السياسيين القلائل الذين لعبوا دور حلقة الوصل الإيديولوجية بين جناحي الوطن العربي، مشرقه ومغربه. في ١٩٦٥ وبعد انتفاضة مارس المغربية، عاد إلى أرض الوطن لينخرط في بناء حركة اليسار الجديد الذي كانت هزيمة ٦٧ نقطة انطلاقه في المغرب كما في المشرق العربي. حوكم غيابياً بالسجن المؤبد لمرتين، حينما كان لاجئاً في فرنسا لمدة ٩ سنوات، ثم عاد إلى أرض الوطن مرة ثانية، بعد العفو الملكي، ليؤسس مع ثلة من قيادة ٢٣ مارس منظمة العمل الديمقراطي الشعبي. وبعد خلافات حادة داخل المنظمة، أسس مع مجموعة كبيرة من أطر المنظمة، الحزب الاشتراكي الديمقراطي، الذي يمثله اليوم ٩ برلمانيين في المجلسين، كما يشارك في الحكومة القائمة بوزير في قطاع التعليم الثانوي والتقني، ويشغل محمد الحبيب طالب نائب الأمين العام للحزب، كما أنه المدير السياسي لجريدة «السياسة الجديدة» التي هي اللسان المركزي للحزب.

❖ من منظمة «٢٣ مارس» إلى «منظمة العمل الديمقراطي الشعبي» وصولاً إلى «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» في اعتقادكم الأستاذ محمد الحبيب طالب، ما هي الخلاصة الروحية التي استمديتموها من مساركم السياسي في ارتباطكم العضوي، ودائماً من موقع قيادي، من هذه التجربة التاريخية التي تجاوزت ثلاثة عقود من الزمن؟

❖❖ «الخلاصة الروحية» كما فهمتها، هي خلاصة الخلاصات - إن صح التعبير - لتجربة تجاوزت ثلاثة عقود، كما أشرتم.. لأن هناك العديد من الخلاصات التي يمكن أن يستنتجها المرء من هذه التجربة السياسية / الحزبية في كل مرحلة من مراحلها، غير أن الخلاصة الأم كما أراها، فيمكن التعبير عنها في الجملة التالية:

على عكس ما هو شائع، فإن السياسة هي بالتحديد الميدان الذي تتحكم فيه العلاقات الموضوعية الصارمة، صحيح، أن ميدان الممارسة السياسية تختلط فيه رغبات الناس وأهواؤهم وإيديولوجياتهم، بما هو ممكن واقعياً وتاريخياً، غير أن الحصيلة العامة تكون دائماً، في المدى البعيد على الأقل، قريبة أو مطابقة لمن هم أكثر موضوعية وعقلانية. ولذلك، فالمناضل السياسي (أو الحزب السياسي) الذي لا يستطيع التمييز بين ذاتيته وموضوعية الواقع، مآله بالضرورة أن يحصد الفشل، إن آجلاً أو عاجلاً.

إني أعرف أن تحقيق هذا الأمر ليس بالسهل أو المتيسر، بل أعرف أن السعي لتحقيق هذا الوضع الذاتي الممتاز، نحو الاقتراب أكثر فأكثر من الموضوعية، تتحكم فيه - أيضاً - عوامل أخرى خارج إرادتنا، وأبعد من صحوتنا العقلية.. ومع ذلك، ليس هناك ما ينفي عن السياسة «موضوعيتها الصارمة»، وليس هناك ما يلغي، بالتالي، ضرورة هذا المسعى في ترشيد الممارسة السياسية لتكون أكثر عقلانية وأكثر تطابقاً مع حقائق الواقع الموضوعي.

❖ ساندتم التعديلات الدستورية الأخيرة للدستور المغربي، وشاركتم في كل حلقات مسلسل «الاستحقاقات» بما فيها المشاركة في الحكومة الجديدة التي يترأسها الأستاذ عبد الرحمن اليوسفي، ما هو جديد هذه التطورات التي حصلت في المشهد السياسي المغربي راهناً؟.. وهل يمكن أن تنعكس بشكل من الأشكال إيجابياً على عموم الشعب المغربي في المجالات التالية: المجال الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، والسياسي؟

❖❖ ثمة أكثر من جديد.. بل أكاد أقول، إن المشهد السياسي المغربي، بحكومة التناوب التوافقي القائمة، يقطع مع مرحلة تاريخية، ليدشن أخرى مختلفة نوعياً عنها. إن ما يطبع المرحلة الجديدة التي تشكل حكومة التناوب التوافقي أبرز علائمها، هو هذا التوافق الحاصل والنامي بين إرادتين وقوتين يملكان كل عناصر الشرعية التاريخية والشعبية لبناء المستقبل الديمقراطي: المؤسسة الملكية من جهة، والحركة الوطنية التقدمية من جهة ثانية. ولعلكم تدركون جيداً ما المغزى والمكانة اللذين تمثلهما هذه اللحظة في التاريخ السياسي للمغرب الحديث. بل إن حصول هذا التلاحم، الذي بدونه ليس بإمكان المغرب أن يحقق تقدمه الديمقراطي بأقل الخسارات وبأفضل الشروط، يشيع بديناميكيته ثقافة سياسية جديدة تطال مجموع القوى الاجتماعية، تنبني على روح التوافق في العلاقات بينها جميعاً.. وفي ظني أن هذه أكبر ضمانة لفوز الديمقراطية مستقبلاً ولبنائها على أسس تاريخية صلبة، فضلاً عن أنه أقوى ضمانة لمواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الحاصلة في زمن العولمة، ولتحقيق التوازنات الممكنة والمناسبة بين واجهاتها المختلفة والمتفاوتة والمتناقضة أحياناً، لكي تخدم هذه المعادلة في حصيلتها التقدم العام للمجتمع المغربي.

❖ تعتبرون من مبدعي ومنظّري «السياسة الجديدة» في إطار حزبكم «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» ما الذي تقصدونه أو تهدفون إليه من خلال هذا التصور الجديد للفعل السياسي، وهل هذا يعني أن ما كنتم تمارسونه من قبل يعد سياسة قديمة، أم أن لديكم تصور آخر؟..

❖❖ أجل، لقد ساهمت بقسطي مع العديد من رفاقي في الحزب في بسط هذا المفهوم «الثقافة السياسية الجديدة»، وفي إشاعته داخل الحقل السياسي الوطني، إلى أن أضحى أحد المصطلحات الدارجة لدى كل الفاعلين السياسيين المغاربة.

ونحن بهذا المفهوم لا نزعم أننا أبدعنا نظرية جديدة في علم السياسة لها من «العمومية» ما يسمح بتجريبها على تجارب

وطنية مختلفة، فهذا أكبر من طاقاتنا ومن طموحنا نفسه.. كما لا ندين بجرة قلم كل ممارساتنا وأفكارنا الماضية، فنحن نعلم أنها بنت ظروفها الخاصة الإيديولوجية والسياسية، الوطنية والقومية والعالمية، وبالتالي، لها ما لها وعليها ما عليها. ولكننا بالتأكيد نعتبر أن الوقت قد حان لتبني أفكار جديدة، وثقافة سياسية جديدة، مشتقة من تجاربنا الماضية، وفي ارتباطها مع مستجدات الوضع العالمي والوطني.. فالجدة هنا نابعة أساسا من تغيرات الوضع نفسه.

لقد تقصدنا تسمية هذه الأفكار بـ «الثقافة السياسية الجديدة» لكي لا نعطيها بعدا نظريا فائق الحد، ولكي لا ننعتها بـ «الإيديولوجيا» التي هي في سياق التجربة نفسها، منظومة نظرية متكاملة تتسع قضاياها لكل الأسئلة التي يشملها الوجود الإنساني ومصائره.

إذن، فالثقافة السياسية هي في الأخير مجرد أفكار أو مبادئ توجيهية مستخلصة من التجربة السياسية الوطنية منظورا إليها من زاوية التحديات التي تطرحها علينا مستجدات الوضع العالمي والوطني. وبهذا المعنى، يمكن لأي حزب، أو لأي مثقف، أن يضيف إليها من عنده، فهي ليست محصورة في كذا مبادئ محددة ونهائية، ولا هي من قبيل الوصايا العشر أو الخمس أو السبع كما اعتدنا في الطرق التقليدية.. المهم فقط، أن تكون الإضافات الاستنتاجية من منظور تاريخي يسعى إلى إعادة بناء ثقافتنا السياسية بما يتناسب وشروط العصر.

وفي هذا الإطار، وحسب، نركز على التوجهات الرئيسية التالية، والتي سأقدمها مختزلة وبدون تحليل لمراميها ولخلفياتها التحليلية.

أولا: اعتماد التوافق الوطني، وفي قلبه التوافق بين العرش والحركة التقدمية، كنهج سياسي ثابت ولاسيما في المرحلة الانتقالية إلى الديمقراطية.

ثانيا: إرجاع الاعتبار للأخلاق في الحياة السياسية العامة في مواجهة كل الأخلاق السائدة، سواء منها الآتية من النظام نفسه، والتي شجع عليها في ما مضى ضد قوى التغيير، أو تلك القيم التقليدية والشعبوية التي لم تكن تعترف للفرد بشخصيته ومصالحه المستقلة، أو تلك الآتية من الانفلاتات الفردانية المصلحية التي تضخها اليوم الليبرالية في مرحلتها العولمية.

ثالثا: تجاوز الموروث الثقافي الشعبوي، بما كان يعنيه من ممارسات اندفاعية تحريضية شعاراتية، نحو ممارسات تقوم على التفكير بواسطة البدائل الواقعية والعقلانية، وخاصة في الميدان الاقتصادي الذي كان الوعي به أقل شأنا، وأكثر سياسوية وشعبوية.

رابعا: الاهتمام الدؤوب بإنماء قوى المجتمع المدني، وتأطير طاقاته في كل المستويات والاهتمامات والنشاطات الاجتماعية، وعلى رأس ذلك قضية تحرر المرأة التي هي قلب الدمقرطة الضرورية - أيضا - للمجتمع. وعلى أن يكون هذا العمل الدؤوب بروح جديدة، هي غير التفكير الشعبوي القديم، بحيث يستهدف تنمية «استقلالية» تنظيمات قوى المجتمع المدني، واحترامها، وتكثيف الوعي الديمقراطي لديها، وتعزيز روح المبادرة المستقلة لديها أيضا.

هذه بعض الأفكار أو المحددات، وهي في الواقع استخلاصات من تجربتنا النضالية خلال العقود السابقة، وملائمة لمستجدات العصر ولتحدياته الضخمة. إن ناظمها المشترك هو أنها تحاول النظر إلى مختلف التناقضات التي يزخر بها مجتمعنا من أجل الديمقراطية والتنمية والعدالة الاجتماعية من منظور تاريخي عقلاني تحديثي. وهو لب الموضوع كله.. كما تشهد على ذلك مواقفنا من الدستور المعدل، والانتخابات الجماعية والتشريعية الأخيرة، والموقف من حكومة التناوب، وكيفية التعاطي مع تجربتها وإكراهاتها، والبرنامج الانتقالي الاقتصادي - الاجتماعي - السياسي الراهن والممكن، والتحالفات السياسية بما فيها الموقف من التيارات الإسلامية.. إلى آخر القضايا المطروحة..

❖ يهمنا أن نعرف الأستاذ محمد الحبيب طالب طبيعة العلاقة التي تربطكم بالكتلة الوطنية الديمقراطية، وباقي الأحزاب والتيارات السياسية الأخرى اليسارية منها والإسلامية أيضاً؟..

❖❖ ليس للتفاخر إن أشرت أننا كنا من أوائل الدعاة الذين نادوا باستقامة مبدئية إلى تشكيل الكتلة الديمقراطية، وأننا كنا ومازلنا من أكثرهم صلابة في حمايتها والذود عنها، سواء من هجمات اليمين أو من قذف المتياسرين. ولقد ساهمنا بما قدرنا عليه في صياغة برنامجها ومذكراتها.. وليس سرا أن هذه كانت أيضا من أهم القضايا الخلافية داخل التنظيم الذي كنا ننتمي إليه.. وبعدما تأسس الحزب الاشتراكي الديمقراطي أعلنا على الفور عن انتمائنا العضوي إلى جسم الكتلة برنامجا وخيارا.. وقدمنا طلبا رسميا في هذا الشأن.. وإذا كنا لم ننتم بعد، رغم إلحاحنا، إلى هيكلة الكتلة من وجهة تنظيمية بحتة، فإن ذلك يعود إلى أسباب نتفهمها، ولا نتفق عليها بطبيعة الحال. والسبب الأهم، أن الكتلة، وبكل أسف، قد تورطت في تناقضات داخلية لم تسمح لها بالتوسع والنظر إلى المستقبل، بل لم تسمح لها حتى بأن ترتقي بما هي عليه إلى قوة أكثر نشاطا وفاعلية..

أما علاقتنا الثنائية مع الأطراف الرئيسية المكونة للكتلة (الاتحاد الاشتراكي - حزب الاستقلال - حز بالتقدم والاشتراكية) فهي علاقات إيجابية تنبني على التضامن المتبادل والتعاون المشترك في عدة واجهات نضالية، خاصة على مستوى التنسيق الحكومي وفي الهيئات المشتركة للأغلبية البرلمانية المساندة للحكومة القائمة. ونخص بالذكر العلاقة الثنائية المتقدمة مع حزب التقدم والاشتراكية الذي تجمعنا وإياه وجهة نظر موحدة في البرنامج والممارسة، عدا الأصول الاشتراكية الموحدة.. وتجسيدا لهذه القواسم المشتركة، قمنا وإياه بتشكيل فريق برلماني موحد في المجلسين، وهي أول بادرة من نوعها في التجربة البرلمانية المغربية.. كما طرحنا سويا فكرة الاندماج في حزب موحد، لكي يكون قطبا جاذبا لتوحيد باقي قوى اليسار الاشتراكي - الديمقراطي.

ولأن منهجنا السياسي على الصعيد المجتمعي العام هو منهج التوافق.. فمن الطبيعي أن تكون علاقاتنا مع كل القوى الأخرى ذات النفس الديمقراطي علاقات إيجابية حوارية تنمي كل نقط اللقاء الممكنة في مجال العمل الديمقراطي.. وتحتفظ للحوار والمناقشة بكل القضايا الخلافية البرنامجية الإيديولوجية.. ومن بين تلك القوى والحركات الإسلامية، ونخص منها بالذكر حزب العدالة والتنمية الذي يشارك في البرلمان ويساند الحكومة، وتقر اختياراته صراحة بالتعاطي الإيجابي الديمقراطي مع العمل السياسي. وعليه، تمدنا هذه التوجهات والمواقف بأرضية أوسع وأشمل وأكثر اتساقا لتعاون راهن مستقبلي.

❖ لننتقل إلى المسألة الثقافية أي تصور يملكه الـ «حزب الاشتراكي الديمقراطي» لهذه المسألة، خصوصاً وأن المكونات الثقافية للهوية المغربية مفتوحة على التعدد والاختلاف؟..

❖❖ عندما أشرت في فقرة سابقة إلى «الاهتمام الدؤوب بإنماء قوى المجتمع المدني»، وإلى «ضرورة دمقرطة المجمع»، فذلك يتضمن بالقوة الأهمية المحورية للمسألة الثقافية. إن العمل السياسي التقليدي بنزعته الشعبوية (والطبقوية)، لم يكن يعير المسألة الثقافية مكانتها العميقة والتاريخية في عملية التغيير

والتقدم، إذ في أحسن الحالات كان يعتبرها رديفا فقيرا للسياسة (أو للإيديولوجية) بمعناها الضيق. وليس في الأمر عجب، لأن العمل السياسي التقليدي كان نظره مشدودا وبالحصر إلى الصراع على السلطة.. أما النظر إلى المجتمع من زاوية تطوره كمجتمع مدني، فلم يكن واردا في الحسبان. إن المنظور التاريخي العقلاني التحديثي هو المنظور الوحيد الذي يتلمس الأهمية الخاصة لدور المسألة الثقافية في تطور المجتمع عامة، وفي تطوره الديمقراطي خاصة. وعلى هذا الأساس، كنا أصحاب الشعار المركزي القائل بـ «دمقرطة الدولة ودمقرطة المجتمع». فليست الدولة وحدها بحاجة إلى الديمقراطية، بل والمجتمع أيضا بحاجة إلى ذلك في ديناميكية جدلية واحدة.. وأعتقد أن دمقرطة المجتمع هي مسألة ثقافية بامتياز:

كما، من حيث أننا شعب أمي في سواده الأعظم، وأن نسب التعليم بين الإناث والذكور والمدينة والبادية نسب مختلة اختلالا كبيرا، ثم إن حصيلة التمدرس مقرونة بحجم الضياع وضعف المردودية نسبة هزيلة جدا..

وكيفا، لأن اللغة العربية، وهي اللغة الوطنية الأم، مقصية ومهمشة في كل مجالات الحياة العصرية، وبالتالي، لم تنل حظها من التطوير العلمي الجاد لقوامها اللساني، أضف إلى هذا اللهجات الأمازيغية الأكثر تخلفا وتهميشا وإقصاء.. ثم إن الغاية من التعليم بكل مراحله أهدافا ومناهجا وأساليب تعليمية غير محددة وغير مطابقة لحاجياتنا الوطنية، ويغلب عليها إما المحافظة التقليدية، وإما العصرنة الارتجالية التبعية.. وأخيرا وليس آخرا، فإن الثقافة السائدة في المجتمع متأخرة ومفوتة، والأدهى من ذلك أنها في حالة انبعاث مجدد على حساب الهوامش التي كسبتها الحداثة لصالحها خلال السنوات الفارطة.. الثقافة إذن في كل هذه المناحي والمستويات تحتاج إلى دمقرطة وتحديث وهي بالتالي من أهم سيرورات دمقرطة المجتمع وتحديثه.

❖ حتى لا نختم، كلمة أخيرة لقراء مجلة «الهدف»..

❖❖ وأخيرا، أشكر من كل أعماقي مجلة «الهدف» التي أتاحت لي هذه الإطلالة مع قرائها، وهي التي تربطنا وإياها جذور واحدة **ممتدة عميقا في تربة الفكر والنضال القومي، والتي ملازال جذعها باسقا، وشجرتها مورقة ومزهرة، ووقفتها صامدة في مواجهة كل الرياح العاتية.**

نضال المرأة الفلسطينية من أجل التحرر الوطني والاجتماعي

ريم النويري

عندما نتحدث عن دور المرأة في عملية النضال من أجل التحرر الوطني والاجتماعي، فإن نموذج النساء الفلسطينيات هو إحدى المحطات التي يجب التوقف عندها، وعندما نتحدث عن نضال المرأة الفلسطينية، فإننا نتحدث عن تاريخ نضال الشعب الفلسطيني، حيث لا يمكننا التحدث عن جانب مع إغفال الجانب الآخر.

بالعودة إلى الإحصائيات، فإن مليون ونصف من النساء الفلسطينيات يعشن في فلسطين، نصفهن تحت سن الخامسة عشرة، كذلك تشكل المرأة نصف السكان في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما أن هناك خمسة ملايين لاجئ فلسطيني في الشتات، نصفهم من النساء، نصف النضال، نصف المعاناة، نصف الألم، ونصف الإنجازات، ولكي نكون منصفين بحق المرأة الفلسطينية، علينا أن نعود إلى تاريخها النضالي الذي يمتد لأكثر من قرن في محاربة الاستعمار البريطاني والاحتلال الإسرائيلي.

«غسان كنفاني»، أحد أبرز الكتاب الروائيين الفلسطينيين في القرن العشرين، ذكر في كتابه «أدب المقاومة الفلسطينية في فلسطين المحتلة»، عن الرعب الذي كان يشكله غناء النساء لأغاني «محمد جمجوم وفؤاد حجازي» للجنود البريطانيين، فقد وصف كيف أن الغناء كان يعتبر وسيلة شعبية للمقاومة انتشرت بشكل واسع في المجتمع الفلسطيني أثناء ثورة ١٩٣٦.

لقد سمعنا عن «زهرة الأقحوان» مجموعة من النساء المقاومات اللواتي حاربن البريطانيين، وهي واحدة من محاولات تنظيم النساء في هيئات وجمعيات، في الثلاثينيات والأربعينيات، وكانت في غالبها من نساء مثقفات من الطبقة البورجوازية، همها حق التعليم والعمل للنساء، مع اهتمام قليل بالمشاركة السياسية، وقد تأثرت هذه الحركة بشكل كبير بحركات المرأة في كل من القاهرة وبيروت، ومن أبرز الكتب التي دعت إلى المشاركة السياسية للمرأة، ذلك المعنون حقوق المرأة بقلم قاسم أمين وذلك في أوائل القرن الحالي.

عام ١٩٤٨، ومع بدء الاحتلال الإسرائيلي وترحيل إسرائيل لأكثر من ٨٠٠ ألف فلسطيني إلى الدول المجاورة (٩٠٪ تقريباً من سكان الأراضي المحتلة عام ١٩٤٨) ذاقت المرأة الفلسطينية مرارة اللجوء، هذه المرأة ذاتها التي كانت تعيش بطريقة مريحة، تواجه الآن الفقر والاستغلال كعاملة في مصنع أو مربية منزل في البيوت المترفة في لبنان وأماكن أخرى.

كانت مهمة المرأة الفلسطينية الحفاظ على الهوية الوطنية، فقد كان عليها أن تضمد الجراح، تجمع شمل العائلة المشردة، تؤمن الغذاء مع شريكها، وفوق كل ذلك أن تحفظ الذاكرة، لقد روت القصص، غنت ورقصت للحفاظ على هذه الذاكرة من آلام التشرد والثقافة السامة لعدة أجيال قادمة.

وتزايدت أعداد العائلات اللاجئة الفلسطينية، التي لم تر فلسطين، ولكنها تملك تصوراً واضحاً عنها، بفعل ذكريات أمهاتهم وجداتهم وتفوق الأجيال المتتابعة..

يعتبر عام ١٩٥٠ محطة بارزة قدمت للمرأة فرصة حقيقية للتعلم والتعليم العالي، وذلك في عهد جمال عبد الناصر، فقد منح عبد الناصر حق التعليم مجانا للجميع، وذلك تحت راية الوحدة القومية العربية، وحيث بدأنا نسمع أكثر وأكثر عن كاتبات فلسطينيات، باحثات، شاعرات، ومشاركات في الحياة السياسية.

ولكن «العصر الذهبي» للمرأة الفلسطينية كان عام ١٩٨٧، مع بدء الانتفاضة الأولى بالتحديد، فقد لعبت المرأة في هذه الثورة الشعبية ضد الاحتلال دورا بارزا، واستخدمت المرأة خلالها سلاح مقاطعة البضائع الإسرائيلية بشكل فعال وإيجادها بدائل لهذه البضائع، كما أنها استطاعت انتزاع الأسرى من الجيش الإسرائيلي محررة إياهم.

ركزت المرأة الفلسطينية على التعليم الشعبي، حيث سهلت التعليم خارج المدارس لدى إغلاقها لعدة أيام وشهور من قبل الجيش الإسرائيلي، كما تضافرت كل الجهود لإحلال العمل في المنزل محل العمل خارجه.

وهكذا أتى أوسلو في عام ١٩٩٣، وبدأت مرحلة جديدة من النضال، حيث اعتقد أن المجتمع الفلسطيني مجتمع قائم على الطبقات الاجتماعية، تم توقيع اتفاقية أوسلو من قبل الأثرياء من الشعب الفلسطيني في فلسطين، ومن طبقة أرادت وطنا لاستثماراتها، ونتيجة لذلك، تم الاتفاق على أن التفريق هو الحل بالنسبة للشعب الفلسطيني، آملين لأكثر من ذلك لاحقا، تحت شعار السلام، بدأ المجتمع الفلسطيني بالعمل، لكن عمله اتسم بالقصور، فقد بدأنا نسمع عن ظواهر جديدة لم تكن موجودة من قبل في فلسطين، بدءا من انتحار النساء، المخدرات، الاغتصاب، تزايد حالات الطلاق، وانتهاء بالفقر المدقع، وفي ظل هذه الأنظمة حصلت النساء على أدنى الرواتب، وعملت في فرق مناوبة المقابر - الأمر الغريب بالنسبة للمرأة الفلسطينية -.

شيئا فشيئا قل حجم الأعمال الصغيرة مفسحة المجال أمام إنتاج الموسرين بأسعار رخيصة جدا، وهكذا نشأت الاحتكارات في السوق بفعل قيادة السلطة الفلسطينية في العديد من المجالات، والأكثر من ذلك، عملت السلطة على قمع النساء من خلال النظم والقوانين الرجعية، وكان هناك طبقة في السلطة استفادت من وجود الاحتلال عبر إقامة شراكات وصفقات أعمال مشتركة، وكنتيجة لكل هذه التناقضات، فإن حركة النساء الفلسطينيات انقسمت في جدول أعمالها ومفهومها لنضال المرأة، وكان الانقسام العمودي حول قضية النضال الوطني والاجتماعي.

اعتقد جزء من الحركة بأنه حان الوقت للسلام، وبأن القضايا الاجتماعية يجب أن تكون محور زمن السلم، وقد تم تمويل هذا الاتجاه من قبل المنظمات غير الحكومية، بينما اعتقد فريق آخر بأن الاحتلال مازال جاثما، وبأن النضال الوطني وتحرر المرأة يجب أن يتم يدا



بيد وهو ما عرف بنهج الجذور، أما الانقسام الأفقي فكان حول المفهوم، فأولئك الذين ركزوا على البحث وأعلى درجات تطبيع العلاقات مع منظمات المرأة الإسرائيلية، قد تم تمويلهم، كما حصلوا على استحسان الغرب والمجتمع الإسرائيلي بصفتهم «أكاديميين متحضرين» - حنان عشراوي - مثال على هذا النهج.

مع بدء الانتفاضة الثانية، تم تهميش هذه الفئة لقصور رؤيتها وعدم توجهها إلى المرأة الفلسطينية في الشارع، والعمل في الأفق دون النظر إلى الأرض، بينما أولئك الذين مثلوا اتجاه الجذور تم دعمهم من قبل المرأة على الأرض، وهذه المنظمات تفتقد لأي نوع من الدعم.

تواجه المرأة في الانتفاضة الحالية، ثلاث تحديات أساسية: الاحتلال، التفريق الاجتماعي، والنضال الطبقي، وكنتيجة لهذا، فإن دورها في المقاومة هو الصمود دائما في الأزمات.

لقد شاركت المرأة في المظاهرات بكل أشكالها، خلال زيارتي لفلسطين في حزيران ٢٠٠٢، كانت تقام مظاهرة كل يوم اثنين أمام مبنى الصليب الأحمر من قبل أمهات وأسرى السياسيين الفلسطينيين، وذلك للاحتجاج على السياسة غير العادلة للصليب الأحمر، وعدم تسهيل زيارات العائلات إلى الأسرى السياسيين الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية، كما شاركت المرأة في الجنازات التي كانت تأخذ شكل المظاهرات الجماهيرية، كما قامت النساء بالمظاهرات لوحدهن.

قامت المرأة بتضميد الجراح، ولعل في قول «مريم أبو دقة» - اتحاد لجان المرأة الفلسطينية - مثالا على ذلك: «إن المرأة الفلسطينية تؤكد أنه مقابل كل جنازة هناك عرس، ومقابل كل موت هناك ولادة».

إن نموذج اتحاد لجان المرأة الفلسطينية هو مثال جدير بالاكتشاف، فهي منظمة، تمول نفسها ذاتيا، وتقدم العون لسيدات البيوت والنساء العاملات، وبسبب طبيعتها كمنظمة يسارية، فإن هدفها ينصب على تدريب النساء على خدمة أنفسهن ومجتمعهن أكثر من تقديم العون لهن.

لقد تم تدريب ١٨٠٠ امرأة في الجانب الصحي، وذلك بالتعاون مع اتحاد لجان العمل الصحي، تقدم كل امرأة النصح والتدريب للنساء الأخريات في المجتمعات الشعبية المعزولة والمكتظة، فيما يتعلق بالقضايا الصحية، كذلك لديهم برامج تتعلق بمنع تسرب الشابات من المدارس وضم الأطفال إلى المعسكرات الصيفية - حتى في أحلك الظروف - لتضميد جراحهم ودفع عجلة التئام جروح الموت من كل زاوية.

وهكذا تضافرت الجهود في كل أنحاء الضفة الغربية وغزة لتقديم العون للمرأة من تعليم التطريز، إلى الوعي البيئي والاقتصاد المنزلي، بالتعاون مع لجان العمل الزراعي.

كانت المرأة هي المستفيد الأول من التدريب على جني الزيتون وتحسين الثروة الحيوانية كمصدر للعيش ووسيلة لمقايضة البضائع، كما تم التعاون مع مشفى العودة في غزة لتقديم العلاج بسعر الكلفة وهو من أكثر البرامج فعالية.

كما قادت النساء منظمات لا تركز بالضرورة على قضايا المرأة، مثل منظمة «الضمير» في رام الله التي تقودها «خالدة جرار» وعدد كبير من النساء تعمل على ١٦٠٠ حالة من السجناء السياسيين، ومن المثير للانتباه أن تجد نساء سجينات سياسيات يتابعن حالات رفاقهن، أو أحد أفراد عائلاتهن في السجون الإسرائيلية.

تاريخيا ارتبطت حركة المرأة الفلسطينية وتأثرت بحركة التحرر الوطني الفلسطيني، هذا الترابط قد أعطى القوة لحركة المرأة، وفي أحيان أخرى أدى إلى ضعفها، ولعل في حديث «مريم أبو دقة» بهذا الخصوص هو أبلغ قول:

«لا ديمقراطية بدون انتهاء سياسية التفريق والاحتلال، ولا حرية بدون تحرر المرأة السياسي، والاجتماعي والاقتصادي».

نضال المرأة الفلسطينية.. بين الوعي والعفوية!

إلهام الحكيم

مثل انخراط الجماهير النسائية في الانتفاضة الأولى عملا دؤوبا متواصلا، وشكل جزءا من النضال البطولي اليومي لعموم الشعب الفلسطيني، مما يؤكد انتقال دور المرأة الفلسطينية من موقع الإسناد والمشاركة المحدودة المتقطعة، إلى دور الشريك الفعلي الدائم، كما يعني ارتقاء دور المرأة سيما التنظيمي والسياسي والجماهيري في دحر الاحتلال الصهيوني وتحقيق الاستقلال الوطني الفلسطيني..



وما أن توقفت الانتفاضة (بفعل اتفاقيات أوسلو) حتى دخل المجتمع الفلسطيني طورا جديدا بتكريس السلطة الفلسطينية يتمثل بالاستقرار والبناء والتأسيس، مما دفع المنظمات النسائية والجمعيات الخيرية لطرح شعارات تتلاءم مع طبيعة وبنية المجتمع المدني الذي لايزال طور التأسيس، ومن أبرز هذه الشعارات ربط الجانب المجتمعي بالجانب السياسي والابتعاد عن إعطاء الأولوية للهم السياسي على حساب الاجتماعي، ومع هذا انحصر عملها بالندوات والمؤتمرات وورشات العمل المتعلقة بالسياسة والتنظيم والثقافة، ولم تتابع العمل بالمطالب الاجتماعية التي تساهم في نيل المرأة لحقوقها القانونية والاجتماعية باعتبارها ذاتا فاعلة تمتلك كيانا مستقلا وليست تابعة أو خاضعة!! وفي خضم السجال على الشعارات التي لم تترجم على الأرض انطلقت انتفاضة الأقصى المباركة ٢٨/ ٢٠٠٠/٩.. وبادرت معظم الشرائح والفئات والطبقات للانخراط فيها، وأخذ دورها المبادر والفاعل في مقاومة الاحتلال (الذي ضرب بكل الاتفاقات عرض الحائط).. مما أوقع العديد من المنظمات النسوية بالإرباك والتخبط، حيث وجدت نفسها عاجزة في قلب الانتفاضة البطولية، خاصة مع اختلاف الظروف التي ولدت فيها الانتفاضة الحالية عن الأولى.. وفي ظل الهوة الواسعة بين الكوادر النسائية والقاعدة الجماهيرية، هذه الهوة التي تولدت في المجتمع الفلسطيني على خلفية البحبوحة ورغد العيش في الدولة الوهمية، فمع اندلاع انتفاضة الأقصى أصيبت القيادات النسائية بالوجوم، لأن مصب السبق بالمشاركة الفاعلة كان للمرأة البسيطة في المخيمات والقرى والبلدات التي لم تنتم لأية منظمة نسوية أو جمعية أو هيئة، بل وعت بحسها العفوي والفطري أن انتماءها الأقوى للوطن، فكانت بطلة معطاءة أما وأختا وزوجة للشهيد والجريح والمعتقل والمناضل، ومثلت نموذجا يحتذى لتلك الهيئات النسوية المذهولة والتابعة لمنظماتها السياسية والتي لم تكن تمتلك برامج العمل الخاصة بها والمتناسبة مع الحدث العظيم!!

وخوفا من محو تاريخها النضالي في الثورة الفلسطينية المعاصرة سارعت لابتداع البرامج الملائمة لأخذ دورها المبادر في صفوف النساء، وبالتالي توجيه نضالهن المشترك مع كافة الشرائح الأخرى، مع ملاحظة تغليب الجانب السياسي التعبوي، كما أنها لم تقف حائرة أمام التضييق الاقتصادي والأطواق الأمنية وإجراءات الحصار والهدم والتدمير، فعملت على تشكيل اللجان الشعبية والصحية بهدف الإغاثة وتنفيذ المهام الإنقاذية والتمريض والإسعاف، وبالإضافة للتوعية بترشيد الاقتصاد المنزلي وتقديم المساعدات للأسر المنكوبة والمتضررة.. كما تم بالتعاون مع المؤسسات الأخرى تشكيل اللجان السياسية والإعلامية والحقوقية للدفاع عن الأسرى والمعتقلين، وتنفيذ الاعتصامات ومراسلة الهيئات والمنظمات العربية والدولية، واللقاء مع الوفود الأجنبية، وإصدار البيانات والنداءات.. هذه اللجان ساهمت جزئيا مع الفضائيات المختلفة بإيضاح حقيقة القضية الفلسطينية والمجازر الوحشية المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني في جنين، نابلس، غزة، رفح..إلخ، فتقاطرت الوفود التضامنية مع الشعب الفلسطيني من مختلف دول العالم بما فيها الأوروبية والأمريكية وحتى الإسرائيلية، وشكلت دروعا بشرية لحماية الأطفال والسكان العزل والاحتجاج على الممارسات الصهيونية (إعادة احتلال مناطق السلطة وبيت الشرق، واقتحام المدارس والجامعات، والهدم ومصادرة الأراضي وقطع الأشجار وبناء المستوطنات أبو غنيم، غزة) بالإضافة للوفود النسائية التي زارت المخيمات في الضفة وغزة والإقامة بها منعا للقصف

الإسرائيلي، وتضامنا مع المرأة الفلسطينية ونقل الصورة الحقيقية لشعوبها، وبالتالي انعكاس ذلك على الشارع الغربي والإسرائيلي، حيث المظاهرات التضامنية الحاشدة والدعم المادي والعيني للشعب الفلسطيني وتعرية الصهيونية! وحتى التضامن البرلماني لهذه الشعوب مع الشعب الفلسطيني ودعم الهيئات الغير حكومية (ومنها منظمة توءمة المدن الفرنسية والمخيمات الفلسطينية بالداخل) التي مازالت على تواصل مع اللجان السياسية والإعلامية التي لعبت دورا تحريضيا تعبويا دعاويا، كما ساهمت مع المناضلين في توسيع الرقعة الجغرافية وتوسيع شموليتها واستمراريتها وتصعيدها وانتقال انتفاضة الأقصى إلى داخل العمق الفلسطيني داخل الخط الأخضر حيث شارك الرجال والنساء والأطفال بأشكال متعددة دفاعا عن الهوية الوطنية (مظاهرات سقط فيها ١٣ شهيدا.. عمليات استشهادية.. مقاطعة البضائع الأمريكية والإسرائيلية.. تقديم الدعم المادي والعيني للضفة والقطاع)..

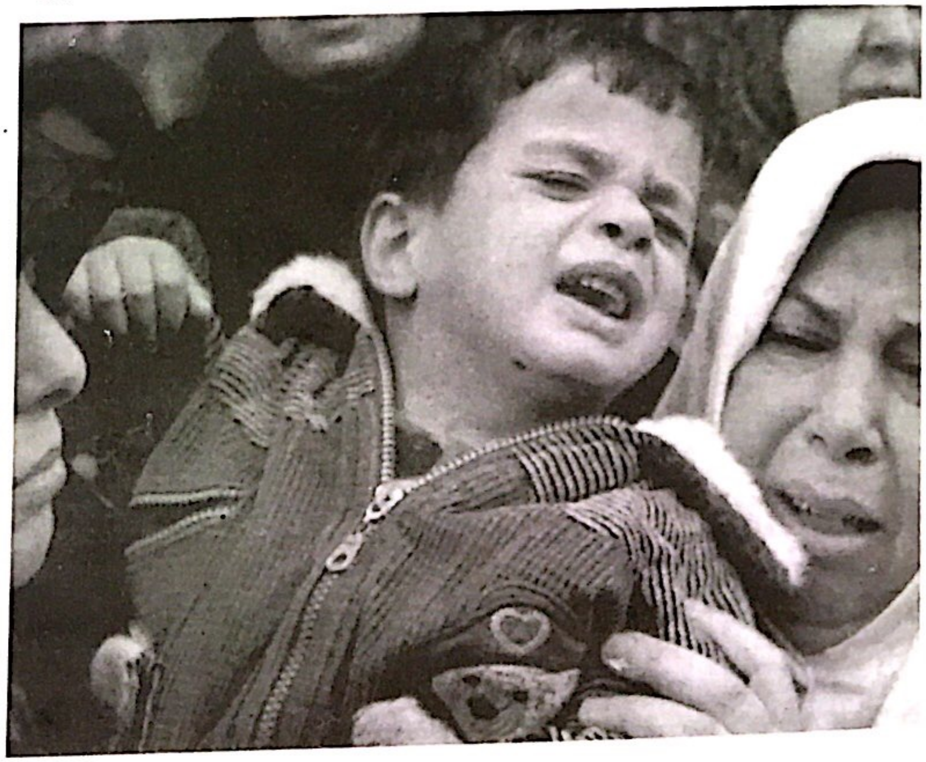
ومع تصاعد الانتفاضة وتحول مسارها من الفعل الشعبي المقاوم إلى المواجهة المسلحة طورت المرأة برامجها لتشمل مواجهة رصاص جنود العدو والمستوطنين والدعم اللوجستي للمجموعات المسلحة،ثم الانخراط بالعمل العسكري وليس أدل على ذلك من العمليات الاستشهادية التي نفذتها الاستشهاديات (آيات الأخرس، دارين أبو عيشة، وفاء إدريس، نورا شلهوب) وغيرهن، كما لم تكن أمهات الشهداء أقل منهن بحمل شرف المشاركة بالانتفاضة المجيدة من خلال تربية الأبناء على حب الوطن وتوديع فلذات الأكباد الشهداء بأعراس وطنية تمتزج فيها الزغاريد مع الدموع.. كما أن المعتقلات الصهيونية اعتبرت مدارس نضالية للمناضلات الأسيرات اللاتي يتابعن الكفاح داخل مدارس نضالية للمناضلات الأسيرات اللاتي يتابعن الكفاح داخل وخارج السجن وبلغ عددهن خلال الانتفاضة ٧٠ موقوفة..

المرأة الفلسطينية بالشتات:

ما حصل مع المرأة على أرض الوطن تكرر مع شقيقتها بالشتات مع الفارق بالمكان ونمط المشاركة، من حيث تخلف المنظمات النسوية عن الركب في بداية الانتفاضة! مما دفع العديد من النساء للانخراط في المنظمات الأهلية العاملة في دعم الانتفاضة والدفاع عن حق العودة، وهذا ما تم في مخيمات اللجوء والشتات في (سوريا، لبنان، الأردن) حيث تشكلت اللجان الداعمة ماديا وعينيا وتواصلت مع مثيلاتها بالضفة، وأقامت مع المنظمات الأهلية العربية العديد من الاعتصامات في مقرات الأمم المتحدة والمفوضية الأوروبية واليونيسيف) بالإضافة للمسيرات التضامنية مع المرأة والطفل وعموم الشعب الفلسطيني المحاصر.. ثم ما لبثت المنظمات النسائية الفلسطينية والعربية أن تداعت للمشاركة في النشاطات التضامنية والدعوة للندوات والمسيرات والاعتصامات واللقاءات مع الاتحادات النسائية العربية والأجنبية، بما فيها اتحاد النساء الديمقراطي العالمي (اندع) الذي أقام العديد من الفعاليات تضامنا مع المرأة الفلسطينية، وقد صححت تلك اللقاءات المقولة الكاذبة التي حاول الإعلام الصهيوني ترويجها وهي دفع الأم الفلسطينية بأبنائها إلى الموت)، وأوضحت أن تربية الأبناء على حب الوطن والاستشهاد دفاعا عنه ودفاعا للموت عن أطفالنا، وأن هذا العمل ليس إرهابا بل دفاعا عن الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني المحتلة أرضه، وكما فعلت كل شعوب العالم، وهي بذلك تمنح الحياة لشعبها من خلال ابنها الشهيد الحي.. كما ساهمت بإحياء الذاكرة الفلسطينية وتطوير ثقافة المواجهة بهدف بلورة الشخصية الفلسطينية بالشتات، والمساهمة في مقاطعة البضائع الأمريكية..

الإعلام والمرأة والانتفاضة:

سلط الإعلام الضوء على الحدث الساخن والمواجهات، خاصة مع تطور الانتفاضة إلى فعل مسلح، لهذا هضم حق المرأة ولم يبرز نضالاتها بالشكل الذي تستحقه رغم حضورها في كل الميادين، ودليل ذلك (سقوط عشرات الشهيدات واعتقال العشرات الأخريات، وتأخير المئات على الحواجز ونقاط العبور وتعرضهن للتوقيف والاستجواب والاضطهاد والقمع وبالتالي إجهاض الكثير منهن، وعدم إمكانية تجنيد امرأة فلسطينية واحدة كعميلة للعدو، مما يعني لعب المرأة دورا مميزا بالانتفاضة تتحمل كل وسائل الإعلام الفلسطينية والعربية مسؤولية إغفالها وعدم تظهير دورها الريادي الفاعل! كما تتحمل المنظمات النسوية الفلسطينية والعربية المسؤولية في ذلك لضعف إعلامها حينا وغيابه بالمطلق أحيانا كثيرة، وخير مثال على ذلك: (عدم توفر إحصائية دقيقة خاصة بالنساء - الشهيدات والمعتقلات أو المعاقات والمشوهات أو اللاتي تعرضن للعنف والإجهاض بسبب العدوان الصهيوني الغاشم، ومن هنا ضرورة التوجه بالدعوة لتصميم موقع على الإنترنت يوضح كل ما يتعلق بالمرأة الفلسطينية تحت الاحتلال وفي مناطق اللجوء والشتات، وإصدار نشرات دورية تتعلق بذلك والتعاون مع الفضائيات المختلفة بما يفي بالغرض لإيصال الصوت الحق والصورة الحقيقية الصادقة إلى الرأي العام العربي والدولي واستكمال ما بدأت تجلياته خلال انتفاضة الأقصى التي عرت إسرائيل أمام العالم، بالحقيقة الدامغة ولتكون المرأة الفلسطينية نبراسا للأجيال المقبلة..



الحضور الفلسطيني في مؤتمرين نسائيين

أسمهان شريح

كان الحضور الفلسطيني والعراقي قويا ولافتا في المؤتمرين النسائيين اللذين عقدا في الربع الأخير من العام المنصرم ٢٠٠٢، حيث أعادت بطولات شعبنا وتضحياته وصموده القضية الفلسطينية إلى واجهة الاهتمام العربي والدولي. وكانت المرأة الفلسطينية في قلب المعركة تشارك وتساند، بل وتتحمل العبء الأكبر. وكذلك فإن صمود الشعب العراقي الشقيق البطل، في وجه الحصار الجائر منذ ما ينوف عن أحد عشر عاما. والذي كان للمرأة العراقية فيه دور متميز، جعل قضية العراق الشقيق في أعلى سلم أولويات النضال العربي.

فقد عقد في بيروت المؤتمر النسائي التضامني العربي تحت عنوان «التحديات التي تواجه المرأة العربية حاضرا ومستقبلا». وذلك في يومي ٢٥ و٢٦ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٢ وكان شعاره «إرادة نسائية موحدة مع الشقيقات في فلسطين والعراق وفي التصدي للتحديات المصيرية».

ولكن سيقتصر الحديث هنا على الحضور الفلسطيني والكيفية، التي تناولت بها الأوراق المقدمة الموضوع الفلسطيني. ففي ورقة المجلس النسائي اللبناني، التي قدمتها السيدة عزة الحر مروة للمؤتمر، طالبت الورقة ب:

١- اتخاذ موقف عربي موحد، واضح وصريح، بدعم الانتفاضة الفلسطينية، وإدانة الدعم الأمريكي اللامحدود لإسرائيل، والدفاع عن الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني: حقه بالعودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة على أرضه وعاصمتها القدس. وإفساح المجال أمام المتطوعين العرب ليتمكنوا من دعم الشعب الفلسطيني.

٢- قطع علاقات التطبيع مع «إسرائيل».

٣- الاستفادة من علاقات الدول العربية وطاقاتها وثرواتها لهذه الغاية (سلاح النفط - سحب الودائع المصرفية من الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها من الدول الداعمة لإسرائيل وتثميرها في الأسواق العربية وغيرها).

٤- التوجه للرأي العام العالمي للضغط على «إسرائيل، من أجل تطبيق قرارات مجلس الأمن الدولي وإطلاق سراح جميع الأسرى والمعتقلين العرب في سجونها.

٥- اعتماد سياسة إعلامية عربية لتوضيح مفهوم الصراع العربي - الإسرائيلي، والتوجه إلى الرأي العام العالمي من أجل الفصل بين مفهوم الإرهاب، وبين حق الشعوب في المقاومة من أجل التحرير والاستقلال واختراق الإعلام الغربي، ورصد كل ما يشوه الواقع في المنطقة العربية والعمل على تصويبه.

وعند تحديد المهمات الملحة الواجب وضعها موضع التنفيذ كان ترتيب المهمات على الشكل التالي:

١- مقاطعة البضائع الأمريكية ومنتجات جميع الشركات العالمية التي تدعم بشكل مباشر السياسة العدوانية الأمريكية والصهيونية.

٢- تنظيم فعالية موحدة في كل البلدان العربية، في نفس التاريخ والتوقيت، وذلك تعبيراً عن رفض النساء العربيات لسياسة العدوانية الأمريكية الصهيونية على الشعبين الفلسطيني والعراقي.

٣- رفع مذكرات إلى الأمين العام للأمم المتحدة تطالبه بقيام الأمم المتحدة بدورها.

٤- توجيه رسالة إلى الرئيس اللبناني بوصفه رئيساً للقمة العربية، ومن خلاله إلى الملوك والرؤساء العرب، ورفع مذكرة إلى الأمين العام للجامعة العربية حول موقف النساء العربية من قضية الاعتداء على الشعبين العراقي والفلسطيني.

كلمة الاتحاد العام النسائي السوري أكدت على القيم النضالية للأمة العربية وقدرة المرأة العربية النضالية التحررية الرائدة، ودورها الفعال في النهوض بواقع المجتمع العربي، ويحمل الرسالة الخالدة للأمة العربية الواحدة.

وثمنت الكلمة دور المرأة الفلسطينية التي تزغرد تراتيل المجد والخلود والنصر والتحرير لفلسطين البطلة، وتجعل من بيتها وأسرتها مشروعاً قومياً تحررياً نضالياً رائداً قرباناً للأقصى.

ومما جاء في كلمة الوفد التونسي: «أهيب بشعوب الوطن العربي ونسائه، من أجل معاضدة نضال الشعب الفلسطيني الصامد بكل فئاته نساء وأطفالا وشبابا، وانتفاضته الباسلة، والوقوف مع المرأة الفلسطينية التي ضربت أروع مثال في التضحية والفداء من أجل استعادة الحق وتحرير الأرض وحماية المقدسات.

ألقت كلمة الوفد اليمني الأستاذة فوزية أحمد نعمان نائبة رئيسة اتحاد نساء اليمن، وبينت فيها أن الإرهاب هو ما يرتكبه الصهاينة في فلسطين وليس ما يقوم به الشعب الفلسطيني الأعزل وأطفال الحجارة من دفاع مشروع ضد الاحتلال الغاشم لأراضيه. ورأت أن على المجتمع الدولي الاضطلاع بواجباته اتجاه ما تمارسه أمريكا بمفهومها للإرهاب والتمييز في تنفيذ قرارات الأمم المتحدة الصادرة بشأن فلسطين والعراق، وانحيازها التام للكيان الصهيوني.

الدكتورة منال يونس عبد الرازق، رئيسة الاتحاد العام لنساء العراق، أكدت في كلمتها أن قضية المرأة والنضال للقضاء على التمييز ضدها دولياً ووطنياً هي أولاً وأخيراً قضية سياسية، ولا يمكن عزلها عن الواقع الاجتماعي والسياسي للبيئة الداخلية والدولية والسياسية.

وبينت الورقة العراقية إلى المؤتمر أن الترابط الموضوعي والقومي بين فلسطين والعراق ترسخ بفعل التطورات منذ عام ١٩٩٠، عندما أكد العراق على ضرورة الترابط بين القرارات الصادرة عن مجلس الأمن بصدد القضية الفلسطينية والقرارات الصادرة ضد العراق. كما أوضحت أن ما يرتكب في فلسطين من جرائم حرب بموجب القانون الدولي وبدعم أمريكي يماثل ما يرتكب من جرائم إبادة جماعية بحق شعب العراق نتيجة الحصار والعدوان الذي تباشره الولايات المتحدة بدعم صهيوني. وفي النهاية وجهت د. منال عبد الرزاق: «تحية إجلال وإكبار إلى أهلنا في فلسطين المحتلة وهم يسطرون يومياً معاني الشمم والإباء العربي ويسترخصون أرواحهم الغالية فداء لثرى فلسطين الحبيبة من النهر إلى البحر فطوبى للمرأة وللطفل وللرجل وللشيخ الفلسطيني لتراب فلسطين، الحجارة، وزيتونها الشامخ أبداً».

ترابط الحلقتين العربيتين العراقية

والفلسطينية، حيث تعمل الإدارة الأمريكية على ضبط إيقاع الحركة التي يقوم بها شارون بالتواتر مع ما يجري في العراق»، أكدت عليه، أيضا، كلمة وفد الاتحاد النسائي الفلسطيني في حفل الافتتاح، والتي ألقتها السيدة عبلة أبو علبة، والتي بينت كذلك أن مهام التحرر الوطني الفلسطينية والعربية تتطلب استمرار الانتفاضة والمقاومة واستراتيجية عمل موحدة على الصعيدين الرسمي والشعبي حتى إنجاز الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على تراب وطنه، وعاصمتها القدس.

كذلك أكدت السيدة أبو علبة: «ستبقى الانتفاضة المقاومة خيارنا مادام الاحتلال قائما في فلسطين والجولان وما تبقى من جنوب لبنان، ومادام خطر النزعات الاحتلالية لمناطق أو بلدان عربية أخرى قائما.

وفي يومي ٢٩و٣٠ كانون الأول / ديسمبر ٢٠٠٢ عقد، أيضا، في بيروت المؤتمر الثالث عشر للاتحاد النسائي الديمقراطي العالمي برعاية سيدة لبنان الأولى أندريه لحود، بحضور ٢٩٦ مندوبا من ٤١ بلدا، ووفود من النقابات والمؤسسات الاجتماعية والإنسانية.

وفي جلسة الافتتاح تحدثت رئيسة الاتحاد سيلفي جان مؤكدة على أهمية هذا اللقاء بين نساء العالم للتشاور والنقاش من أجل استكمال النضال لتقدم المرأة وتعزيز مكانتها في المجتمع ومراكز القرار. وألقت رئيسة لجنة حقوق المرأة ليندا مطر كلمة أكدت فيها أن انعقاد المؤتمر في لبنان يثبت عودة الأمور إلى مجراها الطبيعي، وأكدت رفضها للسياسة الإسرائيلية الهادفة إلى إبادة الشعب الفلسطيني، ومحاولة تصفية قضيته، ووقوف نساء العالم مع العراق. كما نددت نائبة رئيسة الاتحاد العالمي ميادة عباسي بالسياسة الأمريكية المتضامنة مع السياسة الإسرائيلية التي تهدف إلى استخدام قانون القوة. وتميز المؤتمر بالإجماع على رفض السياسات الأمريكية والصهيونية، حيث تناولت ورشات العمل بالنقاش مواضيع العولمة الرأسمالية، الإرهاب، الأصولية، حقوق المرأة، السلام العادل، وقضايا اللاجئين. ورأت المؤتمرات أن السياسة الأمريكية والممارسات الإسرائيلية هي أخطار تهدد الأمن والسلام العالمي.

وأنهى المؤتمر أعماله لليوم الأول بمحاكمة رمزية لشارون مستعيناً بالقاضية والمحامية الفرنسية كريستين مارتينو، لتكون القاضية في المحاكمة، بالإضافة إلى حكام يمثلون الدول المشاركة في المؤتمر من أوروبا والدول العربية وباقي دول العالم، وحضور رئيس لجنة حقوق المرأة في البرلمان الأوروبي ماريان أريكسون.

وعرض خلال المحاكمة فيلما وثائقيا حول مجازر صبرا وشاتيلا، وجنين والمجازر الشارونية بحق الفلسطينيين، إضافة إلى شهادات من عاشوا مجزرة صبرا وشاتيلا، وامرأة حضرت من جنين لتروي ما شاهدته.

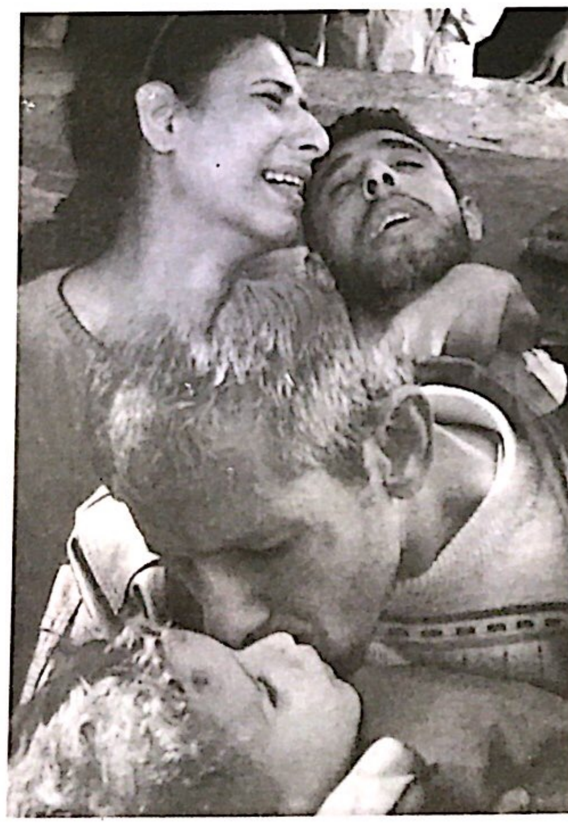
وصدر الحكم على رئيس الوزراء الإسرائيلي أرييل شارون ليقول المحلفون «إن المسؤولية كاملة على شارون، وأن أرييل شارون قوة أساسية مازالت تفلت من العقاب، والاتحاد الدولي يدين الانتهاكات، التي قام بها».

وفي إطار نشاطات المؤتمر، قسمت المشاركات إلى ثلاثة ورش عمل تتعلق بالمرأة بشكل خاص. ومواضيع أخرى عامة في مقدمتها الموضوع الفلسطيني والعراقي والوضع الجزائري.

وتنوعت المواضيع المطروحة خلال الورش وتوزعت بين الحقوق الإنسانية الأساسية، وانتهاك حقوق الإنسان وكيفية تخطي هذه المشاكل. إضافة إلى طرح موضوع نضال النساء ضد العولمة والنيوليبرالية، عناصرها ونتائجها على الطفولة، ازدياد الفقر وتدمير البيئة، حول حقوق النساء من حيث العنف الممارس عليهن، انتهاك حقوق الإنسان وسبل المواجهة، حول المساواة في الوظيفة والمجتمع من حيث حق التعليم والصحة والمشاركة في صنع القرار. حول السلام العادل من حيث حق الشعوب بالمقاومة، حل النزاعات بالطرق السلمية، نزع السلاح، القضاء على أسلحة الدمار الشامل، استقلال - سيادة، المهجرون واللاجئون، وحول تضامن النساء في مواجهة الأصولية، اليمين المتطرف، وإرهاب الدولة.

كذلك تم الحديث خلال ورش العمل في قضايا تفصيلية، حيث بحثت المؤتمرات في ورشة حقوق النساء: العنف الزوجي، الاعتداء الجنسي، الاغتصاب، الدعارة، الختان، جرائم الشرف، تعدد الزوجات، والاغتصابات الجماعية كسلاح حرب، وكلها تنبع من التمييز من قبل الرجال وهيمنتهم على النساء، الذي يشكل أحد المعايير الراسخة في الثقافات يعززها التفاوت الاجتماعي، وضرورة اعتبار النساء ضحايا للجرائم التي ترتكب بحقن، وإزالة آثار الفقر، الذي يؤدي إلى ضعف المرأة، حول الملكية وتعديل الأحكام المتعلقة بشهادة النساء أمام المحاكم، وضرورة تأمين الحماية الدولية للمرأة الفلسطينية.

فيما يخص الجانب الفلسطيني من ورشة عمل «مساواة في الوظيفة والمجتمع» طرح موضوع وفيات الأطفال وفئة N.R. في صفوف الفلسطينيين، والتي تتنصل الأنروا من واجباتها تجاههم وضرورة تحسين الوضع الصحي، والضغط على الأنروا لإنصاف المرضى الفلسطينيين والسماح بإدخال مواد الإعمار لتحسين منازل اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات الجنوب وتحسين البنى التحتية.



كما طرحت ورشة العمل المتعلقة بالأصولية ضرورة إخراج الإسلام من الدساتير في الدول العربية واستعمال القوانين العالمية، والتوجه بنظرة أبعد للنساء في المجتمعات الأخرى والتضامن معهن، وعدم تمحور الجمعيات النسائية على موضوع المرأة فقط، وإنما على جميع الموضوعات العامة.

وهكذا فإن تضحيات شعبنا وصموده أعاد قضيتنا إلى واجهة قضايا العالم، وإننا نلمس بداية تفهم عالمي لعدالة قضيتنا، فهل نعمل على تطوير هذا الفهم وتعميقه وصولاً إلى تضامن فاعل مع قضيتنا، أم نضيع هذه الفرصة، التي أتيحت من خلال دماء آلاف الشهداء والجرحى والمعتقلين، وعذابات أهلنا؟!!

مطالعات شخصية في الإعلام العربي وقضية فلسطين وانتفاضة الأقصى

د. جورج جبور

أستاذ محاضر في الدراسات العليا - كلية الحقوق جامعة حلب (سورية)

أولاً: بلاغة نص الدعوة ومخطط المطالعات

أسرتني بلاغة نص الدعوة، ووقفت عنده. والتبس علي الفهم الدقيق لعنوان البحث الذي سئلت الحديث فيه.

فأما النص فيسرني أن أستعيد بلاغته في سطوره الأولى: «على امتداد مساحة الحقد الموغل في شرايين الحاضر والقابع فوق شرفات الآتي، يصوب الحرف القاتل نحو صدر الفرح النادر، حيث تتسابق قوافل الوجع الطالع من عمق معاناة الأمة، ويصبح الحرف الحامل سر الوحي سهما ينحر صدر الفجر، حين لا تعطى القوس لباريها».

ثم إنني وافقت على العنوان شفاهة، فلما قرأته مكتوباً التبس علي الفهم الدقيق له. نص العنوان: «الإعلام والقضية الفلسطينية / الانتفاضة - قراءة عربية». يمكن للعنوان أن يفهم أنه قراءة عربية لكل إعلام العالم في علاقته بالقضية الفلسطينية / الانتفاضة. ويمكن له أن يفهم بأنه قراءة في الإعلام العربي في علاقته بالقضية الفلسطينية / الانتفاضة. رجح لدى الفهم الثاني أن ثمة قراءات أخرى إسرائيلية وإسلامية وغربية.

ثم إن العلم بالإعلام وإشكالاته راسخ، له تقاليد لا أحسنها بنفس القدر الذي يحسنها به المختصون بها ولست منهم. إلا أنني من سئل الحديث عن الإعلام، ولا أود أن أعترف بأن من سألني الحديث قد لا يكون عالماً بحدودي. إذن أنطلق من تقدير حسن العلم لدى من سألني، لأتعالم، محتفظاً، في استعمال تعبير التعالم، بهيبة علم الإعلام. وهكذا أسميت هذه الصفحات «مطالعات شخصية»، ولم أسمها بحثاً أو ما أشبه مما يلزمني بالعلم الدقيق.

ولي، في كل حال، خبرة مستمرة تقترب من نصف قرن في الممارسة الإعلامية. إذ أنني حزت على بطاقة صحفي صيف عام ١٩٥٤، ونشرت أول مقال في كانون ثاني ١٩٥٦، وكان عن قضية فلسطين.

ومخطط ما أقدمه اليوم بسيط تقليدي. في جزء تالٍ أتحدث عن الإعلام العربي في تقسيماته وإشكالاته، لأنتقل منه إلى بعض انطباعاتٍ عن كيفية تعامل الإعلام العربي مع قضايا العالم. بعد ذلك أبدأ في صلب ما تبينته «مربط الفرس»، في العنوان وهو كيفية تعامل الإعلام العربي مع قضية فلسطين وانتفاضة الأقصى. أما ختام حديثي فثلاث توصيات بشأن كيفية تصويب دور الإعلام العربي وتصعيد أثره في قضية فلسطين وانتفاضة الأقصى، وأخبركم سلفاً بما سأصل إليه. سأسحب البساط إلى ناحيتي لأوصي بأن يهتم الإعلام العربي بقضية فلسطين من حيث أنها حالة متقدمة متأخرة من حالات الاستعمار الاستيطاني الذي تنبثق العنصرية منه بالضرورة المنطقية والواقعية.

ثانياً: الإعلام العربي تقسيماته وإشكالاته

هل يمكن الحديث عن إعلام عربي؟ نعم ولا. نعم بشكل تبسيطي وعام، كما يقال إعلام غربي وإعلام صهيوني. ولا، لأن الإعلام العربي (كغيره) متعدد بحسب تقسيمات عدة. وأقترح أن نبدأ بتقسيمات الإعلام العربي ثم أتحدث عن إشكالات كل واحدٍ من هذه التقسيمات.

التقسيم الأول هو المختص بتعدد الدول:

بمقتضى هذا التقسيم لدينا إعلام لكل دولة، وعدد الدول وأشباهها يزيد عن عشرين.

والتقسيم الثاني هو المختص بالسلطة الكامنة وراء وسائل الإعلام:

أهم تقسيم هنا هو الإعلام الذي تسيطر عليه الدولة، والإعلام الذي يسيطر عليه الرأسمال الخاص. ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن كل الإعلام، رغم هذا التقسيم، يخضع بالنهاية لسلطة الدولة. وخضوع الإعلام لسلطة الدولة ظاهرة ينبغي أن نتقرى آثارها في كل إعلام دول العالم. وبقدر ما أعلم، ليس ثمة إعلام في العالم لا تسيطر عليه دولة المكان في التحليل الأخير. وضمن إطار التقسيم بمعيار السلطة ثمة الإعلام الحزبي. والإعلام الحزبي بدوره ينقسم إلى أعلام حزبي والحزب حاكم، وإلى إعلام حزبي والحزب معارض.

والتقسيم الثالث نوعي:

فهناك منه المكتوب والمسموع والمرئي. ثم هناك الإعلامات الجديدة كالإنترنت وما أشبه.

والتقسيم الرابع يعتمد معيار العمومية:

والإعلام العام يغطي كل نواحي الحياة. أما الإعلام المتخصص فيغطي ناحية واحدة من نواحي الحياة كالفن أو الأدب أو المهن (كالإعلام الطبي وإلى ما هنالك من مهن). ولعل أهم إعلام متخصص، فيما يتعلق بمنطقتنا خاصة، الإعلام الديني.

وثمة تقسيم ممكن يعتمد معيار توجه التغطية:

وهكذا يصح الكلام عن الإعلام السوري الدولي أي الموجه للخارج، والإعلام السوري العربي أي الموجه إلى العرب، والإعلام السوري الداخلي، أي الموجه إلى السوريين. وبالطبع ثمة تداخلات هنا بين العالمي والقومي والداخلي. وكثيراً ما نشهد خبراً سورياً يقصد به الداخل، يصبح خبراً عالمياً فيما إذا رأت جهة أجنبية نافذة أن من مصلحتها جعل الخبر الداخلي عالمياً.

وثمة تقسيم بمعيار لغة الإعلام:

ولدينا في المنطقة العربية إعلام منطلق من المنطقة بلغات أجنبية، على هيئة صحف وإذاعات وبثٍ تلفزيوني فضائي. ثم لدينا وسائل إعلام تصدر في المنطقة العربية ولا تتوجه إلى الخارج لكنها تستعمل لغات محلية كالكردية أو الأرمنية أو الأرمازيغية.. إلخ.

❖❖ تختص الهدف بنشر هذا البحث الهام للدكتور جبور وهو بحث قدم إلى مؤتمر «كلمة سواء» السابع عن «الذات والآخر في الإعلام المعاصر» الذي عقده مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات

بيروت، قصر اليونسكو - ١٢- ١٤/١٢/٢٠٠٢

وعدنا، بعد، تقسيم بمعيار موطن وسائل الإعلام:

ثمة إعلام عربي مهاجر أو مغترب، وأقوى جريدتين في الوطن العربي إنما تقيم مكاتبهما الأولى في لندن وهما الشرق الأوسط والحياة.

ولن يفوتنا أن نشير إلى تقسيم آخر بمعيار عروبة أو عدم عروبة السلطة المالكة وسائل الإعلام: ويكتسب هذا التقسيم أهمية استثنائية في المنطقة العربية لأنني ألاحظ أن أقوى إذاعة باللغة العربية، مسموعة في كل البلاد العربية، قادرة على تشكيل ثقافة سياسية وعامة موحدة، هي إذاعة لندن الـ (BBC). وهي إذاعة واكبت التمثيل الدبلوماسي البريطاني في سورية. ونعلم طبعا أن أمريكا طلعت علينا مؤخرا بإذاعة «سوا». كما نعلم بأن عددا من الدوريات الأمريكية تصدر الآن طبعات عربية. ونعلم فوق ذلك أن الجريدة الأمريكية الأولى في نفوذها العالمي وهي الـ «I.H.T» أصبحت منذ مدة تصل إلى دمشق في ذات يوم صدورها في وقت لا تصل فيه الجريدة الأردنية إلى دمشق إلا في اليوم التالي لصدورها. وفي إطار هذا التقسيم لا ينبغي أن نغفل الإعلام الإسرائيلي ووسائل إعلام أخرى تفعل في المنطقة وتبدو إسرائيلية الهوى.

تلك تقسيمات تستحق أن تؤخذ بكل جدية عند الحديث عن الإعلام العربي رغم أنها لا تستوعب كل الحقل. ولا أعرف يقينا إذا كانت لدينا مراكز بحوث إعلامية تتابع وسائلنا الإعلامية ضمن الأطر السابقة أو ضمن أطر متشابهة.

ونأتي إلى حديث الإشكالات:

بمقتضى التقسيم الأول نلاحظ أن الإعلام العربي قطري أساسا. وسائل الإعلام في كل دولة عربية تغطي أخبار تلك الدولة قبل غيرها.

وبمقتضى التقسيم الثاني (السلطة) نلاحظ أن وسائل الإعلام الرسمية - وهي ظاهرة واسعة الانتشار في كل الدول العربية - ووسائل الإعلام التي تتمتع فيها السلطة برجحان قيادي، إنما «تبدع» في تغطية أخبار الحكومة. ولأن معظم الدول العربية يسيطر على مقدراتها شخص واحد بصفة ملك أو رئيس، فإننا نلاحظ أن تغطية أخبار الشخص الأول ومن معه إنما تكتسح مساحات واسعة من وسائل الإعلام.

وفي ملاحظة التقسيم الثالث (النوعي) نشهد ازدهارا متصاعدا لقنوات البث التلفزيونية الفضائية على حساب الإعلام المكتوب خاصة.

ثم إن التقسيم الرابع (العمومية) يترك مجالا واسعا للتأمل. الإعلام العام هو السائد. ويتلوه في العمومية، كما ألاحظ، الإعلام الديني الذي تخصص له مساحات تتسع باستمرار في وسائل الإعلام العامة بأنواعها. ولعلي أفتقد شخصيا الإعلام المتخصص الموجه إلى صانع القرار العام والرأي العام. تقارير متخصصة كالتي تصدرها «الايكونوميست» مثلا غائبة عن معظم وسائل إعلامنا. ثم إنه ليس لدينا مجلة كالشؤون الأجنبية «For. Affairs» أو السياسية الخارجية «For. Policy» ذات الأثر في توحيد الرؤية السياسية والاستراتيجية. ولم تنجح الهيئات المهنية العربية - على حد ما أعلم - في أن توحد أصحاب المهنة الواحدة ضمن ثقافة مهنية واحدة. وأبلغ شاهد لي في ذلك هو الجمعية العربية للعلوم السياسية التي أطلقت فكرتها عام ١٩٧٣ ووضعتها في مسار تنفيذي عام ١٩٧٧، وهي الآن، وبعد ربع قرن من وضعها في مسار تنفيذي، تبدو وكأنها لا تسير. والحديث هنا ذو شجون، وبالإمكان عودة من يشاء إلى هموم عبرت عنها في كتاب عنوانه نحو علم عربي للسياسة (دمشق وبيروت، مؤسسة المنارة، ط/ ٢/ ١٩٩٣).

وألاحظ بمقتضى التقسيم الخامس (توجه التغطية) أن معظم وسائل الإعلام العربية موجهة إلى الداخل القطري. ويبدو لي أن اعتماد وسائل الإعلام الأجنبية على وسائل الإعلام العربية كمصدر للمعلومات إنما هو اعتماد ضعيف جدا. وهنا أحب أن أهنئ تلفزيون الجزيرة (رغم تحفظي على بعض توجهاته) لأنه في أحداث أفغانستان وفي تغطية شبكة القاعدة حاز قصب السبق وفرض نفسه عالميا.

أما الإعلام العربي، بمقتضى التقسيم السادس (أي اللغة) فأثره محدود جدا في اللغات الأجنبية. الإعلام العربي بالإنكليزية والفرنسية محلي بكل معنى الكلمة. من المستحيل أن تجد جريدة «السيريا تايمز» مثلا في بيروت، ناهيك عن وجوها في لندن. ولعل الجريدة الوحيدة غير المحلية في اللغة الإنكليزية التي تصدرها هيئة عربية هي «الديلي ستار» التي تظهر في بيروت، وتصل إلى عدة عواصم عربية، بل، وبفضل اتفاقها مع «I.H.T»، أصبحت تصل إلى عواصم غربية عديدة (كما أظن). أما قنوات البث التلفزيوني الفضائي باللغات الأجنبية، ولاسيما بالإنكليزية، فما تزال حلما قد يكون قريب المنال (كما نسمع) أو بعيده (كما لا أحب أن أتوقع).

أما التقسيم بمعيار موطن وسائل الإعلام، وهو التقسيم السابع، فيثير إشكالية خطيرة. السبب المعلن الأول للإعلام العربي المهاجر أو المغترب هو توفر الحرية في المهجر أو المغترب. والسبب المعلن الثاني هو قدرة هذا الإعلام على الوصول إلى كل البلاد العربية. تنبثق الإشكالية الخطيرة من الانطباع الذي يتولد لدى المتلقي بأن الوطن العربي، إنما هو وطن من الدرجة الثانية بالنسبة لإمكان الانتشار الإعلامي. ولن أفصل الآن في هذه الإشكالية الخطيرة.

وآتي أخيرا إلى بعض إشكاليات التقسيم الثامن وهو الخاص بعروبة أو عدم عروبة السلطة المالكة لوسائل الإعلام:

الإشكالية الأولى تختص بمدى عروبة السلطة المالكة لبعض وسائل الإعلام العربية. في هذا المجال تثار مثلا مسألة وجود أو عدم وجود إسهام مادي إسرائيلي في قناة الجزيرة. الإشكالية الثانية تختص بمدى مناعة وسائل الإعلام العربي أمام التمويل الأجنبي. وهذا التمويل الأجنبي (والأمريكي منه بوجه خاص)



قائم حقا، وقادم أيضا، معلن قدومه، وعلى نحو صارخ. والإشكالية الثالثة المنبثقة عن الإشكاليتين السابقتين تتلخص في أننا قد نكون إعلاميا فريسة سهلة لقوى غير عربية تغزونا لتغير ثوابتنا ضمن تخطيط محكم، والله أعلم.

بماذا نختتم هذه الجزئية من البحث؟ نختتم بأن الإشكاليات كثيرة وكبيرة وخطيرة، وأن هذه الإشكاليات ينبغي أن تكون موضع بحث علمي جدا، مدقق جدا. وأعترف أنني لست فارسا على جواده في مثل هذا البحث. أكتفي بقرع الجرس.

ثالثا: الإعلام العربي وقضايا العالم.. انطباعات عامة:

ثمة عدة انطباعات يمكن أن تدرج ضمن الكيفية التي يتعامل بها الإعلام العربي مع قضايا العالم. والانطباعات هذه شخصية قد لا يمكن التمسك بها.

الانطباع الأول هو أن وسائل الإعلام العربي تابعة في معظم توجهاتها لوسائل الإعلام الدولي. نعلم أن وكالات الأنباء العالمية، أي الغربية، تضخ معظم الأخبار إلى كل وسائل الإعلام في كل أنحاء العالم. ونعلم أن المحاولات لإنشاء وكالة أنباء عربية ما تزال تحبو، وأن وكالات الأنباء القطرية العربية محدودة الأثر في الساحة العربية. وفي الحقيقة يمكن لمطالع جريدتي العالم الأولين وهما الـ I.H.T. و«الموند» أن يرى آثار هاتين الجريدتين في تحليلات كبار المفكرين والإعلاميين العرب بعد فاصل زمني (Time lag) يقصر عادة في مصر ولبنان، ويطول في سورية (مثلا).

والانطباع الثاني والمنسجم مع الانطباع الأول هو أن ضعف وسائل الإعلام العربي ناجم عن أمور كثيرة أحد أهمها تواضع تمويل هذه الوسائل. قليلة هي وسائل الإعلام العربي التي تستطيع أن تجد نفسها، من خلال مندوبيها، في موقع الحدث، ولعل الجزيرة أهم استثناء. وأذكر أنني قرأت مؤخرا للأستاذ جهاد الخازن صاحب الزاوية اليومية الشهيرة في الحياة كلاما في هذه النقطة أشعرني بحزن عميق.

والانطباع الثالث هو أن إعلامنا العربي له أثر تكبير الغير وتصغير الذات: وذلك انطباع مخيف، وأرجو أن يبرهن بحث جاد ما على عدم صحته. نشرت جريدة «الموند» بعض وقائع وسائل الصراع العربي الصهيوني في نصف القرن الماضي، وترجمته بعض وسائل الإعلام العربي. اكتشفت في الأصل الفرنسي بعض الأخطاء. حاولت التصحيح في وسيلة إعلام عربي فلم استطع. رأي «الموند» مقدس حتى لو كان ثابت الخطأ. يتعلق الموضوع بالقرار /٣٣٧٩/. أثبتت الجريدة الفرنسية صدور القرار في ١٠/١١/١٩٧٥ ولكنها لم تثبت إلغاءه في ١٦/١٢/١٩٩١. لو كتبت إلى «الموند» لكانت استجابت للتصحيح. إلا أنني كتبت إلى وسيلة إعلام عربي هي بمثابة تلميذ لا يجرؤ أن يخالف أستاذه حتى لو كان الأستاذ على خطأ، وحتى لو كان المصحح أستاذ علوم سياسة منذ ما يقرب من أربعين عاما، والأمثلة كثيرة.

وينبثق عن الانطباعات السابقة انطباع رابع هو أن الإعلام العربي يكاد يبدو، بل هو يبدو فعلا، وكأنه يريد أن ينشر فكرة عجز العرب عن القيام بأي فعل إيجابي. وقد يكون أن بعض وسائل الإعلام العربي تبدو كذلك بحسن نية، إلا أن البعض الآخر يوحي بأنه يفعل ذلك بحسن نية أقل.

ويتولد مما سبق انطباع خامس مؤداه أن الإعلام العربي نادرا ما يحتفي بأية مبادرة عربية ذاتية. المبادر أو المبدع العربي لا يمكن أن يفرض مبادرته أو إبداعه على الإعلام العربي إلا إذا أخذ شهادة بمبادرته أو ابداعه من المرجع الغربي. ولدي أمثلة كثيرة على مثل هذا الوضع (بلفور، الاستعمار الاستيطاني، حكاية هنتنغتون، رمضان والبيت الأبيض).

ثم لا بد من إثبات انطباع سادس. كل ما سبق من وصف سلبي للإعلام العربي لا ينفي أن ثمة أصواتا تسمع عبر الإعلام العربي، وربما أن عددها يزداد، تعبر عن عكس ما أوردنا من انطباعات. وأحب هنا أن أسجل إعجابي بأسلوب الأستاذ «فهمي هويدي» الذي يخلص عادة إلى نتائج مشجعة في ختام مقالاته دون أن يغيب الحقائق (وكثير منها يصب في مجرى التيئيس). ويصل إلى نتائج مشجعة دون كيشوتيون من إعلاميي التشجيع، إلا أن مقالاتهم تقف أمامك برهانا على جهل فاضح. تزيد مقالاتهم يأسك من حيث أرادت أن تشد من عزمك.

رابعا: الإعلام العربي وأهم قضايا العالم.. قضية فلسطين وانتفاضة الأقصى:

ليس من الخطأ تكييف قضية فلسطين بأنها أهم القضايا المعاصرة في العالم بأكمله. إنها قضية حقيقية تتنافس على المرتبة الأولى مع مسألة فيها قدر كبير من الاصطناع هي مسألة حرب الرئيس الأمريكي على الإرهاب. قضية فلسطين هي الأولى لأن وعد بلفور أتى مخالفا لتقاليد عصر حق الشعوب في تقرير مصيرها. وهكذا حرم الوعد شعبا من حقه في تقرير مصيره في وقت كان فيه العالم يسير باتجاه منح كل شعب حقه في تقرير مصيره وفي نيل استقلاله وسيادته، كما عبر عن ذلك لاحقا قرار الأمم المتحدة الشهيرة / ١٥١٤ / لعام ١٩٦٠، وكما نصت على ذلك لاحقا المادة الأولى في العهدين الملزمين: عهد الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعهد الحقوق المدنية والسياسية اللذين صدرا عام ١٩٦٦. قضية فلسطين هي الأولى بين قضايا العالم لأنها تخص كل مشتغل بقضايا حقوق الإنسان في العالم، وقد عبرت عن ذلك بشكل واضح آلاف المنظمات غير الحكومية التي اجتمعت في دربان (جنوب أفريقيا، آب - أيلول ٢٠٠١) وقررت أن الصهيونية عنصرية وأن من الواجب إحياء القرار /٣٣٧٩/. وهي بذلك اضطرت إسرائيل وأمريكا إلى الانسحاب من المؤتمر.

كيف يعالج الإعلام العربي قضية فلسطين وانتفاضة الأقصى؟ من أجل جواب حاسم لابد من دراسات أدق مما سأقدمه الآن من انطباعات. ولعل أهم ما يحب أن تتركز عليه الدراسات (لاحقا) وانطباعاتي (الآن) النقاط التسع التالية أدرجها بحسب ما أرى من تسلسل أهميتها. ولا تستوعب هذه النقاط كل الموضوع، بل هي نماذج خطرت في الذهن:

١- في هشاشة الجذر السياسي العربي للإعلام العربي:

بإمكاننا إلقاء كل الآثام على الإعلام العربي. إلا أن كثيرا من هذه الآثام منبثقة عن طبيعة «الانفلاش» في الجذر السياسي العربي للإعلام وهشاشته. حين نفتقد التخطيط السياسي العربي الموحد لابد أن نفتقد معه جزءا كبيرا من جدوى الإعلام العربي.

٢- في أصل القضية:

في تقديري أن أصل القضية محاولة إنشاء كيان استعماري استيطاني عنصري في طبيعته، في وقت لم يعد العالم فيه مقتنعا بإعطاء شرعية لتجربة كالتي يحاولها ذلك الكيان. يزداد التقبل العالمي لوجهة النظر هذه، ولعل أهم شهادة في هذا الإطار ما تقوله الحكومة الإسرائيلية وتقوله معها المنظمات الصهيونية من أن تنفيذ المادة /١٣/ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الخاصة بحق كل فرد في العودة إلى وطنه وتنفيذ القرار /١٩٤/ المؤكد عليه أكثر من أي قرار آخر عرفه تاريخ الأمم المتحدة، وتنفيذ قرارات مؤتمر دربان الحكومي، إن تنفيذ كل تلك الالتزامات الدولية الحاسمة في القانون الدولي إنما يعني القضاء على الكيان الإسرائيلي. الإعلام العربي متردد إزاء هذا

التكييف لأصل القضية في وقت نرى فيه بعض مفكري اليهود يسيرون باتجاه تقبل هذا التكييف، كما في كتابات تشومسكي وبعض كتابات هنري سيغمان عضو مجلس الشؤون الخارجية الأمريكي، وأفي بيمدور نائب رئيس جامعة تل أبيب. يقود هذا التكييف إلى رسم معالم التماثل البنيوي بين الصهيونية والأبارتايد، ويوحي بأن الحل الأمثل لقضية فلسطين يقوم على أساس تطبيق الحل الذي تم التوصل إليه في جنوب أفريقيا، رغم غموض يحيط بكيفية التوصل إلى ذلك الحل. وكما قلت يبدو الإعلام العربي مترددا في تبني هذا التكييف رغم أنني ألاحظ أن هذا التردد إلى تناقص.

٣- في البعد الروحي للصراع على فلسطين:

الصهيونية مشروع تغلب في رأيي طبيعته الاستعمارية على طبيعته الدينية. إلا أن الدين اليهودي كان حاضرا في أصل تكوين المشروع، إما كذريعة ولاسيما لدى أقوياء اليهود والاستعماريين، أو كعامل تكويني ولاسيما لدى ضعفاء اليهود. ومنذ عام ١٩٧٧ أخذ التجذر الديني يجتاح إسرائيل ودلالته صعود اليمين المستمر، ذلك الصعود الذي بلغ قمة جديدة منذ تولي شارون السلطة. ما هو البعد الروحي (أي الديني) في الصراع؟ لدى عديد من اليهود الإسرائيليين يأخذ الصراع هيئة عنصرية دينية مقيتة عالميا، رغم أنها ليست مدانة إلى الحد الذي يتوافق مع عنصريتها الدينية المقيتة. تمر في أحيان كثيرة، التفوهات الصهيونية المهينة للفلسطينيين وللعرب وللمسلمين دون أن تقترن برصد عربي وعالمي لها وبإدانات عالمية تتناسب ووقاحتها وانتهاكها لمبادئ حقوق الإنسان. أما لدى العرب فثمة ميل لاستعمال لغة دينية (إسلامية - مسيحية) تقوم على أساس العنصرية الدينية رغم أنها، في مبرر وجودها، رد على لغة العديد من اليهود الإسرائيليين. لن أدخل في تفاصيل المواقف اللاهوتية والسياسية الكامنة وراء هذا الميل العربي، إلا أن بعض الإعلام العربي يتعامل مع البعد الروحي على نحو قد يفيد (وقد لا يفيد) روح المقاومة، وعلى نحو يؤذي بالتأكيد صورة العرب عالميا، ويشوه طبيعة الصراع العربي - الصهيوني. في أيامنا هذه يتصاعد الحديث عن بروتوكولات حكماء صهيون، وقد يصاب بالأذى المعنوي في المحيط العربي، من يقول أنها مزيفة، كما يقول بذلك معظم الغرب الآن وهي إنما من الغرب أتتنا. وفي تقديري أنه يحسن بالإعلام العربي أن ينظر بجدية في مدى فائدة الاعتماد على الأدبيات التي تعرف في الغرب بالأدبيات المناهضة للسامية (وأقصد: اليهودية، وكل العرب ساميون).

وأعرج هنا على مسألة أخرى تندرج تحت إطار البعد الروحي، هي مسألة البحث عن يهودية مستوطنين مرتزقة. حدد شارون مؤخرا مهمة لنفسه فيما إذا فاز بالانتخابات المقبلة. هذه المهمة هي استقدام مليون مستوطن يهودي قبل الدخول في أي بحث جدي بشأن الدولة الفلسطينية. ومن المعلوم أن نشطاء الصهيونية يستقدمون هذه الأيام بعض الهنود وغيرهم من الضعفاء اقتصاديا، بعد إقناعهم أو اقتناعهم بأنهم من سلسلة الأسباط الضائعة، كما حصل مع الفلاشا وإن باصطناع أكبر. وقد صدرت عدة كتب تحاول إثبات أن مجموعة من البشر في ذلك القطر أو غيره، في تلك القارة أو غيرها، إنما هي من سلالة يهودية. يرى التكييف الصهيوني أن هذه المجموعات من البشر يهودية لها حق عقاري شرعي أعطاه لها الله في استيطان فلسطين. أما التكييف الحقوقي الأوضح فيثبت أن هذه المجموعات القادمة للاستيطان إنما هي مرتزقة تبحث عن مكافآت مالية مقابل قيامها بأعمال عسكرية لصالح إسرائيل. أجد في الإعلام الغربي اهتماما بهذه الظاهرة أوسع من اهتمام الإعلام العربي بها.

٤- في البعد الكلي للصراع على فلسطين:

دون أن نكون مدافعين عن نظرية المؤامرة أو ضحايا لها، يمكن القول بكل جدية أن سياسات الغرب في منطقتنا من العالم توافقت منذ ما يزيد عن قرنين على ضرورة تجميع اليهود (بعضهم أو معظمهم) في فلسطين، وإمكان ذلك. كان هذا التوافق فعالا لدى البعض، وأقل فعالية لدى البعض الآخر، إلا أنه كان موجودا دائما. وفي التاريخ الحديث سبقت اتفاقية سايكس- بيكو وعد بلفور، وكأنها كانت تمهيدا له. بدون سايكس - بيكو ما كان لوعد بالفور أن ينفذ. وتيقظ متابع عربي لبناني ماروني من عازور - قرب قانا - إلى البعد الكلي للصراع على فلسطين قبل وعد بلفور بما يقرب من عقد ونصف. اسمه نجيب عازوري والاحتفال بالذكرى المئوية لصدور كتابه يقظة الأمة العربية واجب. بل قبل صدور كتاب عازوري بثلثي القرن تقريبا، وبالتحديد في ١٨٤٠/٨/١١ صدر ما أدعوه بوعد بلفور الأول، حين كتب بالمرستون إلى مندوبه في استانبول يربط بين تجميع اليهود في فلسطين وبين الحيلولة دون وحدة بلاد الشام ومصر. والتاريخ حافل بشواهد علاقة التناقض بين قوة العرب ووحدتهم وبين قيام إسرائيل وازدهارها. هل ترى وسائل أعلامنا هذا التاريخ الحافل؟ هل تربط بجدية بين ما يراد للعراق وما يراد لفلسطين والانتفاضة في أيامنا هذه؟ بعضها يرى ويربط ومعظمها لا يفعل. ولنظرية المؤامرة مطباتها، إلا أن لغض النظر عنها مطبات مقابلة.

٥- في نفع الانتفاضة:

لدى بداية الانتفاضة، التي أتت أساسا رد فعل، كان ثمة تفاؤل بنجاحها تفاؤلا قائما على أساس أنها ستكون قادرة على تقديم عمود استناد داخلي لضغوط خارجية (أمريكية أساسا) هادفة إلى تنفيذ القرار /٢٤٢/ الذي قامت عليه عملية مدريد. بلغ هذا التفاؤل مداه في الأسابيع الأخيرة في عام /٢٠٠٠/ لدى اقتراب ولاية الرئيس كلينتون من نهايتها - وتحمس الإعلام العربي في أكثريته الساحقة لهذا التفاؤل، بل وساهم في بنائه وتصعيده. ثم بدأ انحدار هذا التفاؤل مع توضح سياسة الرئيس بوش في الابتعاد عن الانشغال بقضية فلسطين والانتفاضة. حتى إذا جاءت أحداث ٢٠٠١/٩/١١، ونجح شارون في توطيد تحالفه مع أمريكا تحت شعار محاربة الإرهاب، بدأت في الإعلام العربي نغمة جديدة ترى الخير في وقف الانتفاضة، بذريعة عدم تحميل الفلسطيني الأعزل من الأعباء ما لا يستطيع أن يحتمل. منذ أكثر من عام، بدأ تنظير تخاذلي يحتل مساحات واسعة في الإعلام العربي مؤداه أن لا حل إلا بالمفاوضات، وأن المقاومة أصبحت عبئا على القائمين بها. ترافق هذا التنظير مع ما بدا من قدرة الجيش الإسرائيلي على السيطرة. إلا أن هذه السيطرة مشكوك فيها كما هو معلوم، ويزداد الشك فيها مع كل عملية استشهادية.

٦- في تكييف عمليات المقاومة:

هل هي استشهاد أم انتحار أم إرهاب؟ تصف وكالات الأنباء الأجنبية معظم عمليات المقاومة بأنها إرهاب، ويقع على وسائل الإعلام العربي أن تحول كلمة إرهاب إلى استشهاد. معظم الوسائل تفعل، إلا أن ذلك لم يأتها عفوا. أتى بفضل ضغط شعبي عربي. وهذا الضغط ينبغي أن يستمر وينبغي أن يتعمق التكييف القانوني له. صحيح أن بعض العمليات الاستشهادية توقع ضحايا من الأبرياء (كالأطفال) وممن يرى بعضنا أنهم من الأصدقاء (من جماعة حزب ميريتس المعتدل مثلا)، إلا أن الهدف الأساسي يبقى نبيلا وهو دحر الاحتلال. يمكن القول بكل بساطة أن كل إسرائيلي راشد على أرض الضفة الغربية وغزة إنما هو هدف مشروع لعمليات المقاومة. كل مستوطن إسرائيلي في الضفة

الغربية وغزة يرتكب جريمة حرب مستمرة بفعل استيطانه. وهذا موقف منسجم مع القانون الدولي. ماذا عن عمليات الاستشهاد التي تقع في إسرائيل الـ/٤٨؟ بمقتضى لغة قرارات الأمم المتحدة ثمة شك في شرعية هذه العمليات. إلا أن من الممكن بناء نظرية معاكسة قائمة على حق المتابعة الساخنة (أو الباردة). نظرية المتابعة مبنية على تتبع الجاني إلى معاقله، ولولا المعاقل الإسرائيلية لما كان الاستيطان في أراض محتلة، وهو استيطان مكيف بالقانون الدولي على أنه جريمة حرب. لن نقف هنا عند الجوانب القانونية. ما يمكن قوله أن ثمة تعاطفا شعبيا عربيا وإسلاميا بل وعالميا مع العمليات الاستشهادية، وأن الإعلام العربي يجسد معظم هذا التعاطف.

٧- في مدى الضرر اللاحق بإسرائيل من جراء عمليات المقاومة:

كبير جدا الضرر اللاحق بإسرائيل من جراء عمليات المقاومة. وفي النظرية العامة لهذه العمليات ثمة عدة معايير للنجاح. منها عدد من تصيب، ومنها مدى إلحاق الخسائر المادية بالعدو. إلا أن أهم هذه المعايير إنما هو قدرة عمليات المقاومة على إلحاق الذعر بالعدو عن طريق مفاجأته من حيث لم يحتسب. وفي النظرية العامة لهذه العمليات أن الذعر، إذا ينتشر في صفوف العدو، فإن أثره سيكون واحدا من ثلاثة، أو أثنين من ثلاثة، أو ثلاثة من ثلاثة. إما أن يقنع الذعر الإسرائيليين ولاسيما في المناطق المحتلة بأن عليهم أن ينسحبوا من تلك المناطق، بل وربما من كل فلسطين. وإما أن يصعدوا من وحشية قمعهم مما يترتب عليه بالضرورة تصعيد عمليات المقاومة. وإما أن يقنعهم بأنه لا بد من رؤية الأمور كما يجب أن ترى، أي بضرورة الوصول إلى تفاهم مع الفلسطينيين على أساس مبادئ حقوق الإنسان. الإعلام العربي في معظمه لا يرسم بجدية مدى الضرر اللاحق بإسرائيل من جراء عمليات المقاومة. ولعل السبب في ذلك ضعف نفوذ وسائل الإعلام العربي في المجتمع الاستيطاني الصهيوني. فإذا فاجأتنا بعض وسائل أعلامنا بتقرير عن مدى الضرر اللاحق بإسرائيل - فمن المرجح أن تكون لهذا التقرير مرجعية أجنبية أو إسرائيلية.

باختصار: تصرخ إسرائيل من الألم، بعض الأحيان على الأقل، فنجد أثر ذلك في وسائل أعلامنا إلحاحا على الصراخ الفلسطيني من الألم. كأن الانطباع الذي يراد خلفه لدينا أن القرح مسنا ولم يمسسهم قرح مثله.

٨- في المقاطعة ومناهضة التطبيع:

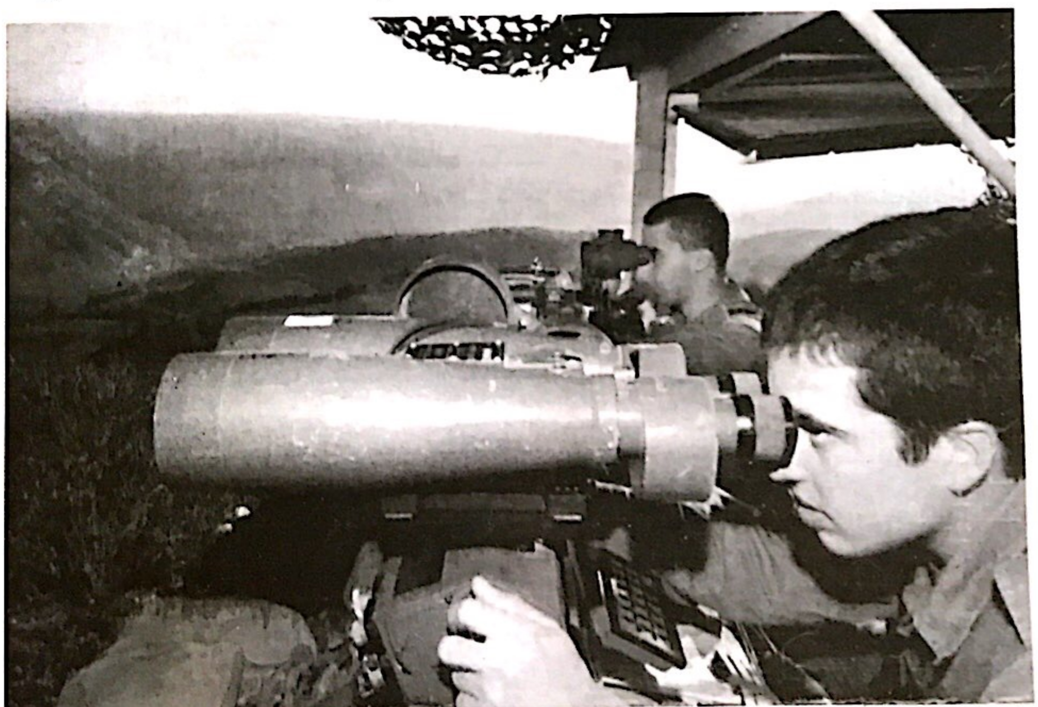
معظم وسائل الإعلام العربي تحتفي بمظاهر المقاطعة ومناهضة التطبيع. إلا أن ثمة وسائل إعلام عربي تشكك بجدوى المقاطعة ومناهضة التطبيع. وفي مقاربة هذا الموضوع يحسن بنا التمييز بين التعبئة العاطفية (وهي أمر مطلوب) وبين الجدوى الفعلية (وهي أمر احتمالي يخضع للاجتهاد). وثمة جانب إعلامي صرف في المقاطعة ومناهضة التطبيع: هل يحسن أن تستضيف وسائلنا الإعلامية شخصيات صهيونية؟ وفي الجواب عن هذا السؤال ثمة وجهة نظر ترى أن هذا الأمر مفيد لكي نعرف العدو مباشرة. وثمة وجهة نظر معاكسة غالبة. أحب أن أذكر أن بريطانيا في حرب جزر الفوكلاند حرمت استيراد أية بضاعة - ولو إعلامية وفكرية - من الأرجنتين. كذلك أحب أن أذكر أنه يستحيل على أي دبلوماسي أمريكي أن يقابل أي مقاوم لبناني أو فلسطيني. ولن ننسى أن مندوب أمريكا في الأمم المتحدة اضطر قبل ربع قرن إلى الاستقالة حين افتضح أمر مقابلته السرية مع مندوب فلسطين. الحوار مطلوب حقا ودائما. ولكن الحوار المطلوب هو ذلك الذي يقوم على أسس واضحة متبادلة ومتكافئة، ولا يكون له أثر تثبيط همة الناس الذي تتوجه إليهم الوسيلة الإعلامية، و إلا أصبح أعلاما مضادا.

٩- في انعدام التخطيط وضعف الذاكرة:

والشواهد كثيرة.. لنأخذ مثلا أياما لا يجوز أن تغيب عن الذهن: ذكرى وعد بلفور لهذا العام، وهي الذكرى الخامسة والثمانون لصدوره. إنها أول ذكرى بعد اعتذار بلجيكا عن دورها في مآسي الكونغو. كان على الإعلام العربي أن يذكر بريطانيا، يوم ٢٠٠٢/١١/٢ بأن عليها تقديم اعتذار، أسوة بما فعلته بلجيكا. في ٢٠٠٢/١٠/٣ ظهرت لي في البعث الدمشقية رسالة إلى السيد طوني بلير رئيس وزراء بريطانيا تسأله الاعتذار. وقد أرسلتها إليه عن طريق السفير البريطاني في دمشق وبوسائل أخرى. تلقيت من هواتف التأييد للفكرة، من إعلاميين وغيرهم، مالا يحصى. إلا أنني لم أقع على مقال واحد في الإعلام العربي يتابع الفكرة ويطورها ويحلق بها إلى فضاء عربي (عن طريق جريدتي الشرق الأوسط والحياة، أو عن طريق قناة فضائية). كانت للسيد جاك سترو تعريجة على وعد بلفور في مقابلة أجرتها معه أسبوعية النيوستيتسمان البريطانية وأعلن فحواها في ٢٠٠٢/١١/١٥. لم يتم الربط بين مقال ظهر في دمشق ومقابلة ظهرت في لندن. بل ولم تتم متابعة تصريحات السيد سترو سياسيا وإعلاميا، بما تستحق من جدية.

تلك ناحية جزئية إلا أن انعدام التخطيط أمر ملحوظ وملفوظ في كل مجال إعلامي عربي متعلق بالقضية الفلسطينية.

وكذلك ضعف الذاكرة، أو



بالأحرى استعارة الذاكرة.

تأتينا من الوكالات الدولية قائمة بما حدث في مثل هذا اليوم. ونقوم في الأغلب بتبيينها غافلين عما فيها من نقص تغطية لما يخصنا. في ٢٢/١١/١٩٦٧ صدر عن مجلس الأمن القرار /٢٤٢/ الممنوع من التنفيذ. ترافقت ذكراه هذا العام مع بدء تنفيذ القرار /١٤٤١/ الصادر عن الهيئة نفسها. لم نتذكر أن نركز على الكيل بمكيالين فيما يتعلق بهذين القرارين. قامت الجمعية العربية لمناهضة العنصرية في دمشق بالمقارنة. إلا أن صوتها خافت. أما قناة الجزيرة الفضائية فقد اختارت في ٢٢/١١/٢٠٠٢ أن تستعير ذاكرتها من أميركا. عادت بنا إلى عام ١٩٦٣ واغتيال الرئيس كندي. أما القرار /٢٤٢/ الذي يكاد يبلغ تأجيل تنفيذه ثلثي عمر الأمم المتحدة، والذي يهدد تنفيذ قرار مماثل له المنطقة بأسرها، فكأن لا عين رأت ولا أذن سمعت.

خامسا: ثلاث توصيات سياسية وفكرية وإعلامية:

يمكن استخلاص توصيات من معظم ما ورد من مثالب. إلا أن هذا الاستخلاص يتضمن تكرارا لا حاجة إليه. «الينبغيات» الموجهة إلى الإعلام العربي لا حصر لها، يختلط أهمها بمهامها خلطا يبلغ بنا أقصى درجات الشر، لأنه لا يحفل بضبط درجات الخير.

والتوصيات الثلاث التي أقدمها الآن سياسية ففكرية فإعلامية وهي هكذا بترتيب أهميتها.

١- التوصية السياسية: ضبط النظام السياسي العربي على قضية فلسطين:

هل هذا الضبط ممكن؟ كمشتغل في السياسة وعلومها أرى أنه هدف يستحق المحاولة. آلية الضبط التي أبشر بها منذ أوائل السبعينات: إنشاء مركز لدراسات مؤتمرات القمة العربية. حين نضبط النظام السياسي العربي يمكن لنا، وعلى نحو أفضل، الانطلاق نحو مزيد من تصويب دور الإعلام العربي وتصعيد أثره. يقع تنفيذ هذه التوصية على عاتق السياسيين. إلا أن بإمكان المفكرين والإعلاميين الإسهام في التنفيذ.

٢- التوصية الفكرية: تأصيل الصراع العربي - الصهيوني على أنه حالة استعمار استيطاني مناهضة بطبيعتها لحقوق الإنسان:

وثمة كثير مما يقال - بل وقلته - في هذا الباب. وفي تقديري أن ثمة تأصيلين كبيرين للصراع أحدهما ديني والثاني يعتمد أسس ما أدعوه علم الاستعمار الاستيطاني. التأصيل الديني حافل بالالتباس، وهو يؤدي دائما إلى طرح سؤال كبير ليس ثمة إجابة عنه. أي دين هو الأصح؟ اليهودية أم المسيحية أم الإسلام؟ ثم أن التأصيل الديني لا مستقبل له من حيث أنه في حقيقته الكبرى استئصالي. بموجبه لا يشعر اليهود الإسرائيليون بالارتياح إلا إذا هجر العرب بمسيحييهم ومسلميهم كل فلسطين التاريخية، والعكس صحيح. أما التأصيل على أسس علم الاستعمار الاستيطاني فيمكن البناء عليه بما ينسجم مع مبادئ حقوق الإنسان. وكما قلت يطول الحديث في هذا الموضوع إلا أنني الاحظ أن أقوى تأييد لحقوق الفلسطينيين، وما يتضمنه ذلك من إدانة لما يمارس عليهم من عنصرية، إنما يأتي عالميا من جماعات حقوق الإنسان. ومؤتمر دربان غير الحكومي شاهد على ذلك. التوصية هنا هي العناية الفكرية والإعلامية بعلم الاستعمار الاستيطاني، وتنزيل الصراع العربي - الصهيوني على هذا العلم، وإنشاء جمعيات عربية وعالمية لمناهضة العنصرية، ومحاولة إتباع الوسائل التي اتبعت في تجربتي جنوب روديسيا (زيمبابوي) وجنوب أفريقيا، والتي أدت إلى إزالة الاستعمار الاستيطاني عن ذينك البلدين. ومن الخطوات الهامة في هذا السبيل محاولة استصدار قرارات من الجمعية العامة للأمم المتحدة، تماثل قرارات استصدرت سابقا، تمنع الهجرة إلى فلسطين التاريخية والاستيطان فيها. ولدينا حجة قوية في هذا المضمار. وهي أن حق عودة الفلسطينيين إلى فلسطين، وهو حق مثبت بالإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومثبت بقرارات الأمم المتحدة، ومثبت بمقررات مؤتمر دربان الحكومي يتقدم على أي حق مدعى به من قبل أية مجموعة بشرية أخرى، بالهجرة إلى فلسطين، وبالاستيطان فيها. كما أن تنفيذ حق عودة الفلسطينيين يستوعب كل ما لدى فلسطين التاريخية من قدرة على الاستيعاب. ومن المؤلم - المفيد تذكرنا أن السلطة الانتدابية البريطانية كانت تأخذ هذا العامل بعين الاعتبار، وأننا أهملنا ذلك. وبشأن عنصرية الصهيونية المبنية على أساس الاستعمار الاستيطاني، هل نستطيع، هنا والآن، أن نطلب إلى وسائل الإعلام العربي الحاضرة معنا، أن تهتم بمناسبة ١٦/١٢/٢٠٠٢، لنتحدث فيها عبر جميع شاشات الأقنية الفضائية عن عملية اغتيال القرار /٣٣٧٩/ (وهو القرار الذي بموجبه قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأن الصهيونية شكل من أشكال العنصرية). تلك العملية التي ابتدأت مع بدء المحادثات الجادة حول عملية مدريد، واختتمت يوم ١٦/١٢/١٩٩١ بقرار مشوب جدا لأنه غير معلل اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة، كمساهمة في إنجاح عملية سلم لم يرد لها الإسرائيليون ومناصروهم أن تنجح؟

٣- التوصية الإعلامية: الاعتناء بالتقنيات الحديثة في الإعلام:

وفي هذا المجال أتجول في شعاب أهل مكة أدري بها. إلا أن لدي بعض الأفكار التي قد تكون مفيدة. مثلا: أليس بالإمكان وضع جدول سنوي بالمناسبات التي ينبغي أن نهتم بها؟ يوحد أفكارنا ومشاعرنا الاهتمام العربي الشامل بتلك المناسبات. يعرف الواحد منا بالآخر، والتعارف المتبادل أساس من أجل العمل المشترك. في ٨/٢/٢٠٠٣ وفي ٨/٣/٢٠٠٣ تحل الذكرى الأربعون لتسلم حزب عربي حكما، وبذلك أشير إلى حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق ثم في سورية. في ٢١/٣/٢٠٠٣ ثمة اليوم العالمي لمناهضة العنصرية، وهو ذاته ذكرى معركة الكرامة. في ٢٢/٣/٢٠٠٣ تحل الذكرى الثامنة والخمسون لإنشاء جامعة الدول العربية. ثم في أواخر آذار نستعيد ذكرى يوم الأرض. وفي نيسان ٢٠٠٣ تأتي الذكرى الخامسة والخمسون لمذبحة دير ياسين. أليس بإمكان الإعلام العربي أن يبلور ذاكرة جمعية عربية هادفة ليس فقط لإحياء الماضي بل لبناء المستقبل؟ ثم أليس بالإمكان وضع قائمة بالأسماء الفلسطينية للمدن والبلدات والقرى التي تأتينا أسماؤها باللغات الأجنبية، فلا تخفي وسائل إعلامنا الاسم الفلسطيني لصالح الاسم الأجنبي الذي تأتينا به وسائل الإعلام الأجنبية؟

من ينفذ هذين الجانبين في التوصية الإعلامية؟ أستطيع أن أقوم بعبء الفكرة الأولى، وبالإمكان سؤال جغرافي عربي أن يقوم بعبء الفكرة الثانية.

إلا أن أهم ما ينبغي أن تشغل به التوصية الإعلامية إنما هو التنظيم الإعلامي العربي. قبل أعوام سمعت في ندوة دعاني إلى المشاركة فيها قسم الإعلام بكلية آداب جامعة دمشق، أن ثمة مجلسا للقنوات الفضائية العربية. كأنني ما سمعت به إلا تلك المرة. هل هو مجلس قائم حقا؟ هل بالإمكان تشكيل مجلس إعلامي عربي أعلى حكومي وغير حكومي معا؟ ما مدى التنسيق بين وزارات الإعلام العربية عن طريق مجلس وزراء الإعلام العرب، ورئيسه الحالي مشهود له بالكفاءة والقدرة على التحرك؟ تلكم أسئلة تراود الذهن.

تصريح صحفي

حول نتائج انتخابات الكنيست الصهيوني

صرح مصدر مسؤول في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

أن نتائج انتخابات الكنيست الصهيوني تكشف حقيقة الواقع العدواني العنصري لهذا الكيان المتمسك بالاحتلال وسياسة الإجرام الفاشية. وأضاف أن النتائج تعيد إنتاج المأزق الذي وصل إليه المجتمع الإسرائيلي وبرنامج حكومة شارون عشية هذه الانتخابات. الأمر الذي يضع الشعب الفلسطيني وقواه الوطنية والإسلامية وجها لوجه أمام المهمة الرئيسة المتمثلة في مواصلة الصمود الوطني وتعزيز الانتفاضة والمقاومة عبر استعادة الوحدة الوطنية وبناء القيادة الوطنية المؤقتة الكفيلة بترتيب البيت الداخلي. وإعادة بناء منظمة التحرير على أسس ديمقراطية وتنظيمية وكفاحية سليمة. وهو السبيل الوحيد لتعميق مأزق الاحتلال الأمنية والاقتصادية والاجتماعية وهزيمته. وانتزاع أهداف الانتفاضة والمقاومة في العودة والاستقلال. بما في ذلك إنهاء الاحتلال والاستيطان وإقامة الدولة المستقلة كاملة السيادة وعاصمتها القدس.

إن الجبهة الشعبية التي طالما نادت بالإصلاح الوطني الديمقراطي، وباستخلاص الدروس التي تضمن لشعبنا نبذ واستبعاد كل ما هو مؤذ وفاسد وعقيم في مسيرته الكفاحية. لتدعو إلى مواصلة الحوار والبناء على المقدمات التي تشكلت في مجرى هذا الحوار. بما في ذلك لقاءات القاهرة وصولا إلى برنامج القواسم المشتركة الوطني والتوحيدي. باعتباره الأساس المتين في بناء الوحدة واستمرار المقاومة على المستوى الوطني والقومي، وفي وضع المجتمع الدولي أمام نفسه ومسؤولياته في لجم الجنوح الفاشي الأمريكي الصهيوني وإعادة الاعتبار للشرعية الدولية إطارا ومرجعية وقرارات.

ودعا المصدر العرب شعوبا وحكومات إلى نبذ الأوهام حول أية مشاريع أمريكية إسرائيلية في ضوء هذه النتائج.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

فلسطين

٢٠٠٣/١/٢٩

ماذا بعد الانتخابات للكنيست؟

أياً كانت التحليلات، حول احتمالات تشكيل الليكود لحكومة ما برئاسة شارون، ومهما قدرت أوزان هذه الاحتمالات، فلا حركة العمل الصهيونية بتشرذمها، وانهيارها قادرة وإن شاركت في الحكومة على لجم شارون والواقفين إلى يمينه، ولا الظرف الدولي المواتي لشارون، يستطيع أن يخفف من غلوائه، واستهتاره بأمة كاملة تحبس أنفاسها أمام شاشات الفضائيات، لتحصي مقاعد الكنيست وترسم احتمالات الخريطة السياسية في دولة الكيان الصهيوني، فيما تعبر عن عجزها الواضح واستخذائها أمام العدو.

فسواء كانت شينوي حركة مؤقتة أم حزب دائم، وسواء اشترطت حكومة وحدة للمشاركة فيها أم لا، فالبصمة الأساسية هي لشارون نفسه مثل الليكود.

وسواء طال عمر الحكومة أم قصر، فإن هذا العمر هو دم من الشعب الفلسطيني المسفوح والذي سيسفح.

وسواء اختار شارون المتدينين، أم العلمانيين، اليمينيين أم اليساريين، ليشاركوه الحكم، فقد اختار الشعب في إسرائيل أن يعادي السلام، وأن يدفع بقوة شارون نحو مزيد من الجموح والعنف والدمار، لأن هذا المجتمع «يريد حلاً فقط ولا يهم ما هو الحل، على جماجم الفلسطينيين، كان أو بالتخلي عن المناطق المحتلة»، ويبدو أنه يريد استمرار تجريب الخيار العسكري كحل. هذا المجتمع يعيش أزمة أخلاقية بين التمسك بمنافع الاحتلال، ومحاولة التخلص من أعبائه، بين الرفاه والأمن، وبين ضرورة إظهار القوة والتفوق المادي. وبالتالي فليس المجتمع الفلسطيني هو غير الناضج للسلام، بل أنه مجتمع الاستيطان سواء التاريخي القائم في تل أبيب وهرتسليا وحيفا أو القائم في كريات أربع والفيه منشه، وأرئيل ويفرات.

أمام هذه الحقيقة العنيدة، ما هو الدور الفلسطيني؟ هل هو تقديم إثبات لشارون بأن طريقته كانت ناجعة من خلال نشر الموت والدمار والحصار والتجويع وغياب الأمل، من خلال التنازل عن استمرار المقاومة والانتفاضة؟ هل هو تقديم تبرير له أيضاً من خلال الارتهان للسياسة الأمريكية وقبول خارطة الطريق؟ هل هو من خلال البحث عن مسارات سرية مع هذا الفاشي وفي ظل مهاجمته للقطاع؟

أم بإعلان استمرار المقاومة والانتفاضة، وإعادة ترتيب البيت الفلسطيني، وتعميم المشاركة في صنع القرار الوطني من خلال قيادة موحدة تقود العمل النضالي والسياسي وتبرمجه وتنظمه؟.

إن مسؤولية المتحاورين في القاهرة كبيرة، وهي أعلى من المطالبات الفصائلية، إنها مسؤولية تاريخية عن مصير شعب وربما أمة كاملة، وبالتالي فإن معالجة الأصول هي الأولى من معالجة فروع هنا وهناك، والتمسك بنقطة هنا وأخرى هناك.

أما العرب فأمامهم حقيقة مرة يجب تجرعها، وهو أنهم باتوا في هامش الأمم، وفي ذيل سلم تطورها، عدا عن الحقيقة الأخرى، وهي أن زئيف شيف اعتبر نفسه منتصراً بعد عامين على الانتفاضة، لأن تحركاً عربياً مؤثراً لم يحصل للضغط على إسرائيل أو أمريكا بما يدفعها لإنهاء احتلالها، أو بما يدفع الانتفاضة نحو الانتصار.

فيا عرب:

شعب، إسرائيل يقدم لكم شارون، ويقدم لكم التطرف، إنه لا يقدمه لشعب فلسطين فقط، بل لكل الشعوب العربية، ولكل الحكام العرب، فهل ينفع الاستجداء مع اللئام؟..

د. عصام الزعيم:

الأولوية لإصلاح الداخل

مهمة المثقفين تضييق الهوة بين الواقع كما هو والواقع كما ينبغي أن يكون

حوار/ علي ديوب

حول مضمون التحولات العربية، ودور الدولة - بين الحياد والتدخل - في ظل النظام العالمي أحادي القطب (العولمة)، ودرجة نضوج الداخل العربي، بل وضرورة هذا النضوج.. وغير ذلك من المواضيع، كان حوارنا مع الدكتور عصام الزعيم، الرجل الخبير، المثقف، والمسؤول. وقد اضطلع بمعالجة كل من هذه القضايا الشائكة، في العمق، بعقل منفتح، وجراة وجدية.. في زمن عربي هو الآن أحوج ما يكون إلى ذلك:

❖ تجري ومنذ سنوات عمليات تحول في بنية الهيكليات العربية، بنوع من الاستجابة للتحولات على مستوى العالم، وأيضاً لمتطلبات الصراع / السلام، هل ترى أنها وصلت إلى مستوى يجعلنا نصفها بالفعالة، سواء في صيغ التكتلات الإقليمية، أو القطرية؟

❖❖ يمكن القول أن الاتجاه العام، في الأقطار العربية على اختلافها، ومنذ أواسط العقد الثامن، من القرن الماضي وحتى الآن، هو الاتجاه نحو ما يسمى بالتحرير الليبرالي، أو التحول باتجاه اقتصاد السوق (الخصخصة). وقد ارتبط في الدول العربية بمحاولة تجاوز أزمة المديونية الخارجية والداخلية. إلى جانب مشاكل الإدارة والإنتاج.

فإذا أخذنا مثال مصر، السودان، تونس، الجزائر، المغرب، اليمن، الأردن، لبنان.. كل هذه الدول تقوم بإصلاحات اقتصادية، على أساس التحول نحو اقتصاد السوق والخصخصة - خصخصة المؤسسات العامة، بأشكال مختلفة، لكن مع خصوصيات لطيفة، مثلا: الخصوصية اللبنانية مرتبطة بنتائج الحرب الأهلية، الخصوصية التونسية مرتبطة بتضاؤل الحاجة لإعادة جدولة الديون. لأنه أمكن مواجهة المسألة على الصعيد الداخلي. والبلد الذي يبدو، حتى الآن، خارج العملية هو سورية، إذ رفضت سورية إعادة جدولة ديونها، وهذا يعود إلى أن الديون السورية الخارجية، اتجاه العالم الغربي، محدودة. وقد أمكن جدولة بعضاً منها، وحل البعض الآخر في إطار ثنائي. والمعروف أن إعادة جدولة الديون تعني إملاء وصفة البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي. أي تقليص دول الدولة، وتنشيط دور القطاع الخاص، وإطلاق حرية النشاط أمام رأس المال الأجنبي، وتحرير التجارة، وتحرير حركة رؤوس الأموال..إلخ.

كل هذه التدابير هي برامج التحرر أو التحول الاقتصادي، والخصخصة، وهي تؤدي إلى إدماج الاقتصادات العربية، بشروط جديدة، للاقتصاد الدولي، أقصد أن هذا الاندماج ليس جديداً. لأن الاقتصادات العربية كانت مندمجة، وبشدة، بالاقتصاد الدولي. وهذا أحد الأسباب الرئيسية لإخفاق محاولات التنمية الاقتصادية المستقلة، أو الاندماج الاقتصادي القومي العربي. ولكن ما هو جديد هو أن الاندماج اليوم يأخذ أشكالاً جديدة، في رأسها أنه يتم عبر عملية تبادل في السلع، وتبادل في حركة رؤوس الأموال. مع الملاحظة (وهي علامة فارقة واضحة) بأن هذه الحرية الجدية في التبادل تقترن بنقيضها في حركة العمل. فبينما كانت حركة الأعمال العربية باتجاه أوروبا خاصة، أو باتجاه مناطق أخرى، تتم بحرية، وبأعداد كبيرة، خلال العقدين السادس والسابع، وحتى أوائل العقد الثامن - من القرن الماضي - إلا أنها انعدمت اليوم. ولم تعد هناك حركة عمالة تستحق الذكر من الأقطار العربية، مثلاً، إلى أوروبا الغربية. وهذا يعود إلى أن نظام العولمة يحمل هذا التناقض.. فدرجة تطور رأس المال، ومستوى تطور الرأسمالية في دول المركز، لم تعد تستدعي عمالة غير مؤهلة. ولذلك لم تعد هناك حاجة للاستقطاب، أي استقدام عمالة عربية. وشيء آخر هو أن الرأسمال الأجنبي يتلقى التشجيع، ولكنه لا يستثمر بشكل واسع النطاق. وإذا طرحنا جانباً الاستثمار التقليدي الأجنبي في قطاع النفط والغاز والطاقة إجمالاً، والمعادن الحديثة في موريتانيا، ونظرنا إلى الاستثمارات الأجنبية الجارية فيها، نجدها محدودة للغاية. وهذا يعود إلى عدم استقرار الشعوب، عدم استقرار السيادة في الأقطار العربية، كما ويعود إلى تخلف الاقتصادات العربية، فلو كانت السيادة العربية متطورة، من الناحية الصناعية الإنتاجية، لحصل



هذا الاستقطاب بشكل أو بآخر.

ثم إن التوسع للاستثمار الدولي في الدول النامية يتم بصورة انتقائية، ويتضح، على نحو جلي، في أقلها نموا.

❖ ينظر البعض إلى العولمة بوصفها طوراً جديداً للرأسمالية، أحدث فيها نقلة من طور الاحتكار إلى طور التنافس. ويؤسس هذا البعض على ذلك رؤية تقول باللامركزية الرأسمالية الحديثة، التي تتخذ من أي نقطة (بلد) في العالم منطلقاً للإنتاج والتبادل. إلى أي حد يمكن أن نبني على هذا التحليل رؤية متفائلة؟

❖❖ الثورة العلمية التقنية تحدث تغيرات في عملية التطور غير المتكافئ (القانون التقليدي للرأسمالية)، إلا أن القانون المتكافئ للتطور (القانون الجديد) لايزال في طور الطرح. وهو في غاية الاهمية. لما يخص فهم التطور في عملية العولمة. فمثلا: معدل النمو في سنغافورة أعلى منه في الهند. وهو أعلى في هونغ كونغ منه في بلد كتركيا.

❖ عفواً للمقاطعة. هل هذا له علاقة بالقيود؟

❖❖ له علاقة بأشياء كثيرة. لكن ما أردت أن أقوله هو أنه رغم هذه التغيرات فإن التفاوت يظل دائما تفاوتا في التطور. وبشكل عام فإن أهم القطاعات الاقتصادية تطورا، وأحدثها تقانة، وأعلاها ربحية - بالتالي - هي مؤسسة الرأسمال. يعني، مثلا: إنتاج الحواسيب، من الجيل الثالث. والتي هي حواسيب معقدة جدا، وتدخل في صلب التكنولوجيا المحتكرة، يتم في الولايات المتحدة. حتى تصدير هذا النوع من الحواسيب يتعرض لقيود شديدة. ولكن تجري في تايوان إعادة إنتاج، أو حتى إنتاج، حواسيب.. وإذن هناك تفاوت في التطور. وبشكل عام فإن الدول حديثة النمو، أو دول النمور الآسيوية، تقوم بمحاكاة أنماط التقانة والإنتاج في أكثر البلدان تطورا. لكن، بصفة إجمالية، سيبقى هناك تمركز للإنتاج. وسيبقى هناك تحكم في الإنتاج الرأسمالي.

❖ وهل هذا يلبي مصالح الشركات متعددة الجنسيات، القائمة على توزّع وحدات الإنتاج في عدة بلدان، وعلى تكامل العملية الإنتاجية بين هذه البلدان، المتعددة والمتفاوتة؟ أم أنه، على العكس، يعيقها ويكبح تطورها؟

❖❖ لا أعتقد أن هناك تناقضا حقيقيا بين مصالح الدول الرأسمالية الكبرى وبين مصالح الشركات العابرة للقارات. أنا لست من أنصار القول بأن الشركات تجاوزت، كليا، الكيانات القومية. بل أنا أميل إلى الطرح الذي وضع لتقويم الظاهرة الإمبريالية، وهو أن الشركات العابرة، في التحليل الأخير، تميل لأن تخضع لهيمنة قوميات محددة.

الشركات متعددة الجنسيات توزع أنشطتها في العالم، وهي تقوم بعملية تطوير مناطق جديدة، ودول جديدة، واقتصادات جديدة.. حيثما تجد فرصا للربح. ولكنها تعطي أهمية للاعتبارات السياسية. بمعنى أنها لا تستثمر في مناطق غير مأمونة، أو غير مستقرة، سياسيا، أو محظرة سياسيا. يحصل، طبعا، تناقض بين الشركات تلك. ولكن بصفة عامة هي تميل لأن تقوم بأكثر الاستثمارات ربحية وتجديدا في المراكز الرأسمالية الكبرى، أو المناطق التي أسميها «الجيوب». لماذا؟ الجواب: لأن هناك أمنا استراتيجيا لهذا الاستثمار، ولأن المناخ التقاني والعلمي، فضلا عن الأمن الاستراتيجي والسياسي، مواتٍ.

يعني أنت لا تستطيع أن تقيم صناعة رابحة لأكثر الحواسيب تعقيدا في بلد يفتقر إلى القاعدة العلمية والتقانية. لذلك فإن قانون التطور غير المتكافئ يؤكد تزايد التمركز في المراكز الرأسمالية المتطورة، مع تغيرات متزايدة باتجاه النمو الصاعد (الدول الاقتصادية الصاعدة). وعلى هذا يمكننا القول بأن دول الجنوب يزداد التمايز بينها، وتنفرد أقلية منها (لكنها أقلية متزايدة العدد) في نمو سريع، وارتقاء في النمط الإنتاجي.

❖ وماذا عن وضعنا العربي، على وجه الخصوص؟ ما مصير الدعوات والمطالبات، التي قلما يخلو منها مؤتمر عربي، منذ نصف قرن، لتحقيق هذا الشكل أو ذاك من الوحدة مرة على المستوى الإقليمي، ومرة في صيغة سوق عربية مشتركة؟؟.. وهل تعتقد أن الاقتصاد سوف يحقق ما عجزت عنه الإيديولوجيات؟

❖❖ أعتقد أن إحدى الإشكالات، التي نعاني منها دوما، هي أننا ننظر إلى الواقع باعتباره أسود وأبيض. على أن الواقع أكثر تعقيدا. فعوامل الإخفاق مقرونة بعوامل النجاح، والعكس صحيح. فمثلا: مجلس التعاون الخليجي حقق التعرفة الجمركية الموحدة، وحقق حرية انتقال رؤوس الأموال والأشخاص. وبهذا المعنى هناك نجاح كبير على مستوى إقليم الخليج. في الوقت نفسه فإن حركة الأشخاص بين إقليم الخليج وبين الأقاليم العربية الأخرى تصطدم بعقبات دائما. وحتى هذه العقبات زادت مع تأزم الوضع الاقتصادي، وانتقال الاقتصاديات الخليجية إلى مرحلة جديدة من التطور. حيث لم تعد بحاجة إلى عمالة من النمط الذي احتاجت إليه أول تطورها، مع فورة النفط.

إذن هناك مزج، في الواقع، بين النجاح والإخفاق. هناك نجاحات تحققت، ولكن هناك إخفاقات أكيدة. كيف نقيس المسألة؟ ينبغي ألا نضيع، لا يعني هذا أننا لا نستخدم قياسا، نقيس المسألة بمدى استجابتها للحاجات الموضوعية التاريخية. مثلا: لكي نعزز قدرتنا الذاتية نحتاج لأن نستثمر مواردنا، بصورة اقتصادية رشيدة، نحتاج لأن نترجم رغبتنا الوحدوية إلى ممارسة اقتصادية رشيدة ومشتركة.. بهذا المعنى نحن نحقق هدفا. لكن الواقع يحمل متناقضات. ويأتي بالجديد.. فهناك ظروف تطور فيها الاقتصاد الخليجي، وبشروط سهلة جدا من قبل الدول القطرية. حكومات الدول الخليجية قدمت تسهيلات جادة للقطاع الخاص، منها الإعفاء الضريبي لسنوات عديدة، منها تمويل كلي أو جزئي للمشاريع، إلى جانب تسهيلات أخرى في التسويق ساعدت على نشاط ونمو القطاع الخاص في عدد من الأنشطة الاقتصادية والصناعية. هذا النمو الآن يصطدم بضيق السوق، صارت هناك حاجة لتوسيع السوق، وتوسيع السوق أو الحاجة إلى توسيعه، يتطلب انطلاق الأسواق الأخرى العربية القريبة والصديقة، وهذا يعطي بالتالي مناخاً إضافياً للتعاون العربي.

في الأقطار العربية التي كانت الدولة تحتكر النشاط الاقتصادي بدرجة كبيرة (رغم أن الهيمنة على العملية الاقتصادية لم تتحقق لأي من الدول العربية، بالمعنى الاقتصادي المطلوب)، نجد بأنه لابد أن يؤدي التحرير الاقتصادي إلى إعطاء الحرية للنشاط الاقتصادي الخاص.

لذلك تزداد المشاركات، أو عمليات التعاون بين الرأسماليين العرب، هذا التعاون يتم من خلال إما تصدير السلع من دولة عربية إلى أخرى، أو تصدير الرساميل أو المشاريع المشتركة، وهذه الصيغ كلها لها جانب إيجابي، تراكمي، وآخر سلبي.

المعنى الأول يتحصل من تراكمها لتشكل قاعدة لمزيد من العمل العربي المشترك، والمعنى السلبي يكون بنتيجة تركزها في قطاعات دون أخرى، بمعنى أنها تتصف بأحادية في الاستثمار.

لكن في كل الأحوال هناك ميل متزايد للعمل العربي المشترك، على مستويات جديدة، والمؤسسات العربية كانت قائمة من قبل، ولكنها

تزداد أهمية. بحكم إعطاء الدور المتزايد للقطاع الخاص.

يعني هنا أن دور الدولة مهم جدا، قطريا أو قوميا بمعنى توجيه هذه الاستثمارات والتأثير بما يساعد على تكامل الوحدة البنيوية العربية.

❖ أنت هنا تختلف بشدة مع القول بتحييد الدولة، أو الحد من تدخلها، ما هي منطلقاتك أو مسوغاتك؟

❖❖ هذا القول (حيادية الدولة) هو ببساطة شعار أيديولوجي، وهو غير صحيح. الدولة الأمريكية تتدخل، تدخلا يوميا، في النشاط الاقتصادي، وأوضح مثال على هذا هو فرض سعر الفائدة، وهذا الأخير يؤدي إلى تحديد شروط النشاط الاقتصادي. وهناك تشريعات للعمل اتخذتها منظمة العمل الدولية، لكن الولايات المتحدة لا تطبق إلا واحدة منها.

تتدخل الدولة الأمريكية من أجل فرض قيود على الشركات غير الأمريكية التي تتعامل مع دول غير الولايات المتحدة خارج أراضي الولايات المتحدة، أي أن الحكومة الأمريكية لا تتدخل فقط في الاقتصاد، وإنما تحاول أن تمد نفوذها إلى خارج الأراضي الأمريكية، وتفرض التشريع الأمريكي خارج الأراضي الأميركية، والأمثلة الكبيرة الحماية الأمريكية إذن قائمة، وتدخل الدولة الاقتصادي قائم، وفي الدول الأوروبية الغربية هناك أنشطة مماثلة، وفي اليابان تعتبر العلاقة بين الدولة والقطاع الخاص علاقة عضوية، إذن تدخل الدولة ظاهرة متواصلة، والقول بتحييد الدولة ليس أكثر من شعار أيديولوجي.

إلا أن الدولة تضخم دورها في البلدان النامية، وهي حملت ما لا تستطيع أن تحمله، ولكن لكي تقود الدولة العملية التنموية وتؤكد التماسك الوطني، لكي تخطط للمستقبل، لكي تضمن تواصل العمل السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي.. لحماية البيئة، لمكافحة الفقر المتزايد في البلاد العربية والبلاد النامية بتعاظم لأن هناك حاجة لمواجهة مشكلة البطالة..إلخ.

القطاع الخاص لا يحل مشكلة البطالة، أو مشكلة الفقر.. والنشاط الخاص في كل بلدان العالم النامية والمتطورة، يؤدي إلى فرق متزايد في الدخول، وبالتالي إلى تمركز الثروة وزيادة الفقر، ويؤدي إلى البطالة.

تدخل الدولة له أكثر من سبب، لكن المهم فيه أنه يجب أن يكون ديمقراطيا، يجب أن يكون خاضعا للرقابة الشعبية، يجب أن يكون شفافا، أن يتابع وأن يحاسب.



❖ تتحدث عما ينبغي أن يكون عليه حال الدولة العربية، أما ما هو كائن فغير ذلك - للأسف -، ولعله من المحزن أننا وصلنا، وبفضل الدولة ذاتها، إلى حال بتنا فيه ندافع عن تلك الدولة لأنها دولة (اسم / شعار) فحسب، ومن دون أن نحملها المسؤولية في أي شيء.. ولعل ما ذكرته حضرتكم - آنفاً - من أنها لم تستطع أن تهيمن على العملية الاقتصادية، لا ينفصل في أسبابه، عن طبيعتها ما قبل الوطنية / القومية، ويحكم سلباً على مراهنتنا عليها. ما قولك؟

❖❖ أنت أثرت قضية مهمة، نحن فعلا نتكلم عن دور الدولة كما ينبغي أن يكون، وأنت أشرت إلى الدولة كما هي، وثمة بون شاسع بينهما حقا.. ولكن هذا الكلام أكدت عليه لأن هناك دعاوة إيديولوجية ضد دور الدولة، وتباع هذه الدعاوة / السلعة للدول النامية، ولأن نشاط سيطرة الشركات المتعددة الجنسيات على المستوى الدولي يقلص حيز الدولة موضوعيا، وبالتالي يقلص قدرتها على الرقابة القانونية والاقتصادية والإدارية على رأسمال الدولة، لذلك تدخل الدولة يجب أن يبرز باعتباره ضرورة تاريخية، مستقبلية. لكن في الوقت نفسه، هناك حاجة لأن تصبح الدولة كما ينبغي أن تكون، هذه مهمة المثقفين، مهمة المثقفين أو رسالتهم النبيلة هي تقريب المسافة وتضييق الهوة بين الواقع كما هو والواقع كما ينبغي أن يكون، ولكن المثقفين لا يصنعون التاريخ السياسي، هذه مهمة الحركة السياسية. من واجب المثقفين أن يلفتوا النظر إلى ما هو مطلوب، وما هو قائم، وإلى البون بينهما، ولكن مهمة الحركة السياسية أن تقوم بدورها في هذا الموضوع، فنحن في عملية مخاض بطيء، نحن مادمنا قد تلقينا صدمة الهزائم وصدمة سقوط الاتحاد السوفييتي، وفقدان التوازن الدولي، وقيام النظام الأحادي القطب، والهيمنة الأمريكية والأطلسية.. نحن أمام هذا الواقع لم نستوعب بعد نتائج كل هذه العملية. عملية التحول نحو اقتصاد السوق لم تنجز، وما زالت جارية، والوعي بها مازال مبكرا، ومحدودا. ولذلك فالنضال السياسي من أجل الديمقراطية لم ينضج تماما. وأنا لا أقول هذا بمعنى أنه يجب أن ننتظر، ولكن لينبغي أن نفهم أن عملية الوعي عملية تحتاج إلى شروط، وهذا الشروط موضوعيا مازالت قيد المخاض، تتغير الشروط.. أدوات القطاع الخاص تتغير.. قبل سقوط الاتحاد السوفييتي كان هناك حلم، ومطمح لقيام الاشتراكية، وكانت هناك إمكانية موضوعية لقيام الاشتراكية، رغم أن هذه الإمكانية هي أقل، بما لا يقاس، مما اعتقد الكثيرون في البلدان النامية، وكنت واحدا من القلائل الذين رفضوا أن يصفوا الدول التقدمية بالدول الاشتراكية، وهذا لم يكن انتقاصا من قيمة وقدر الناس المخلصين.. ولكن تبيانا للحقيقة، وإزالة للوهم. واليوم مع سقوط الاتحاد السوفييتي لم تعد المسألة مطروحة أصلا.

إذن ما هو دور القطاع الخاص، اليوم؟ وكيف يكون هذا الدور مندمجا في عملية التنمية والبناء الوطني؟، والمشكلة هنا أننا تاريخيا واجهنا ضربات قاصمة لبورجوازيات وطنية، قامت بدور وطني وليبرالي إيجابي. وإننا اليوم نبحث عن هذا الدور، ونحن نواجه برجوازيات هجينة، نمت في ظروف غير طبيعية، ونمت كالعلق على القطاع العام، وفي ظروف الفورة النفطية - في آثارها المباشرة في دول النفط، وغير المباشرة خارج تلك الدول.

في هذا الوضع فإن المهمة الأساسية هي التوضيح بأن القطاع الخاص له دور مهم، ولكن هذا الدور يحدد ليس من الخارج، وإنما من الداخل الوطني، يحدد وطنيا، وليس من قبل المؤسسات الأجنبية.

❖ وكيف يمكن أن يتم هذا خارج العملية الديمقراطية، والتحرر الفعلي في الداخل، تأسيساً على قواعد وطنية مشتركة لكافة الفرقاء؟

❖❖ أنا أتفق معك تماما في سؤالك الاستنكاري، أنا أعتقد أن إحدى الإشكاليات المهمة والملحة الآن هي الوعي بأن العملية تتسارع تاريخيا، وأن التحديات تتفاقم. بأن التغيير ينبغي أن يتم بالإرادة الوطنية وقبل أن يفرض بالإرادة الأجنبية. لأنه إذا تم بالإرادة الوطنية، فإنه يمكن أن يتم بالاتجاه الصحيح، وبأكلاف محدودة اجتماعيا واقتصاديا، أما إذا تم بتدخل خارجي فسيكون ضد المصلحة الوطنية والقومية، وبأكلاف عالية للجماهير.

ملاحظات حول إشكالية العلاقة بين الأغنية الفولكلورية والأغنية الشعبية

د. وليم نصار
أكاديمي ومؤلف موسيقي، مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية.

مقدمة:

شكل الموروث الغنائي الفلسطيني مادة غنية وخصبة للعديد من الدارسين والباحثين الفلسطينيين، وقد جاءت دراساتهم وأبحاثهم عن الموروث الغنائي الفلسطيني كضرورة ملحة من الناحية الوطنية، بالدرجة الأولى، لمواجهة عملية السلب لهذا الموروث الثقافي من قبل المستعمر الصهيوني، ولضرورة إعلامية بالدرجة الثانية، لدحض الادعاءات بأن هذا الموروث الثقافي جزء من «تاريخ وثقافة» هذا العدو.

وقد تركزت جهود الباحثين على جمع نصوص الأغنيات المتوارثة، أي النصوص الشعرية. وهي وإن قدمت بذلك خدمة كبيرة على الصعيدين الوطني والسياسي، إلا أنها لم تولِ الجانب التقني لهذا الموروث الغنائي الاهتمام الكافي.

ولن يعالج هذا البحث الجانب التقني للموروث الغنائي الفلسطيني، وإن كان سيتم التطرق إليه بشكل مقتضب، وإنما سيتم التركيز على الجانب التاريخي، الاجتماعي والاقتصادي لهذا الموروث.

بداية، لا بد لنا من تحديد مصطلحات للموروث الغنائي الفلسطيني، فمعظم الدراسات والأبحاث التي تناولت الأغنية الفولكلورية والأغنية الشعبية الفلسطينية وقعت في مطب المصطلحات، حيث تم الدمج بين الغناء، وبالتالي الأغنية الفولكلورية، وبين الغناء والأغنية الشعبية، ولم يراع عامل التمييز الشكلي بين الأغنيتين.

وهنا، لا بد من طرح السؤال التالي: هل يصح إطلاق مصطلح الأغنية الفولكلورية على كافة أنماط الغناء الشعبي؟

على الرغم من سيطرة وشيوع مصطلح الأغنية الفولكلورية على كافة أنماط الغناء الشعبي الفلسطيني، فقد توصلت الأبحاث التقنية إلى التمييز الشكلي بين شكلين من هذا الغناء:

- الشكل الأول، أغنية فولكلورية: وهي الأغنية التي تعتمد لحنا فولكلوريا قديما، ميزته الثبات والتواصل والتكرار اللحني. هذا اللحن الذي وضع، أو اخترع، بطريقة عفوية - عرضية، ومن ثم تناقلته الألسن فأصبح شعبيا، لا يعرف مؤلفه أو زمانه، مثل ألحان ظريف الطول، الدلعونا، الميجانا والعتابا إلخ..

- الشكل الثاني، أغنية شعبية: وهي التي تعتمد لحنا بسيطا سهلا، ميزته أيضا النمطية، أي الثبات والتواصل والتكرار، إلا أنه وضع بطريقة مقصودة ومن ثم تناقلته الألسن، وقد يعرف مؤلف هذا اللحن وزمانه. ولابد من الإشارة إلى أن الأغنية الشعبية قد تعتمد لحناً فولكلورياً قديما، مع تغيير في النص الشعري، إلا أن ذلك لا يصنفها، أي الأغنية الشعبية، كأغنية فولكلورية.

يقول الباحث علي الخليلي: «إن اللحن الفولكلوري لا يخضع لأي تطور، إلا أن هذا لا يعني أن هذا اللحن ثابت وغير متحرك. إن اللحن الفولكلوري يخوض صراعاً من أجل البقاء، ويصارع ضد إبادته، وهو في هذا الصراع من أجل البقاء يحاول التمسك بمضامينه القديمة، حيث أنه لا يستمر، ويتعطل عن الأداء دون هذه المضامين».

إذا، وبناء على ما تقدم، نستطيع تشريح وتحليل اللحن الفولكلوري كالتالي:

❖ اللحن الفولكلوري لا يتطور.
❖ اللحن الفولكلوري غير ثابت.
❖ يخوض صراعاً من أجل البقاء.
❖ يصارع ضد إبادته.
❖ يتمسك بالمضامين القديمة كي لا ينقرض.
❖ يتوقف عن الاستمرار ويتعطل عن الأداء دون مضامينه القديمة.

وهكذا تكون الأغنية الشعبية وليدة صراع اللحن الفولكلوري من أجل بقائه وضد إبادته، ويتجلى ذلك في القواسم المشتركة بين الشكلين، الفولكلوري والشعبي.

الأول: تميز كلا الأغنيتين بالبساطة والسهولة نصيا، أي من ناحية النص، والثبات والتواصل والتكرار من ناحية اللحن.

الثاني: هذين الشكلين من الغناء من فصيلة الغناء الشعبي، مع مراعاة التمييز في الشكل من الناحية التقنية.

إذا، هناك شكلين من أشكال الغناء الشعبي، الأول فولكلوري، والمقصود به غناء شعبي تاريخي، قديم، متوارث جيلا بعد جيل، مجهول المؤلف لحناً ونصاً وزماناً، والثاني غناء شعبي يستخدم خصوصيات الشكل الأول ومتطور عنه.

الموسيقا أم اللغة

بعد معالجة التمييز الشكلي، بشكل مختصر، بين الأغنية الفولكلورية والأغنية الشعبية، تطرح اللغة نفسها كسؤال طارئ: من أتى في البداية، الموسيقا والغناء أم اللغة؟

للإجابة على السؤال، لابد من التوقف أمام بعض المحطات التاريخية بشكل سريع..

مع بداية الوجود الإنساني على الأرض، كان الإنسان يعبر عن مشاعره بهمهمات غير مفهومة، وعبر تقليد الأصوات الحيوانية والطبيعية التي كان يسمعها. هذه الهمهمات غير المفهومة كانت الأشكال الغنائية والموسيقية الأولى. وبسبب المتغيرات الاجتماعية والمعيشية لهذا الإنسان القديم، وبداية انتظامه في مجموعات بشرية، أو قبائل، بات من الضروري إيجاد وسيلة تخاطب مشتركة، فكان أن اخترع اللغة ونطق بها للتعبير عن حاجاته ومشاعره. كذلك، طور هذا الإنسان المقاطع اللحنية، الأشكال الموسيقية البدائية الأولى، وبالتالي طور المفردات اللغوية التي اخترعها إلى جمل شعرية بدائية وغناها.

وعلى هذا، أعتقد أن الموسيقى والغناء وجدا قبل النص الشعري، أي قبل اللغة، وعليه أيضا، فإن الموروث الموسيقي والغنائي الفلسطيني تطور ضمن هذا السياق التاريخي. واستنادا إلى ما تقدم، فبإمكاننا تقسيم هذا الموروث الموسيقي والغنائي إلى ثلاث حقبات أو مجموعات تاريخية:

المرحلة الأولى: الموسيقى والأغنيات المشاعية
المرحلة الثانية: الموسيقى واغنيات الترحال.
المرحلة الثالثة: الموسيقى والأغنيات الرعوية.

الموسيقا والأغنيات المشاعية:

وهي الموسيقا والأغنيات الموغلة في القدم، ويندرج تحت عنوانها ثلاث أنواع من الموسيقا والغناء:

١- الغناء المشاعي: والذي لا يعرف عنه أي شيء على الإطلاق، ويرتبط بالحقبة التاريخية الأولى للوجود الإنساني في بلادنا.

٢- الغناء الهجيني: وقد مر بمراحل تاريخية عديدة بسبب تطور الحياة والعلاقات الإنسانية. فقد طور الإنسان القديم في بلادنا الأصوات الأولى إلى مقاطع لحنية، ومن ثم طور المفردات اللغوية إلى جمل شعرية وغناها، كما ذكرنا. وكانت المقاطع اللحنية التي طورها تعكس بطريقة فريدة طبيعة الحياة التي عاشها، فأتى اللحن ممدودا طويلا وبطيئا. وقد تبدل وتأثر وتطور اللحن الهجيني عبر مئات السنين، ففي بداياته غنى هذا الشكل دون آلة موسيقية، وهذا أقدم لحن، ومن صفاته الأكيدة الطول والبطء، وقد غناه الإنسان خلال الفترة التي كان يتنقل بها من مكان إلى آخر بحثا عن الطعام والدفء، وقبل بداية انتظامه في مجموعات بشرية. وكان كلما اقترب هذا الإنسان من المكان الذي سيتوقف به، كان غناؤه يقصر، وبشكل لا إرادي، الأمر الذي مهد لظهور اللحن الهجيني الثاني، الأقل مدا وبطئا من اللحن الأول. واللحن الهجيني الثاني كان مقدمة لظهور ألحان هجينية أخرى أيضا. وبسبب استقرار الإنسان في مكان واحد لفترات طويلة نسبيا، أتى اللحن الهجيني الثالث متطورا عن الأولين.

ومع اختلاف وتطور الحياة الاجتماعية، وانتماء هذا الإنسان إلى مجموعات بشرية، قبائل، وميله أكثر فأكثر نحو حياة الجماعة تطور اللحن الثالث وظهر اللحن الهجيني الرابع.

وكان لانتقال الإنسان من حياة الصيد وما توفره الطبيعة من قوت، إلى حياة الرعي أثرا كبيرا في ظهور اللحنين الخامس والسادس، حيث أصبح هذا الإنسان يؤدي ألحانه وأغنياته بمرافقة آلة الشاطر أو الرباب «الربابة»، أو آلة الناي.

ومن سمات اللحنين الخامس والسادس:

- عدم المد الطويل بسبب طول البقاء في مكان واحد قبل الترحال مجددا.

- استخدام آلة موسيقية ضبطت اللحن.

إذا، فإن المتبدلات المعيشية والاجتماعية والسيكولوجية كانت تتطور وتتغير حتى ضمن الحقبة الواحدة، لتولد حقبة اجتماعية ومعيشية وسيكولوجية جديدة، وبالتالي لحنا جديدا، وكما أنه لابد لكل فن من الفنون قاعدة يستند إليها، فاللحن الهجيني كما رأينا، استند إلى مئات السنين التي عاشها الإنسان وهو يدون ذهنيا، ويقلد الحيوانات والطبيعة حتى اهتدى إلى هذا الفن الهجيني.

٣- غناء الهزج: وهو أحد ألحان الغناء المشاعي المتطور، وقد وصفه ابن خلدون «بالبسيط من التلاحين»، وكان هذا الغناء يرافق السير البطيء للناقة، وكلما أسرعت يصبح اللحن أسرع.

موسيقا وأغنيات الترحال:

مع انتماء الإنسان في بلادنا إلى مجموعات بشرية، وبسبب الميل الدائم نحو حياة الاستقرار في مكان واحد والتخلص من حياة الترحال، ظهر إلى جانب الهجيني والهزج لحني العتابا والحداء. وقد تمت تأدية العتابا خلال فترة الرحيل عن المكان الذي أطيل الإقامة به، وهذا الشكل من الغناء مرادفا للحزن والفجيعة، ويمكن اعتباره نوعا من التناويح.

أما الحداء، فقد تمت تأديته أثناء الارتحال على ظهر الإبل، وزنه خفيف ويضبط وقعه اللحني على وقع حوافر الناقة، فتطرب وتسليْ وتغنى دون مد طويل. وكان أكثر ما يغنى الحداء في أثناء الغزوات، ويسمى حداء حرذلي، وهذا الشكل من الغناء ما زال يغنى حتى اليوم بأشكال مختلفة.



الموسيقا والأغنيات الرعوية:

وهي أغاني مرحلة الاستقرار، وقد غنتها النسوة دون الرجال، وقد تجرأ الرجال من الرعاة على غنائها، ومن هنا سبب تسميتها بالرعوية. وقد عالجت هذه الأغنيات مواضيع محددة، دينية، غزلية، وبعضها اجتماعي بعكس سابقاتها.

من الأغاني الرعوية: الدلعونا، ظريف الطول، أغاني الجفر، الروزانا، يا ليل يا عين، العتابا والميجانا، وغيرها الكثير، إلا أنه تم ذكر تلك الأغنيات بالتحديد كونها الأكثر شيوعا.

ومن المؤكد أن الموسيقا، أو الألحان الأولى لتلك الأغنيات قد اندثر واختفى مع مرور الزمن، وحلت مكانها الألحان التي تطورت عن اللحن الأول.

تم تأدية الموسيقا والأغنيات المشاعية، أغنيات الترحال والأغنيات الرعوية في كل الأماكن التي تواجد فيها الإنسان القديم في منطقة الهلال الخصيب، ومن هنا يمكننا ملاحظة وحدة وشبه الغناء الفولكلوري والشعبي في العديد من الأقطار العربية الحالية.

فبقليل من التأمل والمقارنة، نلاحظ أن أغنيات مثل ظريف الطول، الدلعونا، العتابا، الروزانا إلخ.. هي نفسها في كل الأقطار العربية تقريبا، ولا تختلف عن بعضها إلا باللهجة المحلية لكل قطر. فظريف الطول، على سبيل المثال، هي نفسها عالميج يا بو الميج في لبنان، وهي نفسها يا ريام الواردة في العراق، وكذلك الأمر بالنسبة للدلعونا بألحانها المختلفة، والروزانا والعتابا والميجانا إلخ..

وبقليل من المقارنة أيضا نجد أن الكثير من الحكايا الأسطورية التي نسجت حول تلك الأغنيات متشابهة إلى حد كبير، إن لم نقل نفسها، عدا عن التقائها في الكثير من النواحي الدينية التي كانت سائدة.

فالدلعونا المشتقة من كلمة ديال عناة، أي ابنة الإله إيل، آلهة الحب والخصب عند الكنعانيين، هي نفسها عشتروت أو عشتار عند الفينيقيين. وللدلعونا أسطورة كنعانية قديمة تقول:

(كان هناك شاب يدعى ظريف الطول، وفتاة تدعى عناة، وكان بينهما قصة حب رفض أهل عناة تزويجها من ظريف الطول وزوجوها رغماً عنها من شاب آخر رحل بها إلى بلاده، فبدأ ظريف الطول يغني بها أشعاره.

ومن فرط حب ظريف الطول لمحبوبته عناة أصيب بالجنون وأخذ يردد «دلوني عناة»، ومع مرور الزمن أدغمت الكلمتان وصارت دلعناة، ثم حولت وأصبحت دلعونا).

وبالمقارنة نجد أن هذه الحكاية تلتقي بطريقة أو بأخرى بقصة مجنون ليلى الشهيرة في شبه الجزيرة العربية.

خاتمة القول، إن موروثنا الموسيقي والغنائي غني، وكلما توغلنا به أكثر اكتشفنا أبوابا جديدة للمعالجة. كما أن موروثنا الموسيقي والغنائي قديم، قدم التاريخ نفسه، وكل المحاولات لطمسه أو سرقته أو التعتيم عليه باءت بالفشل، لأن هذا الموروث نابع من صميم وأعماق ووجدان الشعب، ولن يفنى إلا بفنائه، وحتما الشعب لا يفنى.

بابل لن تدمر!

د. محمد جواد فارس

ظهرت بابل بعد تدمير وسقوط أور عام ٢٠٠٦ق.م، وسيطرت على أسيا الغربية على مدى ثلاثة عشر قرنا ونصف.

كان ملوك بابل منهمكين في إقامة الأبنية الدينية والدفاعية، وفي الوقت نفسه أقدم حمورابي على شن الشرائع المنسوبة له والمكتوبة باللغة الأكادية، إضافة إلى الجنائن المعلقة إحدى عجائب الدنيا السبع.

وفي عهد القائد نبوخذ نصر الثاني (٦٠٤-٥٦٢ ق.م) احتل القدس وجاء باليهود أسرى ساقهم إلى بابل عام ٥٨٦ ق.م. آنذاك ظهر أرميا مبشرا بديانته أكثر باطنية، وذهب حزقيال؟؟ إلى بابل وهو يندد بالوثنية.

وقدر العراق أن تكون أور في جنوبه مسقط رأس أبو الأنبياء، وفي الشمال كان آشور بانيبال مؤسس أول مكتبة في العالم، جمعها من ألواح الطين. وعلى ضفاف نهر الفرات حيث مرقد ذو الكفل وهو من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن.

ومن هنا دون التأريخ الإنساني قصة أقدم حضارة في العالم هي حضارة وادي الرافدين كأحد أبرز الروافد للفكر العالمي في مسيرة الإنسانية.

إن العدوان الأمريكي - الصهيوني يستهدف العراق حضارة واقتصادا (ثاني أكبر احتياطي يغطي العالم بعد السعودية) إضافة إلى ثرواته المعدنية الأخرى. وهذا هو أحد الأسباب التي تدعو الولايات المتحدة الأمريكية لشن حربها العدوانية على العراق، وذلك من أجل السيطرة الكاملة على أسعار النفط والهيمنة على اقتصاديات الدول الأوروبية.

أما الشطر الآخر في أسباب العدوان، فهو ضمان أمن دولة «إسرائيل» وجعلها الشرطي الوحيد في المنطقة ودفعها باتجاه العدوان على الدول العربية، كما جرى عام ١٩٨١ في ضرب المفاعل النووي العراقي. وسياسة الكيل بمكيالين اتجاه قضية نزع أسلحة الدمار الشامل في المنطقة واستثناء العدو الصهيوني، وذلك بعدم تطبيق الفقرة ١٤ من قرار مجلس الأمن رقم ٦٨٧ والقاضي بإخلاء منطقة الشرق الأوسط من أسلحة الدمار الشامل.

لقد وصلت القرارات ضد العراق التي اتخذها مجلس الأمن الدولي بعد حرب الخليج الثانية إلى ٥٩ قرارا، وتسبب الحصار الجائر في وفاة ما يقرب من مليون ونصف نتيجة النقص الحاد في الدواء والغذاء، والتعويضات التي يجب على العراق تسديدها، تلزم أجيالا من العراقيين لم يولدوا بعد ولمدة أكثر من قرن. وأنا أسوق مثالا على الحقد الصهيوني - الأمريكي على الشعب العراقي حسب إحصائيات طبية موثقة تفيد بموت أطفال العراق بما يعادل ضعف عدد قتلى أحداث أيلول في الولايات المتحدة كل شهر.

في كلمته أمام المؤتمر القومي والذي انعقد في بيروت لدعم العراق وفلسطين، تحدث النائب البريطاني جورج عالاوي محذرا العرب من مغبة إعادة تقسيم الوطن العربي على غرار ما جرى في معاهدة سايكس بيكو. حيث يجري الآن الإعداد لخرائط جديدة للوطن العربي، واختيار قيادات ؟؟؟ وإبقاء العرب ضعفاء وضمان هيمنة «إسرائيل» على المنطقة وتوسعها.

إن من أهم عوامل التصدي للعدوان الأمريكي - الصهيوني المرتقب عراقيا هو العمل من أجل تقوية جبهة الشعب الوطنية المعادية للغزو، وذلك بإطلاق طاقات الشعب على كافة الصعد، وبكافة قواه الوطنية ونبذ الخلافات السياسية وإعادة رسم خارطة تتنوع وتتعدد فيها كل الأفكار والطاقات من أجل الوقوف صفا واحدا ضد الغزو، وتعزيز ذلك بخطوات جادة من قبل الحكومة العراقية، لقطع الطريق أمام الأعداء ولكي تنهض بابل من جديد..



برج بابل /للفنان بروغل

حول بيان المثقفين السوريين للجهات الألمانية:

أهي «ثقافة بلا حدود» أم ثقافة لأرضك يا إسرائيل

قدم بعض المثقفين السوريين وأساتذة الجامعات السورية، والعديد ممن لهم صلة بالثقافة الألمانية رسالة إلى المسؤولين الألمان، تعبيرا عن الاحتجاج الصارخ على تلك الحملة التي أثارتها بعض الصحف المتأثرة بضغوط بعض الجهات المعادية للنضال الفلسطيني لقول أحد المشاركين في ندوة أقيمت مؤخرا في برلين أن الاستشهاديين الفلسطينيين للانتفاضة هم «مناضلون من أجل الحرية».

ويعود الأمر إلى ما دار في الحلقة النقاشية التي عقدت في ألمانيا أواسط شهر كانون الأول (ديسمبر) من العام الماضي بمدينة برلين بعنوان «ثقافة بلا حدود.. السياسة الثقافية في سياقها العالمي» وهو موضوع شيق شارك في الندوة أكثر من ٢٠٠ مشارك للتحاور حول هذا الموضوع. وقد أتاحت له الحكومة الألمانية مكانا لائقا في بناء اللجنة الأوروبية، الكائن في أفضل شوارع عاصمتها المسمى (انتردنليندن) الذي تقع في نهايته بوابة براندنبورغ الشهيرة.

وقد نالت كل من أفغانستان وفلسطين مكاناً مرموقاً في المناقشات التي تناولت مشاريع معاهد «غوته» في البلدين المذكورين. وقد وصفت - (كارولينا فلتشر) من صحيفة (Tagesspiegel/تاغسشبيغل) بتاريخ ١٢/١٧/ ٢٠٠٢، بعض مجريات ما دار في المؤتمر، بأنها كانت نقاشات ساخنة. أحدهم (السيد إيمكه) تحدث عن أهمية وضع سياسة ثقافية جديدة لمعاهد (غوته) وعن ضرورة التغيير والسماح بقدوم رياح جديدة. وتحدث كذلك آخرون عن مجريات الثقافة في مناطق الأزمات كما هو الحال بعد الحرب الأفغانية في كابول وفي المناطق الفلسطينية المحتلة وفي سيراييفوا..إلخ. حيث تحدث البعض عن تجاربهم بما في ذلك تدخلات قدمها السيد (فووست) مدير معهد (غوته) في الإدارة الفلسطينية برام الله (سابقا)، الذي تسلم إدارة معهد غوته بدمشق حديثا (منذ أيلول٢٠٠٢). فتحدث عن صعوبات العمل في المناطق المحتلة (وصعوبة الإمساك بسياسة الحديد الحامي) وهو ما لم يعجب البعض ممن كان حاضراً.

فردا على سؤال من إحدى الحاضرات عن رأيه باللافتات التي تعلق في تلك المناطق، التي تظهر الانتحاريين أبطالا، لم يتردد السيد (فووست) بالقول إن هؤلاء بالنسبة لي لا يمثلون إرهابا كما تود السائلة أن تحظى بجوابي على ذلك، بل هم بالنسبة لي مناضلون من أجل الحرية.

وهو ما اعتبرته (كارولينا فلتشر) التي أعدت مقالها لصحيفتها السابقة الذكر، بأن موقف السيد (فووست) كان فضيحة المؤتمر. وشنت تحريضا لدفع السيدة (ليمباخ) رئيسة معاهد (غوته) التي كانت تحضر المؤتمر للعمل على اتخاذ موقف. وهو ما استجابت له كما يبدو، إذ تشير الصحافة إلى استدعاء السيد (فووست) إلى المركز الرئيس لمعاهد (غوته) في ميونيخ لتوبيخه. كما أشارت صحيفة ديفلت بتاريخ ١٦/ ٢٠٠٢/١٢) إلى أنهم يعدون لنقله من إدارة معهد "غوته" بدمشق كنوع من العقاب على إبدائه لرأيه). وهو ما دفع العديد من المثقفين والمفكرين السوريين والدارسين السابقين في ألمانيا لتوجيه رسالة عاجلة إلى المعنيين الألمان استنكاراً لتحريض البعض في الصحافة الألمانية وللحملة السياسية المنحازة لطرف واحد، الأمر الذي يقدم فهما سلبيا لنوع السياسة الثقافية الجديدة التي يود البعض أن تهب عليها رياحا جديدة.

وقد جاء في الرسالة:

«ولسنا هنا بصدد استهداف القيام بنقاش حول سياسة العالم الغربي تجاه المسألة الفلسطينية، فهذه - وخاصة بالنسبة لبلد كألمانيا - ينبغي مناقشتها في إطار الحوار مع العالم العربي.

إلا أننا وبالنظر لتسلم السيد الدكتور (فووست - Wust) إدارة المركز الثقافي الألماني بدمشق بما يتمتع به من مزايا شخصية كإتقانه للغة العربية واتصاله بثقافتها، قدرنا ذلك باعتباره إشارة إيجابية عالية، وفهمنا ذلك باعتباره يمثل دعماً لسياسة ثقافة الحوار. وقد أكدت لنا ممارسته الفعلية لعمله في الأشهر السابقة أن اعتقادنا كان في مكانه.

أما وأن يتم نقل السيد (فووست) من دمشق بسبب إبدائه تعقيباً صدر منه بعفوية ضمن حلقة نقاشية محلية لا تحمل طابعاً رسمياً، وفي إطار نقاش يتناول موضوعاً يحتمل في نهاية المطاف، إمكانية الاختلاف في الرأي. فذلك كله قد يعني إعطاء إشارة سلبية للاستنتاج بأن الحوار السوري الألماني لا يؤخذ بالحسبان».

«وفي هذه الحالة وفيما يتعلق بصورة ألمانيا التي ننقلها نحن لطلابنا ولمن يعلمون معنا والتي كنا نسجلها نقطة إيجابية لصالح حرية الرأي في البلد، سيكون علينا أن نعيد تصحيح انطباعنا على نحو سلبي في هذه الحالة. وعلى العكس من ذلك عليكم أن تعيدوا موازنة ما إن كان مثل هذا القرار المتخذ بتسرع، ومن منظور الصحافة الألمانية الداخلية، وما قد يجره من وهن على المدى البعيد ومن أضرار للسياسة الثقافية المتبعة في بلد كانت ألمانيا تؤديها فيه على نحو إيجابي».

وتعقيباً على بيان المثقفين السوريين وسيكون من حقنا هنا أن نتساءل:

أهي ثقافة الرأي الأعلى أم ثقافة الرأي الآخر؟

غوته!!.. هل أنت راض عما يفعله السياسيون بثقافتك؟؟

أين هي ديمقراطية السياسة الثقافية لمعاهد غوته؟؟

لماذا ينظرون إلينا نحن الذين من هنا، دائما من فوق، من دون أي احترام لمشاعرنا ولموقفنا القومي تجاه القضية الفلسطينية؟؟

وإلى متى سيبقون على الأخذ بجانب واحد من مسألة الرأي والرأي الآخر؟!!

ولماذا لا يعتبرون أشكال الكفاح من أجل التحرير واحدة من القضايا النقاشية الخاضعة أيضا لتباين في الرأي؟

ولماذا ينبغي الانحناء للرأي الواحد الذي يفرضه المجلس اليهودي الألماني من دون اعتبار للرأي الآخر الذي يأخذ به معظم العرب من محيطهم إلى خليجهم، بمن في ذلك من يناصرهم من الدول الإسلامية في الشأن المتعلق بالقضية الفلسطينية؟

ولماذا يطلبون منا أن نتعلم سبل ممارسة الديمقراطية، في حين لا يسمحون لمواطنيهم

أنفسهم أن يعبروا عن موقف أملاه عليهم ضميرهم؟

إننا نترك الإجابة على ذلك للسيدة ليمباخ صاحبة مشروع ثقافة بلا حدود، التي جاءت للأسف ثقافة بحدود أرض إسرائيل.

عوقب بالنقل لموقف أملاه عليه ضميره نشر موقع الإنترنت لمحطة (Sat3) الألمانية بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٦ نقلا عن وكالة (رويتر) أنه تم نقل (السيد فووست Wust) المدير السابق للمركز الثقافي الألماني (غوته) في مدينة رام الله إلى الهند عقاباً له، لملاحظة أبداها في مؤتمر عقد في أواسط شهر كانون الأول (ديسمبر ٢٠٠٢) بمدينة برلين حول السياسة الثقافية، بقوله أن (الإرهاب) الفلسطيني هو «نضال من أجل الحرية». وكانت السيدة (يوتا ليمباخ) رئيسة معاهد غوته قد تنصلت مما قاله السيد (فووست). هذا ويشغل السيد (فووست) حاليا منصب مدير المركز الثقافي الألماني بدمشق. وقد علم مؤخراً (كما يشير موقع Sat3) بأن المذكور نقل للمركز الثقافي في (بونا) الهندية.

قضية فووست

وفضيحة النفوذ الصهيوني في الإعلام الألماني

ليس بالإمكان النظر إلى الحادثة التي تعرض لها السيد (فووست) مدير معهد غوته السابق في رام الله، ومديره الحالي بدمشق.. إلا من زاوية التأثير الإعلامي الصهيوني السلبي، المسيطر كالإخطبوط على العالم الغربي، وتأخذ المسألة في ألمانيا تحديدا بعدا أكثر حماسية، لأن تهمة العداء للسامية، والنازية، وإعادة التذكير بالهولوكست تهمة جاهزة يمكن أن تلصق بأي مثقف، أو كاتب، أو سياسي ألماني مهما كان موقعه، فيما لو تجرأ على مجرد التفكير بموضوعية تجاه ما يجري في الأراضي الفلسطينية، فكيف الحال إذا انتقد الممارسات الصهيونية، أو أبدى تعاطفا مع الفلسطينيين؟!

ما فعله السيد فووست، هو مجرد رأي لشخص نزيه، راقب عن كثب ما يجري في الأراضي الفلسطينية المحتلة، وبالتالي لم يسمح له ضميره الحي، أن يزور الحقائق الفاقعة التي لمسها على الأرض، من أجل أن يرضي حفنة من الأفاقين الصهاينة، الذين يتحكمون بمفاصل الشبكة الإعلامية، في ألمانيا والغرب عموماً، ولذلك حين سألته إحدى الحاضرات (في جلسة محلية حول دور معاهد غوته).. عن رأيه بصور الاستشهاديين الفلسطينيين التي تعلق لافتات على الجدران، بوصفهم أبطالا. قال: «هؤلاء بالنسبة لي لا يمثلون إرهاباً كما تود السائلة أن تحظى بجوابي على ذلك، بل هم بالنسبة لي مناضلون من أجل الحرية».

هذا الرأي لم يرق لي بالتأكيد لهذه السائلة التي لفقت مقالاً تحريضيا ضد السيد فووست، وسرعان ما تفاعل الأمر، لأن دوائر النفوذ الصهيونية في الإعلام الألماني ركزت الضوء على الخبر، وصنعت منه قضية دفعت السيدة (ليمباخ) رئيسة معاهد (غوته)، (التي تعرضت لضغوط هذه الدوائر)، إلى استدعاء السيد (فووست) إلى المركز الرئيس لمعاهد غوته في ميونيخ لتوبيخه، وقد يعملون على نقله كعقوبة من معهد غوته بدمشق إلى الهند.

إن الحملة المضللة التي تعرض لها السيد فووست ليست جديدة في ألمانيا، أو الغرب عموما، إذ تعرض الكثير من المثقفين والكتّاب وأصحاب الرأي لمثل هذه الحملة، في كل مرة أبدى فيها أحدهم انتقادا للسياسة الصهيونية الوحشية تجاه الفلسطينيين، أو على الأقل، أبدى رأيا مخالفا لمصالح الصهيونية، أو تحفظ مجرد تحفظ على بعض ممارساتها، ومن دواعي الأسف حقا أن تظل هذه البلدان، رهينة لسيف «عقدة الذنب» أو «الأساطير المؤسسة للدولة الصهيونية، ومسألة «العداء للسامية، تحت ذريعة التذكير بالهولوكست وأوشفيتز التي تعرض لها اليهود على أيدي ألمانيا النازية، فإلى متى سيظل الأبناء يدفعون ثمن أخطاء الآباء. لقد باتت هذه المسألة ذريعة مقيتة وممجوجة لابتزاز الألمان منذ الحرب العالمية الثانية. ورغم أنه ليس من حقنا أن نملي عليهم ما يفعلون تجاه هذه المسألة، إلا أنه من حقنا أن نلفت الانتباه إلى تحول الضحية إلى جلاد يمارس أبشع الفظائع اليومية ضد الشعب الفلسطيني، وهذا ما لمسه السيد فووست خلال السنوات الخمس التي قضاها في الأراضي الفلسطينية الممثلة كمدير لمعهد غوته في رام الله، وهو لم يفعل شيئا سوى التصريح بالحقيقة كما أملاها عليه ضميره، وداخل حلقة نقاش محلية مغلقة، وكل ذنبه، أنه «لم يستخدم رطانات صهيونية، ولم يرَ بأعين غلاة الإسرائيليين»، وإنما أبدى تعاطفاً مع شعب فلسطين في كفاحه العادل ضد الاحتلال، وهذا الأمر مسألة شخصية، ومن حقه التعبير عن رأيه بهذه المسألة، كونه ينتمي لبلد ديمقراطي يحترم الرأي الآخر، لذلك، من المدهش فعلاً بالنسبة لنا استجابة الإدارة العليا لمعاهد غوته لعملية الضغط والابتزاز التي مارستها دوائر الإعلام الصهيونية المتنفذة في ألمانيا، وبالتالي معاقبة السيد فووست بهذه الطريقة التي تضرب من وجهة نظرنا مصداقية الديمقراطية واستقلالية الرأي في ألمانيا.

من جهتنا كمنبر إعلامي فلسطيني، نتقاطع مع كل ما جاء في بيان المثقفين السوريين للجهات الألمانية حول المسألة، ونعتبر أن مثل هذه التدابير لها بنظرنا معنى واحداً وهو أن مؤسسة غوته قررت اعتماد لغة الصهاينة وموقفهم في الصراع الدائر اليوم في فلسطين وإلزام موظفيها بهما، ونوافق حول ما قيل من أن إسرائيليين كثر قالوا كلاماً أشد وأوضح من كلام السيد فووست دون أن يعاقبهم أحد، فهل يريد معهد غوته أن يكون صهيونياً أكثر من الصهاينة؟!

مرة أخرى نتمنى على السيدة يوتا ليمباخ رئيسة معهد غوته أن تعتبر أقوال السيد فووست رأي شخصي، وبإمكان من لا يوافقه الرأي الرد عليه من خلال النوافذ المتاحة (صحافة.. قضاء) وإلا سوف ندعو مثل غيرنا من الفلسطينيين والعرب إلى مقاطعة النشاطات الثقافية لمعاهد غوته في العالم العربي، التي كانت بالنسبة إلينا حتى الآن واحة حرة لتبادل الآراء والحوار الثقافي العربي - الألماني، مفتوحة على الاختلاف واحترام الآخر.

التفكير تغيير

دراميــة التغييــر

قيس الزبيدي

حينما جربنا، وقتها، إصدار كتاب «مسرح التغيير»، كان هدفنا، بالدرجة الأولى، وضع كتاب في المكتبة العربية يتناول المسرح الملحمي بالدراسة، من قبل أولئك الناس الذين رافقوا وتتلمذوا وعملوا مع بريشت نفسه وتابعوا العمل المسرحي الجديد بعده، بأمانة، انطلاقا من تجاربه النظرية والعملية. فالمكتبة العربية تعرفت، أساسا، على المسرحي والكاتب عن طريق تراجم لدارسين ليبراليين عديدين، قدموه من منطلقات مختلفة، لم تكن قادرة في مجملها على تقديم مسرحه وفكره كما أراد له هو أن يكون، لأن دارسيه ومؤوليه في الغرب، قدموا مسرحه الدرامي الجديد بمعزل عن أهمية فكره الماركسي، الذي قاد تطور مسرحه الملحمي إلى جماليته النوعية المميزة والمختلفة عن أقرانه الدراميين. ففي سيرة بريشت اكتمل تطور تصوراته الجمالية بالعلاقة الوثيقة مع تطوره الفكري والسياسي كماركسي[١]. وكانت اغلب تلك الدراسات تقبل الدرامي فيه وترفض الماركسي، الذي جاءت أهميته، كما قيل، من إلباس الماركسية ثياباً مسرحية.

ويعترف بريشت بأنه، وقد كان كاتباً معروفاً كتب أربع درامات وأوبرا قدمت على مسارح كثيرة وحصل على جوائز أدبية وكان يسأل عن رأيه كتقدمي في مسائل أساسية، إلا أنه لم يكن يفهم ألف باء السياسة ولم يكن يعرف شيئا عن إدارة الأمور العامة في بلده أكثر من أي فلاح صغير في أرضه المقفرة.

غير أن بريشت استطاع أن يصل إلى ماركس، عن طريق حادثة، ربما كانت عابرة، خصت بحثه عن مادة لمسرحية كان يعدها ولم يكتبها، ومن عندها فقط قرأ ماركس. وبما أنه كان يمارس نقد المجتمع البرجوازي بشكل لم يتجاوز النقد العدمي تقريباً، إلا أن تجاربه العملية وانطباعاته الذاتية المشتتة أصبحت بعد ماركس صحيحة بشكل حيوي[٢].

لقد دعا بريشت، في أغلب أعمال السنوات الأخيرة، إلى ضرورة إعادة النظر في وسائل الفن باستمرار، وبهذا المعنى نستطيع أن نقيم ونحلل كل أعمال بريشت الفنية ونعدها كمتحولات.. فلم يكن لمسرحه أن يستمر بدون تجارب، ولم تكن حاجته إلى التجارب تصدر عن رغبة في التجارب لذاتها، بقدر ما كانت تصدر عن منهج عمل يتم فيه كشف العلاقات الاجتماعية المعقدة، وتصويرها بشكل فني مناسب[٣]. كان مسرحه الملحمي، وبعدها الجدلي، كما أكد هو، مقولة تنتمي إلى ما هو اجتماعي وليس إلى ما هو جمالي - شكلي. فهو وجد أولا أن القواعد المسرحية السابقة، أي تلك التي ارتبطت في زمنها بمضامين ووظائف مختلفة، غير ملائمة ولم تعد تصلح كمعايير في عرض التغييرات الجديدة في العالم وبين الناس، فالبترول، الإفلاس، الحرب، تجارة المواشي، الصراع الاجتماعي، العائلة، الدين، والقمح أصبحت مواد جديدة في العروض المسرحية[٤]. كما وجد ثانياً أن الأسئلة القديمة لم تعد تنفع في البحث عن أجوبة أصيلة، من هنا انصرف فكره، ببساطة تامة، إلى الاهتمام في طرح أسئلة جديدة، ليخلص إلى أن الأسئلة المهمة تبقى أقل قوة من التساؤلات ذات الأجوبة المعلقة لكن الممكنة[٥].



بريشت

من هنا جاء بحثه في نظرية الدراما وتأثيرها الجمالي، ووجه نقده المبدئي إلى حجر الأساس في نظرية أرسطو «الاندماج»، واقترح درامية جديدة، مكوناتها المركزية تتلخص في مفاهيم التغريب، التأرخة، الايمائة والبارابل أي الأمثولة، ومؤسسة على تأثير سياسي.

وبينما كان الشكل الدرامي يجسد في المسرحي حادثة ويدفع المتفرج إلى الانخراط في الحدث، بدأ الشكل الملحمي يجعل المتفرج كمراقب ويسرد له حكاية، ولا يتركه يندمج في الحدث، إنما يقابله مع الحدث، فلا يتم العمل في الدراما بإيحاءات، إنما بحجج. وبهذا يوقظ المسرح الملحمي- الجدلي نشاط المتفرج ويدفعه إلى اتخاذ قرارات، ويزوده بمعارف:

من سيغير العالم؟

أولئك، الذين لا يروق لهم.

لقد سعى بريشت باستمرار إلى تطوير التغريب من مؤثر فني إلى مبدأ فلسفي، إلى تحويله من حالة تنتج عن تأثير إلى مبدأ فكري إبداعي يسير كامل العملية الأدبية والفنية ويرسم إنتاج المسرحية من مرحلة التأليف إلى مرحلة التنفيذ:

فلم يكن تأليف النص المسرحي يكتمل عنده بدون خشبة المسرح.. فقط المنصة تحدد تشكيلات النص الممكنة.

ويحدد مبدأ التغريب الحكاية وبناء المسرحية وتصور النماذج وكامل الريبوتوار المتعلق بتقنية الملحمي - ما سمي بمؤثر التغريب، والتعليق والرواة والإنارة والجوقة والأغاني والعناوين والصياغة اللغوية: كل ذلك يعكس كل بطريقته الخاصة مبدأ التغريب. إن التغريب، كمقولة جمالية، حدد نظرية وممارسة المسرح الملحمي إلى حد بعيد، بحيث اصبح بمثابة بنية أساسية في العمل البريشتي. لكن أيضا وأساسا: على المسرح أن يبقى مكانا للمتعة. وكما ينشغل العلم بالنفقة، كذلك يعنى الفن بالمتعة، مع أن كلاهما موجودين، لكي ييسرا حياة الناس[٦]. فالمسرح يقدم للمتفرج عالمه، والمتعة تأتيه من التعرف على إمكانية السيطرة على هذا الواقع وتغييره. ويذهب بارت إلى أن بريشت يبغي تحقيق وعي الجمهور في الصالة كحالة عدم الوعي التي تسود الشخصيات «الدرامية» على المنصة[٧].. فالجمهور في العرض الملحمي هو أحد العناصر المنتجة، التي يمكن أن تلعب الدور الهام في المسرح[٨].

لم يبحث أحد، بمثل مبدئية بريشت[٩]، في نظرية الدراما وتأثيرها الجمالي، حيث انه لم يكتف بتحويل تصور نظري متسق إلى ممارسة

جمالية، إنما اكثر من ذلك قام بتطوير النظرية في ترابط محكم مع عمل المسرح. ولم يكن بريشت يريد كتابة علم جمال مسرح منته، إنما سعى إلى وضع نظرية تطورت على شكل أجزاء متقطعة، وجدت صياغاتها المهمة في بيع النحاس*، وفي أرغانون صغير للمسرح**. وكان بريشت يؤكد على دوره ويسمي نفسه «كاتب مسرحيات». وبهذه الصفة (مسرحية بدل دراما) فصل نفسه عن تقاليد الدراما المقروءة وأكد على الممارسة المسرحية.

بعد مشاركة عرض مسرحية فرقة برلين الأم كوراج وأولادها في باريس في حزيران/ تموز ١٩٥٤ ظهر عدد خاص عن بريشت في مجلة تياتر بوبلير (باريس). كتب فيه نقاد من بينهم بيرنارد دور ورولاند بارت. وقد احتفى العدد بالمسرح الملحمي وعده تجديدا جذريا في كافة مستويات الفن الدرامي. كذلك عبر عن الاعتقاد بأن علم الجمال والسياسة وجدا في بريشت الثوري وحدتهما، وفي المسرح وظيفته الاجتماعية. ورأى بارت في مسرح بريشت نقطة تحول في الدرامية الغربية، كما رأى في آرائه النظرية إضافة ملزمة لفن مسرح معاصر(١٠).

كان بريشت يفكر في سنواته الأخيرة بإعادة تسمية مسرحه وإطلاق صفة الديالكتيكية، بدل الملحمية، عليه، فمسرحه هو بحق مسرح حواري جدلي يصور، واقع مجتمع الملكية الخاصة بتناقضاته الشديدة، ويحاول أن يدفع المشاهد، على أساس معارف علمية، إلى المساهمة في تغيير وتجاوز تلك التناقضات لصالح مجتمع إنساني. وكان بريشت يعتقد باستمرار، «أن لا وجود لفن عظيم دون أهداف عظيمة. وأن أسلوب المسرح الجديد هو الإجابة على الصعوبات التي تضعها أمامه المادة الجديدة والمهام الجديدة».

وعلى المرء أن يسائل الواقع حول الأشكال الأدبية، وليس علم الجمال حتى ولا علم جمال الواقعية.

أن تعزيز الرغبة في الحياة هو الهدف من النشاط الفني عند بريشت، على هذا دون في أورغانونه: «نعرف أن للبرابرة فنهم. لنصنع نحن فناً آخر».

ماذا يعنينا الآن من كل ذلك؟

المسرح العربي هو ما يعنينا، وتحديداً ذلك المسرح العربي الذي يجد في فقدان يوطوبيا التغيير، فقدان الرغبة في الحياة..

ما يعنينا هو المسرح الذي يبحث في النقاش، ليس فقط في نقاش ما إذا كان شيء ما «غير قابل للتغيير» إنما تسمية كل ما لم يتعرض للتغيير منذ فترة طويلة..

ما يعنينا هو قدرة المسرح في أن يكون حركة مهمة تناقش وتساهم في تغيير ما لم يتعرض للتغيير.



المراجع والهوامش:

١- فرانز - جوزيف بايروير، برتولت بريشت، ريكلام (١٥٢٠٧) ١٩٩٥، من ص٢٥ إلى ص٢٩.

٢- برتولت بريشت، دراسة الماركسية، كتابات، الجزء الخامس، ص٤٠.

٣- فيرنر هيشت، برتولت بريشت، أفكار متعددة الجوانب، دار نشر هينشل، برلين، ١٩٧٨، ص٦٣ و٦٤.

٤- برتولت بريشت، المسرح التعليمي، كتابات الجزء الخامس، ص٢٥٥.

٥- رولان بارت، مقالات نقدية في «المسرح»، ترجمة: سهى بشور، دمشق: المعهد العالي للفنون المسرحية، ١٩٨٧، ص٦٢.

٦- برتولت بريشت، جان كنوبف، ريكلام (١٧٦١٩)، ٢٠٠٠، ص٨٦.

٧- رولان بارت، مقالات نقدية في «المسرح»، ترجمة: سهى بشور، دمشق: المعهد العالي للفنون المسرحية، ١٩٨٧.

٨- فردريك أوين، برتولت بريشت: حياته، فنه وعصره، ترجمة: ابراهيم العريس، لبنان، دار ابن خلدون، ١٩٨١، ص١٤٥.

٩- فرانز - جوزيف بايروير، المصدر السابق.

١٠- برتولت بريشت، جان كنوبف، ريكلام، (٢٠٠٠ - ١٧٦١٩) ص٧٦.

* بيع النحاس : أراء نظرية كثيرة على شكل حوار، في أربع ليالي يتناقش فيلسوف ومستشار درامي وممثلان وعامل مسرح حول مسرح عصر العلم القديم والجديد، وذلك في طريقة يتصورون فيها النظرية نفسها كمسرح.

** أورغانون صغير للمسرح: نص نظري مؤلف عام ١٩٤٨ في ٧٧ مقطع، يبحث فيه بريشت في جمالية مسرحه الملحمي الجديد، وهو يعد مؤلف بريشت الدرامي الأساسي.

بريشت والفيلم السينمائي

كتب هذا النص كمقدمة لكتاب يحمل نفس الاسم السينمائي قيس الزبيدي سيصدر قريباً

عندما دعاني قيس الزبيدي لكتابة هذا التقديم تبادر إلى ذهني سؤال لماذا بريشت الآن؟ ما الذي دفع قيس الزبيدي إلى التفكير في إعادة إصدار كتاب عن بريشت الآن وفي هذه المرحلة بالذات؟ هل لا زال فكر ومسرح بريشت فعالا؟ أظن أن السؤال مبرر رغم أنه ليس بجديد، فهو مطروح منذ سنوات وفي بقاع مختلفة من العالم لا سيما في أوروبا، وهو اليوم أكثر إلحاحاً.

ماري الياس

والحقيقة أن هذا السؤال طرح في مناسبات عديدة خلال العقدين الأخيرين في بقاع مختلفة من العالم لا سيما في أوروبا، وهو يتكرر بإلحاح في الأدبيات الغربية، ليعبر عن مواقف مختلفة تتراوح بين القبول والترحيب بفعالية منهج ومسرح بريشت، والرفض الكامل له، على اعتبار أنه صار من الماضي، ذلك أنه رغم اعتراف أصحاب هذا الاتجاه بالدور الذي لعبه هذا المسرح في مرحلة تاريخية معينة لكنهم يصنفونه الآن ضمن كلاسيكيات المسرح على اعتبار أنه جزء من مرحلة تاريخية وبأيديولوجية معينة ولت وانتهت مع رياح التغيير التي عصفت بالعالم في العقود الأخيرة، وبالتالي فهو بالنسبة لهم يعبر عن مرحلة في تاريخ المسرح والفكر انتهت تماماً. وقد جاء مثل هذا الطرح في مناسبات عديدة منها إعادة تقديم مسرحيات بريشت بالأسلوب البريشتي أو بأسلوب مناقض له تماماً، ثم في ذكرى مئويته التي لم يمض عليها سوى ثلاثة أعوام. وقد كتب في هذه المناسبات الكثير عن بريشت وعن فكره وعن كتاباته في المسرح والشعر والرواية، كذلك عن أسلوبه في ممارسة المسرح خلال حياته ثم وبعد وفاته عبر فرقة البرلينر أنسامبل.

وتركزت الأفكار التي طرحت حول جدوى مسرح بريشت الآن، وكان الطرح أحياناً سطحياً إلى حد السذاجة وهو في جوهره يتمثل بالسؤال التالي: ما الداعي إلى مسرح تأريخي في زمن يقال أنه نهاية التاريخ؟ والجواب على مثل هذا السؤال قد يكون أكثر تعقيداً مما نتصور، هذا في حال تم قبول مثل هذه الفكرة.

ارتبط اسم بريشت تاريخياً بمفهوم المسرح الملحمي، ولم يكن هو الذي طرح المفهوم في البداية، لكنه نظر له فيما بعد وكتب نصوصه وقدمها بهذا الأسلوب الجديد. ومفهوم المسرح الملحمي يشكل نظرية متكاملة تعالج العملية المسرحية بكل أبعادها: من كتابة، وإعداد للعرض، وإخراج، وشكل أداء، ومكان، وموسيقى ومؤثرات سمعية، وإضاءة، وطبيعة تأثير على المتفرج. وقد تبنى بريشت هذا الأسلوب في المسرح لأنه آمن خلال مرحلة ما من حياته بدور المسرح في التوعية والتغيير، ولأنه تعامل مع المسرح من منظور جمالي وفلسفي وسياسي بآن واحد ولم يعزل المسرح عن الواقع والفكر. وقد نبعت حداثة بريشت من المكانة التي أعطاها للبعد التاريخي في معالجته لكل ما طرحه. فبعد الكلاسيكية في القرنين السابع عشر والثامن عشر لم يتمكن المسرح، رغم كل محاولات «الدراما» التي جاءت بعد ذلك، من أن يلعب دورا في الفكر الأوروبي، إلى أن جاء بريشت وحاول من خلال جمالية «التغريب distanciation» أن يعبر عن الفكر الجدلي في - وعبر المسرح وأن يفتح خشبة المسرح على العالم الحديث التواق لتخطي «المأساة» التي ترى وضع الفرد في المجتمع من زاوية واحدة محددة (الأرغانون الصغير ١٩٤٨). لهذا يفترض التفكير ملياً قبل القبول بفكرة متحفية هذا المسرح بهذه البساطة.

لقد صاغ بريشت مفاهيم جديدة دخلت اللغة المسرحية وتخطتها إلى الفن والأدب واللغة النقدية: مثل «التأثير التغريبي» من خلال تقنية الإبعاد effet de distanciation و«المسرحة» theatralite و«الغيستوس» guestus إلى ما هنالك من مفاهيم أساسية في المسرح الملحمي، وكان أن وسعت هذه المفاهيم آفاق رؤية العمل الفني برمته وبكل الاتجاهات.

ومما لا شك فيه أن رؤية بريشت المسرحية كانت نابعة أساسا من موقف سياسي محدد من الحياة والفن، وكذلك من المسرح ودوره في المجتمع. ومن الطبيعي أن ترتبط هذه الرؤية بداية ارتباطا وثيقا بالظرف التاريخي الذي أنتجها، لكنها منذ البداية لم تطرح نفسها كرؤية ثابتة وواحدة ونهائية لأنها أتت على شكل حوار جدلي هو سؤال أكثر منه جواب أو حقيقة ثابتة. فبريشت لم يعتبر كتاباته النظرية نصا مكتملا وكذلك الأمر بالنسبة لمسرحياته، وإنما كمسودات عمل قابلة للتغيير والتطوير، ثم أنه كتب أغلب ما كتب على شكل حوارات جدلية.

ومما لا شك فيه أيضا أن هذه الرؤية شكلت منعطفا في تاريخ المسرح في العالم بأسره وساهمت في تحديث المسرح، من كتابة إلى عرض إلى أداء ممثل إلى شكل تلق، المسرح الغربي أولا، والأوروبي تحديدا، ثم باقي أرجاء العالم: حتى أن المسرح الشرقي (المقصود هو الشرق الأقصى الياباني والصيني على وجه التحديد وهما مصدر مهم للنظرية البريشتية)، طور نفسه من خلال إعادة استخدام التقنيات التي طرحها بريشت في السرد والإبعاد والتغريب. ولن نعدد هنا أشكال تأثير مسرح بريشت على المشهد المسرحي في أوروبا لكنه وجد بالفعل وأخذ أشكالا مختلفة، وعلى كل المستويات، أهمها شكل العرض المسرحي.

فقد جاء مفهوم المسرح الملحمي في الغرب كنقيض (ولو نظري) للمسرح الدرامي. وقد ساهم هذا التمييز بشكل أو بآخر بنسف المسلمات والقواعد الثابتة لكتابة المسرح ولشكل العرض، وإننا نعرف اليوم أن الجديد الهام في تلك المرحلة كان أن مفهوم بريشت للمسرح يقوم على تفكيك عناصر المسرح لإعادة صياغتها من جديد، وقراءة احتمالات الممكن في سياق تطور الحكاية وموقف الشخصية عند كل منعطف من منعطفات مسار الحكاية، ولم يكن موقف الشخصية بالنسبة له حتميا كما في المسرح السابق وإنما هو خيار تحكمه الظروف وطبيعة الشخصية. وتبدو هذه العملية نموذجا لتفكيك الواقع وإعادة صياغته هو الآخر، بمعنى فهمه وقراءته كمرحلة أولية لتغييره. وهنا يجب ملاحظة أن فكرة التغيير تأتي في سياق تاريخي كانت فيه فكرة التغيير حلما عاما ممكن، وجزءا من اليوتوبيا العامة. والمطب الذي وقع فيه البعض بهذا الشأن كان أنهم تخيلوا دورا للمسرح أكبر مما قد يحتمل الفن بشكل عام. فسؤال هل للمسرح دور في تغيير العالم؟ إشكالي تماما وهو جزء من يوتوبيا

الماضي، ولكن مسرح بريشت لا يقتصر على هذه الناحية.

ولن نحاول هنا سبر مدى الفهم الحقيقي والعميق الذي تحقق في أوروبا لرؤية بريشت المسرحية في مرحلة ما من مراحل انتشار تأثيره في أوروبا، لكننا نعرف قطعا أنه لم يفهم دائما فهما عميقا وأنه قد تم التعامل مع مسرحه ورؤيته المسرحية بشكل سطحي في أحيان كثيرة، كانت مركزة على التجديد في الشكل، والدليل على ذلك تنوع الكتابات التي ما زالت تفد إلى المكتبة المسرحية.

في عام ١٩٧٨، كتب الباحث الفرنسي برنار دورت Bernard Dort المختص بمسرح بريشت والذي حاول دائما قراءة وإعادة قراءة مفاهيم بريشت، دراسة بعنوان «بريشت الثنائي»، جاءت ضمن ملف كبير عن مسرح بريشت، طرح فيه أسئلة جوهرية حول مستقبل نصوص بريشت المسرحية وفعالية نظريته في المسرح. وفكرة الثنائية هنا مهمة لأنها توحي بوجود برشتين: بريشت الذي كان: وبريشت كما كان يمكن أن يصير لو أنه عاش عشرين عاما إضافية، من جهة، وتوحي بالفارق أيضا بين بريشت الكاتب والدراماتورج، وبريشت المنظر المسرحي، من جهة أخرى، والوجوه لا تتطابق بالضرورة تطابقا كاملا. ويتساءل دورت في هذه الدراسة: هل كان بريشت سيتحول إلى مؤسسة عظيمة مغلقة على نفسها كما تحول مسرح الفن في الاتحاد السوفيتي أو أنه كان سيحول نفسه والبرلينر أنسامبل معه إلى مختبر مسرحي ناشط متطور؟ وهو بهذا السؤال يطرح ضمنا نقطة جوهرية هي تطور بريشت الدائم خلال حياته.

كذلك فإن دورت عندما يعلن أن صورة بريشت في أوروبا، ورغم أن مسرحه صار جزءا من المسرح الكلاسيكي العالمي، لا زالت صورة مشوشة، فهو يقر بأن بريشت لم يعرف ولم يفهم بشكل جدي. فصاحب نظرية المسرح الملحمي ومفهوم التغريب في المسرح تحول إلى قناع يختبئ وراءه كل من أراد أن يقدم شيئا باسم التجديد والتحديث..

في الملف ذاته يعقب دورت على عرض قدمه المخرج الفرنسي أنطوان فيتيز Antoine Vitez أسلوبه الخاص لمسرحية «الأم شجاعة» في العام ١٩٩٥، وكانت إعدادا كاملا لمسرحية بريشت، ليرى أن رؤية فيتيز جاءت مناقضة تماما للعرض الذي قدمه البرلينر أنسامبل في عام ١٩٥٤ في فرنسا، والذي كان أساس الانبهار الكامل بهذا المسرح من قبل أشخاص مثل برنار دورت أو رولان بارت، وسبب بداية التعرف على مسرح ومفاهيم بريشت في أوروبا، فيقول معقبا على أسلوب العرض ما معناه: كان أمامنا أسلوبان أسلوب أنطوان فيتيز مقابل أسلوب البرلينر أنسامبل، وجاء إخراج فيتز المرتكز على منظومة من الرموز والكنايات، ليحول المسرحية إلى تراجيديا لا تلامس جوهر المنهج البريشتي.. ثم يعقب على ذلك بقوله لكي نستعيد بريشت أظن أنه علينا أن نمر ببريشت المنهج، المنهج القائم على طرح التناقضات، على طرح سيرورة، وهذا هو الأساس. وأظنه هنا لامس قضية جوهرية تختصر النقاش وتحده بإطار واضح يعطي بريشت حقه في تاريخ المسرح.

لا ضير في اعتبار نصوص بريشت المسرحية من كلاسيكيات المسرح، وهي فعلا دخلت الريبرتوار العالمي - تعتبر مسرحيتا «أوبرا القروش الثلاثة»، و«الأم شجاعة»، من أهم المسرحيات التي قدمت في أوروبا في القرن الماضي والأكثر تأثيرا- ولا بأس في تعاملنا مع هذه النصوص كتعاملنا مع أي نصٍ آخر من كلاسيكيات المسرح.. أليست مسرحية شكسبير «هاملت» مسرحية كلاسيكية، بمعنى أنها دخلت الريبرتوار العالمي وأنها تحمل في جوهرها إمكانيات عديدة منها أن تقدم بشكلها المتحفي ومنها أن تعبر عن إشكاليات معاصرة؟ ألا تحمل نصوص بريشت نفس الإمكانيات؟

والجواب على هذا السؤال مرهون بسؤال آخر هو: هل تتحدى أعمال بريشت الزمن وتبقى حية بعد نصف قرن من وفاته؟ هذه الأعمال التي كتبت بناء على ظرف معين وارتباطا به، هل تحمل في جوهرها بعدا يجعلها صالحة في ظرف آخر وزمن آخر. إن الزمن كفيل بالرد على هذا السؤال، لكن السؤال الآخر الأكثر صعوبة والذي لا بد للمسرحيين من التعامل معه بجدية هو هل يقتصر إرث بريشت على مجموعة من المسرحيات؟ مما لا شك فيه أن إرث بريشت لا يمكن أن يختزل بمجموعة من المسرحيات أو الأعمال الشعرية أو الكتابات النظرية. كلا إن إرث بريشت هو قبل كل شيء أسلوب في التعامل مع المسرح، إنه التجريب بكل جوانبه. وهنا نذكر أن بريشت في نهاية حياته، وكان قد أصبح مشهورا بالتأكيد، رفض مثلا أن يترأس مسرح البرلينر أنسامبل إداريا، فلم يكن يريد مثل هذه النهاية، وأنه أيضا في نهاية حياته تحول إلى الديالكتيكية وكان يفكر بإعداد لمسرحية «بانتظار غودو» لصموئيل بيكيت.. وهنا نذكر بجزء من حوار جاء على لسان تسيفيل في حوارات المنفيين: «إن الهجرة هي أفضل مدرسة للديالكتيك، فالمهاجرون هم أشد الناس ديالكتيكية. إنهم مهاجرون نتيجة للتغيرات، إنهم لا يدرسون إلا المتغيرات. فتراهم يتوصلون إلى أكبر الأحداث ويحلون عقدها من خلال رصد أصغر المظاهر والتفصيلات. هذا إذا كان لديهم فهم كاف للظواهر. فعندما يحرز عدوهم النصر، سرعان ما يبدأون بحساب كم كلفه النصر. إن لديهم حاسة شم شديدة لرصد التناقضات.. يحيا الديالكتيك!». فقرة الدانمارك أو الفكاهة حول ديالكتيك هيغل (الترجمة العربية صادرة عن دار كنعان ترجمة يحيى علوان).

في عددها الخاص عن بريشت الذي صدر عام ٢٠٠٠ تطرح مجلة «أوروب» EUROPE عددا هو الثاني من نوعه بعد صدور عدد أول من نفس المجلة مخصص لبريشت عام ١٩٥٧، وإيضاحا لمبرراتها في إصدار عدد جديد بمضمونه عن مبدع سبق أن قدمته المجلة في الماضي، وهذه سابقة، تطرح الأسباب التي دفعتها لإصدار عدد جديد بدراسات مختلفة بدلا من إعادة طباعة العدد الأول. وفي مقدمة العدد الجديد التي حملت عنوان «بريشت اليوم» تذكر المجلة بأسباب صدور العدد الأول ومحتوياته، معتبرة أنه جاء كضرورة في حينه للترحيب والتعريف ببريشت أثر الجولة الأولى للبرلينر أنسامبل في أوروبا ١٩٥٤، وبداية ترجمة أعمال بريشت للفرنسية ١٩٥٥، والانبهار الذي حصل أمام هذا الجديد، وتعتبر المجلة أن صورة بريشت آنذاك في أوروبا كانت صورة إنسان متأمل للواقع رافض لليأس يحضر للمستقبل ويرى في المسرح وسيلة للتغيير، وتقول أن بريشت اعتبر آنذاك أهم منظر وممارس للديالكتيكية في المسرح، ثم تستطرد قائلة: «بعد أربعين عاما من العدد الأول يأتي العدد الثاني كضرورة»، حسب قول مقدميه، ضرورة لإعادة تقييم وقراءة على ضوء المتغيرات، إعادة تقييم لفعالية عمل بريشت المسرحي، إعادة تقييم لعلاقته بالماركسية وارتباط مسرحه بها، في وقت عرف العالم (والاشتراكي منه) تحولات كبيرة.

إذا كان هذا العدد الجديد قد ظهر لتصحيح صورة بريشت فإننا نكتشف بعد قراءة الدراسات أنه شوشها أكثر، وكأن المثقف في الغرب يعاود تقييم ذاته، فمحاكمة بريشت تأتي على شكل محاكمة عامة لكل طموحات الثقافة والفن ودورهما في المجتمع وكل يوتوبيا الحداثة.

ومن الملاحظ بشكل عام أن هذا التوجه لإعادة التقييم وإعادة القراءة والبحث في راهنية بريشت، ومن خلاله إمكانيات التغيير، بدأ في الحقيقة اعتبارا من الثمانينات من القرن الماضي، وجاء مواكبا تماما لأطروحات نهاية التاريخ ونهاية تجربة الحداثة ورفض اليوتوبيات

التي اعتبرت في أساسها مدمرة، وكأن المرحلة التي تلت الحداثة رفضت بريشت رفضا كاملا معتبرة أنه يعبر عن مرحلة سابقة، لكنها لم تدمره وحده وإنما هزت صورة المثقف والثقافة معا.

قيل وقتها أن مسرح بريشت أصبح أثريا متحفيا، وقيل أن بريشت بحد ذاته هو خدعة كبيرة. لكن هذا الموقف لم يدم طويلا فبعد عشر سنوات تماما بدأ جيل المسرحيين الجدد يتعامل بروح جديدة مع عالم بريشت ككل وكذلك مع أعماله، وكأن حركة جديدة نشأت لإعادة اكتشاف بريشت. وقد طرح هذا الجيل من المسرحيين فكرة البحث في بريشت الإنساني أكثر من بريشت السياسي أو على الأقل رؤيته السياسة الإنسانية، ونستدل على هذا التوجه من خلال ما قدم في ألمانيا وأوروبا بشكل عام في الذكرى المئوية لولادته، عام ١٩٩٨، عندما أعيد تقديم العديد من مسرحياته وأقيم العديد من الندوات، وبدا كأن بريشت يطرح كرمز لألمانيا الموحدة، وكأنه تراث ثقافي يجب المحافظة عليه.

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن بعد هذا التقديم هو : هل هذه الأسئلة تعنينا نحن في العالم العربي؟ وهل هي مطروحة علينا بنفس الحدة؟ ما هي علاقتنا بعالم بريشت؟ وهل مازلنا نؤمن بالإمكانيات التي تتيحها لنا معرفته؟ أقول هذا لأننا عندما نترجم أو نقدم كتابا، أساسه مجموعة من المقالات والترجمات لدراسات مختارة عن بريشت ومسرحه فإننا نكون قد حددنا موقفا منه. وهذا الموقف يختصر بالرغبة في مزيد من التعريف به وبالمواقف منه وبشكل أعمق.

إلى أي مدى يمكننا القول أن بريشت معروف في العالم العربي؟ وكيف عرف وإلى أي مدى أثر في المسرح العربي؟

عرف مسرح بريشت ومنهجه في العالم العربي عن طريق عدة مصادر لكنها كلها غربية أهمها ما ترجم مباشرة عن الألمانية، ولكن حركة ترجمته تأخرت حتى الستينيات من القرن الماضي وجاءت بتأثير من انبهار الغرب أمام هذا المسرح، رغم ذلك فإن نصوصه المسرحية أخذت حقها في الترجمة فأغلبها ترجم ترجمة جيدة وعن الألمانية مباشرة. أما منهج بريشت فلم يلق برأيي نفس المصير حيث أن الترجمة في هذه الحالة كانت اعتباطية وانتقائية، واقتصرت على مقالات من هنا وهناك.

من ناحية أخرى جاء طرح مفهوم المسرح الملحمي، المعتمد على السرد والحكاية، في العالم العربي كإنقاذ لأزمة هذا المسرح المقلد للغرب في حينه بشكل كبير. وقد ترافق ذلك تماما مع ظهور جيل جديد من المخرجين الذين درسوا في الغرب وتبنوا ما يحدث هناك. فكان المنهج البريشتي وسيلة للخروج بالمسرح من أزمته وحلا ملازما ومتزامنا مع أطروحات تأصيل هذا المسرح.

والحقيقة أن التأثير البريشتي يبدو واضحا في أعمال العديد من الكتاب والمخرجين اعتبارا من ستينات القرن الماضي، ويبدو أن المنهج البريشتي قدم الوسيلة الأهم لكسر طوق شروط المسرحية الدرامية المحكمة البناء، ولتبرير العودة إلى التراث واعتبار أن عناصر التراث السردية وكل تراث السرد الموجود لدينا هو تراث قابل للمسرحة لا بل البحث في امكانيات مسرحة هذا التراث. فبريشت من خلال طرحه لنموذج يقوم على التمييز بين السردي والدرامي، وعلى رفض الدرامي بما يحمله من صراع لصالح السرد الممسرح قدم للمسرح العربي منظورا أقرب إلى تراثه الثقافي من المسرح الدرامي الغربي السائد، وهذا ما أعطى أفقا لمسرحة المادة التراثية في عروض كثيرة.

لم يقدم بريشت في العالم العربي بشكله المتحفي إلا في البدايات ونذكر هنا بعرضين على الأقل: عرض لنص القاعدة والاستثناء (شريف خزندار)، وعرض لنص دائرة الطباشير القوقازية الذي قدمه المسرح القومي في مصر برعاية البرلينر أنسامبل في الستينات، وقد قدم هذا العرض في مدن أخرى منها دمشق وأذكر أن العرض خلق وقتها عندي وعند غيري من المتفرجين الدهشة إياها التي خلقتها عروض البرلينر أنسامبل في أوروبا والتي فتحت الباب لاستعارات عديدة من المنهج البريشتي.

في النهاية لا بد من التأكيد على أن مسرح بريشت هو مسرح النقد، وما التغريب الذي طرحه إلا وسيلة لتقديم هذا النقد ضمن أفعال.

كيف نفهم اليوم مقولة بريشت «لكي نقدم شيئا مختلفا، يجب أن نقدمه بشكل مختلف»، كيف نقرأ اليوم، على ضوء حاضر الكتابة والعرض المسرحيين هذا الاختلاف؟ على الرغم من أن بريشت رفض المسرح الدرامي ورفض مبدأه القائم على التمثل والإيهام ومحاكاة الواقع بشكل مباشر واقترح كسر الإيهام في مرحلة ما من مراحل العرض من خلال الإعلان عن المسرحة أو من خلال التغريب وذلك لكي يخلق علاقة مختلفة بين الواقع والمسرح أي بين المتفرج وواقعه، إلا أنه لم يفجر المسرح من الداخل كما هو حاصل اليوم.

والحقيقة أن منهج بريشت كان يقصد تفتيت الواقع وتفكيكه للبحث في آلية تشكله وطرح على المتفرج هذه الآلية وهي بحالة التشكل لذلك فإن الحكاية لديه، وهي سيرورة أو مسار وليست تشابك مصائر وأحداث، بقيت موجودة وبقيت أساس المسرح..

ثم إنه من خلال عرض أجزاء هذا الواقع على الخشبة ممثلة بشخصيات ومكان وأغراض، كان لا يزال يحاول طرح رؤية شمولية عامة تجمع بين الخاص والعام. ولهذا فهو لم يحاول رسم الواقع البيني ككتلة متجانسة وواقعية، وإنما فتح الباب أمام عمل المتفرج لربط ما يراه ليس بواقع محدد، بل بحقيقة ما عاشها هذا المتلقي أو عرفها من خلال مخزونه الثقافي. وهذا يجعل النص المسرحي البريشتي صالحا لأكثر من مناسبة. مثلا إن بريشت في نصه «الأم شجاعة» يتكلم عن حرب محددة هي حرب الثلاثين عاما الدينية التي دمرت أوروبا ولكن هذه ليست سوى مناسبة أو حجة للكلام عن الموضوع الأساسي لديه وهو رفض الحرب كفكرة، وعن تشابه الحروب في النتيجة. وإذا كانت بالنسبة له حرب الثلاثين عاما مناسبة لنقد الحرب العالمية الثانية والبحث في وضع الإنسان وموقفه من الحرب، فإنه بالحقيقة يتعامل مع هذه الحالة كحالة تصلح لأن تصور أي حرب مهما كانت، لأنها أصلا في نص بريشت غائبة عن الخشبة وموجودة فقط كزمن طاحن تتغير فيه المقاييس والقيم من خلال أثرها على الإنسان والشيء والمكان.

ثم أن بريشت من خلال أسلوبه الملحمي المعتمد على تركيب الحكاية أشار إلى مسألة فلسفية تاريخية هامة وعبر عنها من خلال عملية تفكيك الحكاية وبعثرتها في الزمن فقد أكد على فعل الزمن في الحياة، وقد أثار هذه الحقيقة منذ مسرحياته الأولى فالزمن هو الرابح الأكبر في كل أشكال الصراعات الموجودة في الحياة وهو بابتعاده عن المسرح الدرامي وتأكيده على طرح الحكاية التي كانت مجال السرد في قالب زمني مكاني ينتمي إلى «هنا/ الآن» وهو أساس المسرح بآنيته وخشبته، لم يرفض المسرح القائم ليلغيه وإنما ليعدل في فعاليته.

كل هذه القضايا موجودة في مسرح بريشت، والمسرح الذي أتى بعده تأثر به سلبا أم إيجابا، فدروس بريشت ما زالت حية برأيي في الكتابة المسرحية رغم أن المسرح اليوم يرفض طموح قراءة العالم ويجنح إلى تقديم مواضيع جزئية جدا، ويرفض تاريخية الأمور، وذلك كردة فعل على مرحلة سابقة. إلا أننا ولكي نفيد اليوم من تجربة بريشت علينا أن نمحي القشور التي تراكمت على صورته لكي نراه من جديد. فشكرا لقيس الزبيدي على خطوته هذه.

انكسارات

إلى أحمد سعدات

الأمين العام للجبهة الشعبية

في الذكرى السنوية لاعتقاله

المكان: أريحا

الزمان: ٢٠٠٢/١/١٥



حسن شتيوي

تمر الذاكرة لعام مضى.. كما تمر الأيام بشقاء لا يفوته الفطن.. في غفلة الزمن هذا، وجسدك المتأصل في ذاك الوطن.. ليسكنوك الخراب ورؤى المكان.. ليستبيحك الموت على مدار الذاكرة.. وبيوت متناثرة عبر سنوات الصحوة في الذات.. وزمن العهر السياسي.. الذي أسكنك العتمة.. لكنك أسكنتهم الخوف.. هناك.. ليكبر فيك البقاء جسداً لا ينحني للعاصفة. تكبح أحزان الوطن المثقل بالجراح. وتنهض الجياد جامحة في ساحات رام الله ذهابا وإيابا. ويغطيها غبار الدمار. يجعلها خاوية من عاديات الزمن التائه. مصممة على إطفاء إضاءة عينيك بعد أن حجبت عنهما أنوار قمر أريحا.

قيدوك باسم فلسطين في ظلمة المكان، ووقف الفلسطيني في وجه شراسة العصر العنصري الرهيب، ووصل صوت وجعك من زمهرير المكان، لنشاطرك إحساس المرارة، بعد أن سرقوا منك الحرية، ولكن مهما تربصوا بك لن يطال الدمار قوة استمرارية التحدي والجلد عندك، الذي يشيد أوطاناً ومنارات لحزبك وشعبك ووطنك، فتتشابك مع غيابك خيوط الانتفاضة كلها، وفي رؤياهم لإخماد فكر في جسد هو تاريخك.. تاريخنا وصمودك..

فسجنك مع ضيق المكان وثقل الزمان هذا، يصير عاليا.. بعد أن سرقوا جسدك وألبسوك ثياب الليل وعتمة المكان (تحت حراب الإمبريالية)، تصلك رطوبة المكان باردة، حينها ينتفض جسدك من قامته إلى أخمص القدم، ولا تغمض عيناك عنهم، بعد أن غدا العالم ذو لون واحد مقابل شعب واحد.. لأن هجمة الآخر أغرقت كل الألوان أمام اللون الأحمر.

عنصريون.. إمبرياليون.. فاشيون يحملون موتهم إلى الشرق مخبئاً في برودة هزائمهم.. ليبنوا انتصارات كرتونية في زمن الوهم هذا، وهيئ لهم جلاوزة هذا الزمن الاستثنائي، أن في استطاعتهم أن يتجاوزوا الذات الفلسطينية، التي تصنع رجالاً في مواجهة هزيمة الآخر.

وصمودك يشمخ إلى الخلود، ليبقي ذات المنكسر عند قدمي كلماتك المتراصة في كل شيء، تجمع قوة الذات والإرادة في رجل واحد هو أنت من خلف القضبان المنكسرة. وها عدنا ليوم آخر قادم لا مناص منه، إلى حتمية الاستقلال والحرية والعودة..

أبا غسان..

مهلاً.. إن غيابات السجون لا تطول ولن تدوم، لأن زرد السلاسل ما عاد له إلا أن ينكسر..

قصيدة مهداة

إلى الرفيق

أحمد سعدات

الأمين العام

للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

على أبواب الذكرى السنوية لاعتقاله

رسالة لظالمي

رياض خلف

هاكم يدي يا إخوتي
وأطلقوا.. حريتي
إني حبيس سجنكم
وغريبة.. حراستي
كم مؤلم يا إخوتي
أني أسير سلطتي
ظالم هو حكمكم
كيف تحاكم ثورتي
كيف أكون غريمكم
وغرامكم من يعتدي
وكيف أكون صديقكم
وجرحكم أدمى يدي
إني انتفضت معكم
ماذا قبضتم ثمني
يا من نقضتم عهدكم
ووعدكم.. لأحمدي
الخوف ليس منكم
بل أن تضيع قضيتي
فيا أريحا اشهدي
أنا ثابت في موقفي
برغم أنوف سجونهم
يبقى دوي مدفعي
ويا رفاقي عهدي لكم
عهد الحكيم لجبهتي
نهجي سيبقى ونهجكم
نهج الشهيد أبي علي
فلا ظلام سجنهم
سينال من عزيمتي
ولا عتاد جندهم
سيوقف.. انتفاضتي
لا لن ينالوا مرادهم
كالصخر صلبة إرادتي

ضداً على الحصار

المربد ١٨ ببغداد يحتفي بالشعر والشعراء

تحت شعار: لماضينا نغنّي، لمستقبلنا نطلق الكلمة

بغداد/ إدريس علوش

تعرشت بغداد مربد الشعر ١٨ ما بين ١٤ إلى ١٩ من شهر ديسمبر ٢٠٠٢ تحت شعار «لماضينا نغني، لمستقبلنا نطلق الكلمة» وهي في أبهى حللها، تعيش حياتها العادية مثل كل عواصم الكون، رغم أنف الحصار الجائر والوحشي.

إنما القدرة للعراق في اختراق المستحيل وتحويل المعاناة إلى نشيد مستمر للمقاومة والمناعة والبسالة..

جاء الشعراء من جل الدول العربية (باستثناء دول الخليج)، وكان العراق مضيافاً إلى حد التجلي، من سوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن، ومصر، والمغرب واليمن وتونس، والجزائر، وليبيا، والسودان، ومعهم في نفس الفلك كان النقاد والباحثون يهتفون بنبض الكلمة الجياشة التي تدين في جوهرها شراسة الحصار ومكر العدوان..

البصرة هي الأخرى فتحت قلبها وحضنها لوفود المربد ١٨، عبر رحلة ممتعة قادها قطار المربد الخاص، واستوعبتها فضاءات البصرة الجميلة شعراً وفكراً وحواراً وتواصلاً..

وبنفس حماس افتتاح المربد ١٨ استمرت أجواء الشعر والكلمة والجمال إلى غاية اليوم الأخير، حيث استمر الشعر وتواصل الود والحب وروح الخلق والإبداع، إلى أن حان موعد قراءة البيان الختامي، ونص الرسالة التي رفعها المشاركون إلى الأخ القائد صدام حسين، هذا نصها ونص البيان الختامي..

البيان الختامي
لأيام المربد الشعري الثامن عشر
بغداد من ١٤-١٩ ديسمبر ٢٠٠٢

تحت شعار «لماضينا نغني، لمستقبلنا نطلق الكلمة»، انعقدت في بغداد والبصرة أيام المربد ١٨ ما بين ١٤ و١٩ ديسمبر ٢٠٠٢، بمشاركة واسعة من لدن شعراء العراق وإخوتهم الشعراء العرب والأصدقاء الذين آثروا المربد على أنفسهم، فارتفع وجهه بألسنتهم الصادحة، وقويت بأدبهم يده المعطاء.

وقد رافق انعقاد المربد ١٨ حلقة دراسة اختارت عنواناً عاماً لبحوثها، على شتى المحاور: «الشعر والجمهور»، شارك فيها جملة صالحة من أساتذة النقد والأدب من شتى الأقطار العربية، وهذا التقليد الثقافي الذي حرص عليه المربد منذ دوراته الأولى، أصبح سمة بارزة من سمات المربد، تعزيزاً لدور الشعر، وتمتيناً للعقل المفكر الذي يرقى بالظاهرة من صورتها الإبداعية إلى صورة وعي الإبداع فيها، على مختلف المناهج والمقتربات النقدية. لقد أصبح المربد محطة لقاء ثابتة يلتقي فيه الشعراء والنقاد والباحثون، فتتلاقح الأفكار، وتخصب القرائح، وتقترب القلوب من بعضها بعضاً، ويتسع أفق المعرفة، ومن ثم تمتزج الهموم، باستبار ما مضى، واستقبال ما هو منتظر.

تأتي أهمية المربد الثامن عشر، في وقت عصيب، أخذت فيه طبول الحرب الإمبريالية الأمريكية - البريطانية تزداد شرهاً لتجريب أسلحتها من جديد، على العراق الصامد، مثلما أخذت فيه الصهيونية الفاشية العنصرية تمارس خطتها في القتل والتخريب والإرهاب ضد شعبنا في فلسطين المحتلة، مما بدا واضحاً أن الصهيونية والإمبريالية الأمريكية تعملان في خيط واحد، من أجل هدف واحد، هو السيطرة على الأرض العربية، وإعادة توزيعها وتقسيمها بحيث تقضي فيه على مستقبل الأمة، بما تمثله هذه الأمة، من ثقافة وحضارة وتاريخ، وبما تتطلع إليه من الارتقاء بالإنسان، وتفجير طاقاته في العمل والإبداع وبناء المستقبل على أسس من الحق والعدالة والحرية.

غير أن وقفة العراق الصامدة بوجه الإرهاب والعدوان الأمريكي البريطاني الصهيوني البغيض، وصمود شعبنا في فلسطين، وإصراره على المضي في انتفاضته الباسلة، بما تعنيه الانتفاضة من حجر يطارد جنود الاحتلال إلى الأحزمة الناسفة على خواصر الشهداء، لن يتيح للعدو الصهيوني إلا أن يدرك شيئاً واحداً هو أن الأرض العربية المقدسة ليس لها مالكان، بل مالك واحد، هو قاذف الحجر بوجه المحتل، والشهيد الذي مضى ليثمر من جديد بأهله وأترابه وأصدقائه.

لقد جاء الشعر في المربد ١٨ تعبيراً صادقاً عن هذا المنزع القومي الأصيل، وعودة إلى الثوابت المبدئية، بوصفها مضموناً حياً مستقى من معاناة الإنسان العربي وجراحه، ومن سبل مقاومته لها على الأصعدة كافة.

ومرة أخرى يثبت «المربد» أن الأشكال الإيقاعية والتعبيرية، على مختلف اتجاهاتها تتحدد قيمتها بمستوى الإبداع فيها، وما يرفده من وعي ثقافي، وتجربة عميقة، وروح وثابة، على هيئة يلبي فيها الإبداع الشعري جميع مستويات القراءة والتلقي.

ومع ذلك، يوصي «المربد» بما يأتي:

١- عقد حلقات دراسة تتناول تجربة الشعر العربي الحديث في القرن العشرين، بكل ما شهده من تغييرات وتطورات أدت إلى انقلابات متتالية في أشكاله الإيقاعية ونواحي التعبير به على مختلف المستويات، لتحديد المفاصل الحيوية فيه، وتبيان عناصر الأصالة والإبداع في منجزاته.

٢- الحرص على أن تكون الأبحاث الخاصة بأية حلقة دراسة «ملبية» لعناوينها الرئيسة وتفريعاتها المنبثقة عنها بصورة يتحقق بها الهدف المطلوب.

٣- الاستمرار في العناية في توجيه الدعوات إلى الشعراء، مع ما يقتضيه ذلك من اكتشاف المواهب الجديدة، وتقديمها إلى الجمهور، لكي تتواصل الأجيال والتيارات في تناغم متصاعد.

٤- توفير فرصة نقدية خاصة، في كل حلقة دراسية، لمراجعة الشعر الذي ألقي في المربد السابق، وتحديد مكامن القوة والضعف فيه، بحيث تكون منبهاً أمام الشعراء ومحفزاً في الوقت نفسه.

٥- الكشف من جديد عن طبيعة النقد العربي الحديث، على صعيدي النظرية والتطبيق، ومدى ما حققته في إثراء الشعر أو فتح الآفاق أمامه.

٦- تنظيم الجلسات الشعرية والحلقة الدراسية بحيث لا تتعارض إحداهما مع الأخرى من التوقيت، لتعم الفائدة للجميع.

وفي الختام.. نتوجه بالشكر والتقدير إلى وزارة الثقافة والهيئة العليا لأيام المربد الشعري الثامن عشر للجهود التي بذلتها في تنظيم أيام المربد الشعري، سائلين العلي القدير أن يحفظ العراق، قيادة وشعباً، رمزاً وقلعة للصمود العربي الباسل في وجه قوى الطغيان من أمريكان وصهاينة، وإلى مربد قادم نغني فيه لمستقبلنا الذي سيكون أكثر إشراقاً وزهواً بعروبته وإبداعه وقيمه الجهادية..

المشاركون في أيام المربد
الشعري الثامن عشر
٢٠٠٢/١٢/١٩

قصيدة الأرض

إهداء إلى رموز الحرية: أحمد سعدات - عبد الرحيم ملوح - مروان البرغوثي

شعر: إدريس علوش

-١-

الأرض
خبايا أسئلة
من رماد الكلمات
تستعير حدائق البهو
وتعلو..
وتدنو..
وتطفو..
كطفلة تخفي سر الحلم
في ضفيرة..

-٢-

الأرض..
خابية خمر قديم
أنخابه مراحل التاريخ
القصوى
وهشيم كف يلوح بأزهار
الذكرى..
دوالي..
سلالات..
مواسم قطاف..
وفيض هادر..
هي الأرض..

-٣-

الأرض..
محتوى لروح يافعة
راسخة في ينبوع
ذاكـــرة..
مرآة لأشعة تنفلت
من منافح الضوء
لتخفي العتمة..

-٤-

الأرض..
كتاب أحرفه الإنسان
والأمكنة فهرس الصفحات
وصفحة البرتقال
وطن محتل
يترقب نشيد الخلاص
«يافا» تغازل قمح العرصات
و«الجليل» آيل بالحجر
يوقظ شرارة الأطفال
و«القدس» تختزل
حلم العواصم في
مسافات..
و«غزة» تجاهر
بانهيار الليل
..(والخريطة
كل
الخريطة)..
ماثلة في شرفة الشهداء
(من يدري قد لا نلقي بكم
في البحر!..
- لكن
- في فوهة البركان..
إذا ما تماديتم في الاستهتار
بدمي..)
فالأرض لمن تشبه تقاسيم
جبينه
أديم الأرض
لا من وزعته وصايا «التلمود»
في السراديب
والغبار!..
(- من يدري قد نجيل التفاوض
على التقاعد
- لتستمر انتفاضة النصر..)
فذاك شعب
لا يسجد سوى لأرض
ممتدة من شرايين القلب
إلى النبض..
ذاك شعب
يتماوج غضباً
ساعة الرفض..

-٥-

الأرض..
قرار القلب
وبساط الأقدام العارية
فسحة لروح عطشى
تشتهي أزمنة وافدة
في الحفر..
طريق لا متناهي
- هي الأرض -
تدعوك تارة للعبور
بالورد
وأخرى بدم الهواء..

-٦-

الأرض
حدائق لبحر
يستوعب اليابسة
في خراب..
جزر الزمن
في اتجاه الحتف المشتهى
أو بعث مبكر يرسخ
صورة الإنسان في
غفوة!..

-٧-

الأرض..
مثوى الموت
تسحب الأشلاء
والعظم تعيده لنقطة
البدء..

-٨-

الأرض..
أناس
شجروا فضاء الغيم
وهبوا النيزك ظل
الغياب..
رسموا ببرق البياض
فراشات تعلو ناصية الفرس
في بستان!..

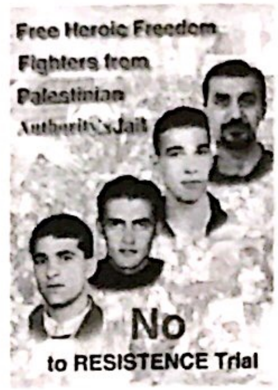
-٩-

الأرض..
أناس..
عمروا تفاصيل الوجد
وتناسلوا أجيالاً
حفروا بمعول الليل
شربوا أنخاب الفلوات
واستقروا في جغرافية هادئة!..

سلاماً عليك

إلى أحمد سعدات
ورفاقه الأبطال
المحتجزين في سجن أريحا

خالد فهد حسين



بحضرة الموت
تحترق الأغنيات
تصير يباباً
تصير صدى
بحضرة الموت
تنكفئ الأمنيات
تصير سراباً
تصير سدى
ولكن حين يخضرّ
عرق الحياة
تصير العصافير
جوقة لا نهائية
للغناء
تصير الفراشات
ملائكة
تنثر الحب
بكل فناء
تصيرين أنت
حبيبة من يدفع
العمر فاتورة
كمقدم مهرٍ
ليصير تراباً
يصير مدى
◆◆

سلاماً عليك
وأنت هناك
بزنزانة
تعجن الصبح
وتوزعه خبزاً
على الفقراء
سلاماً عليك
وأنت تشعل
قنديل حزنك
وبأحرف من عذابٍ
تخط رسائلك
الراعفة
سلاماً عليك
وأنت بصبرٍ عظيمٍ
تلوك ظلم الشقيق
وترفع صرح المبادئ
فوق آلامك النازفة
سلاماً عليك
وأنت تعلمنا
أبجدية الحب
حين يصير
الحب كفراً
رفعت رايته
فوق قامتك
الواقفة

عذراً.. ممدوح عدوان

أيمن غزالي

عندما قرأت لأول مرة كتابك «دفاعاً عن الجنون» منذ حوالي عشرين عاماً تساءلت دائماً ولازلت، ما الذي يدفع الإنسان إلى الجنون، وما الذي يمنعه، وتساءلت كذلك لماذا كل هذا الضغط على أعصابنا في محاولة للنجاة من الجنون، إما أننا فعلاً كما قلت بأن أحاسيسنا متبلدة وان فجائعنا لا تهزنا، وتساءلت كذلك أي الفجائع تلك التي من الممكن أن تفجر فينا أحاسيسنا المتبلدة ودفعنا للجنون.

لأنه ليس من الصعب على الإنسان التعرف على مكان الخطر إذا تعرض له لأن محاولة الإحساس بالخطر وكشف مصدره ومواجهته هو نوع من التضحية التي هي بالنهاية امتحان لمشاعرنا وعقائدنا.

لأجد نفسي الآن أمام أخطار مشاعري التي تتناهبني بين الوهم والحقيقة، والبلادة والجنون والتصديق وعدمه. في محاولة أكيدة لفك هذا اللغز العصي على الفهم والاستيعاب، منذ سنوات وأنا أشاهد على شاشات التلفزة الكثير بل الكثير من مشاهد الموت والقتل والتدمير والتجويع والاضطهاد والقهر الذي يتعرض له شعبنا في فلسطين، في الأرض المحتلة، ولأجد نفسي أمام أطفال بعمر الوهم والحقيقة معاً يولدون من روح الفجيعة والموت، يخرجون مع الشمس، بمواجهة آلة الغدر والطغيان الصهيونية مكحلين عيونهم برماد الموت والسكر، ومهما يكن الانتصار الذي حققوه بسيطاً إلا أن انتصارهم الأعظم هو الانتصار الذي حققوه في كسر قيد خنوعهم وملذاتهم وحياتهم، انتصارهم الداخلي في معرفة الحقيقة ومصدر الخطر الذي يواجهونه.

ولعل أبهظ ضرائب القلق الذي ينتابني حيال هذه المشاهد هو احتمالات الوهم في دائرة النار التي تتناهبك حرارة وهجها وتنسى لجها العصي على الفهم والغموض في محاولة لتطويع وهمك وتغيير مساره عن حدسك الداخلي الذي قد يقودك إلى الجنون، ضمن نواظم تتجول بين الوهم والحقيقة في محراب يلج إلى اللب، حيث هناك صراع على اجتراع مرارة الواقع، والرزوح تحت سياطه المحمومة داخل زنازين الاستكانة والعبث.

وما أن تخرج إلى الفراغ، لتجد نفسك أمام اختبار آخر - هاهو شعبنا العراقي كذلك موضوع ضمن حيز فرضي رسمته له أحابيل شخصيات مسرح الظل والعزلة.

هرمان هيسه: مذهول، أمام هذا الإنسان الشرير، قتل، دمار، وحشية، حروب، رصاص، إعدام، موت، اغتيال، قنابل، دبابات، أبراج، بوارج، صواريخ، رؤوس نووية، وأخرى انشطارية وجرثومية، طائرات حاملة، وأخرى فارغة، موت علني، موت سري، موت غامض، موت فردي، جماعي، ويتساءل: «كيف يمكن أن يروض هذا الكائن، كيف يمكن أن يتطور من الغوريللا إلى كائن متمدن.. هل ما زلنا في طريقنا إلى البشرية».

يستعمل بيتهوفن في آخر سمفونية له «التاسعة» مقطع شعري للشاعر الألماني «شيللر» دالاً على قسوة النغمة وهي قصيدة «أنشودة للفرح» مطلعها

آه يا أصدقائي
ليست هذه النغمات

لا أحد يجرؤ على الكلام، ثمة صوت في العين، ثمة موت في القلب، لأن الأنصال التي حكمت شيللر وبيتهوفن في رصد النغمة القاسية بعد حرب طويلة هي التي أجبرت الإنسان لاجتزاء القوانين في استعباد الناس من جهة وتحررهم من جهة أخرى، لأجل قتل كل مشاعر الفرح والموت معاً.

طالب جامعة البوليتكنيك في الخليل

هو من الخليل.. وأنا لست من فلسطين

هو يصحو كل صباح وقبل الصباح على أزيز الرصاص ورعد الجنازير الدابة إليه وعليه، وأنا أصحو كل صباح على صوت الموسيقى العذبة وفنجان قهوة وجريدة..

هو يذهب إلى جامعته في الخليل سيرا بين القواطع والشرائط والمسامير متأبطا ذراع زميلين له، وكتبه، ودفاتره، وبعض الحصى الأقوى من رصاص المحتل، وأنا أذهب إلى جامعتي في سيارتي الجديدة ولو بالتقسيط، وأتجاوز الناس والشوارع وحتى شارات السير غير آبه..

هو قوي أمام منزل محطم الأثاث والنوافذ ويستمر وتحت إبطه الكتاب وسيرا إلى الجامعة، أما أنا فأضعف أمام زجاج سيارتي إذا تحطم..

هو طالب في جامعة البوليتكنيك في الخليل ولا يملك ثمن رغيف، أما أنا فلست أطلب العلم ولا تهمني الصين، لكنني أملك ثمن فرن.. •

هو يضع روحه على كفه، ومنه رائحة العرق ونكهة الحزن الجاف وحرارة الثورة، وأنا أضع أجمل العطور ومني رائحة الكذب والرياء ونكهة المزايدة والتزلف وثورة الهروب..

هو ابن جامعة الخليل المقاوم، أما أنا فكل عربي وإنسان في هذا الشرق والعالم يرى الموت يضرب ويقضي.. وهو يهرب.

لكنه هو من هاجم ضابطا وجنوده وقال لهم مع رفيقيه كفى!

وهو من هاجم ضابطا وجنوده وقال لهم مع رفيقيه أن اخرجوا من أرضي..

وهو من كان سيتخرج من معهد البوليتكنيك للهندسة قبل أن يهندس وزميليه في نفس المعهد عملية مقاومته.. وحياته..

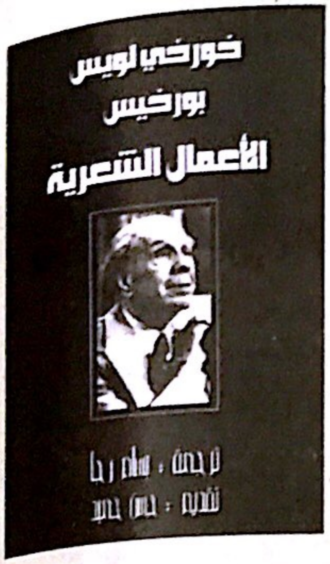
هو لم يخف، ولم يعرف أو يأبه أن يعرف إذا كنا سنعرف، لكنه قال من فوهة بندقيته لأعدائه أنه أذكى منهم وأقوى.. وقال لها نحن من يفترضنا «أشقاءه» أنه أفقر منا.. وأغنى!

قال ابن جامعة الخليل كل شيء بطلقة.. ونحن بآلاف الطلقات.. صامتون!

ملحم رياشي

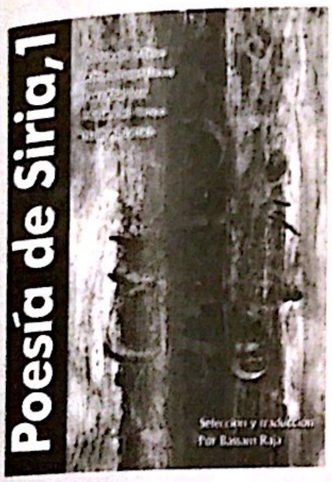
إصدارات

بورخيس



عن دار كنعان للدراسات والنشر، صدر الجزء الأول من الأعمال الشعرية لخورخيس لويس بورخيس للمترجم بسام رجا، وقدمه الروائي حسن حميد، جاء الكتاب في ١٤٠ صفحة من القطع المتوسط، واحتوى على ثلاث مجموعات هي: «هيام في بونيس آيريس»، و«القمر المقابل»، و«دفاتر سان مارتين»، وصمم الغلاف أكثم طلاع.

شعراء سوريون بالإسبانية



وعن دار كنعان للدراسات والنشر، صدر كتاب ترجمات لشعراء سوريين إلى الإسبانية، المترجم بسام رجا اختار خمسة شعراء هم: عبد القادر الحصني وأحمد يوسف داوود وفايز خضور ومحمد عمران ونزيه أبو عفش، الكتاب في ١١٠ صفحات من القطع الصغير.

«ربطة لسان» أسامة العمر

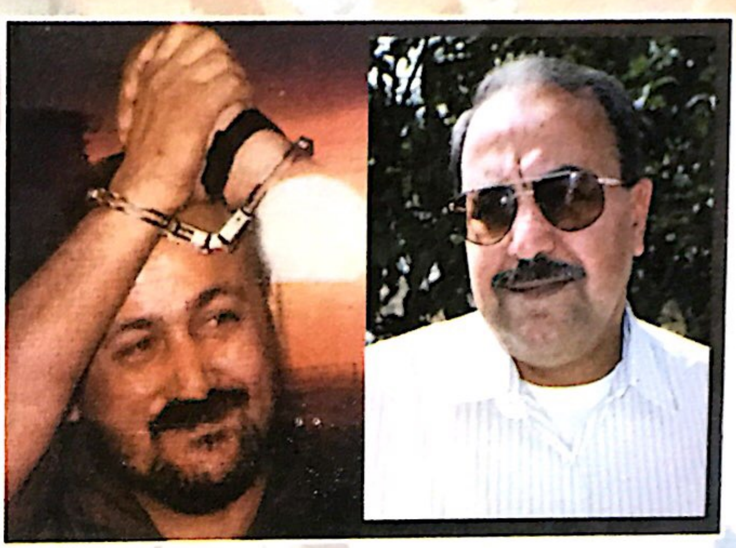


عن دار الكنوز الأدبية صدرت المجموعة القصصية الثانية للكاتب أسامة الحويج العمر بعنوان «ربطة لسان.. قصص وتأملات وأشياء أخرى؟!..»

وهي من نوع القصص القصيرة جداً ومن أجوائها:

«رثى الكون حظه قائلاً: واحسرتاه! ألا يحق لي أن أشغل ولو جزءاً صغيراً في هذا المكان الذي أنا فيه!!».

يقع الكتاب في ٨٥ صفحة من القطع المتوسط.



الحرية للرفيق القائد

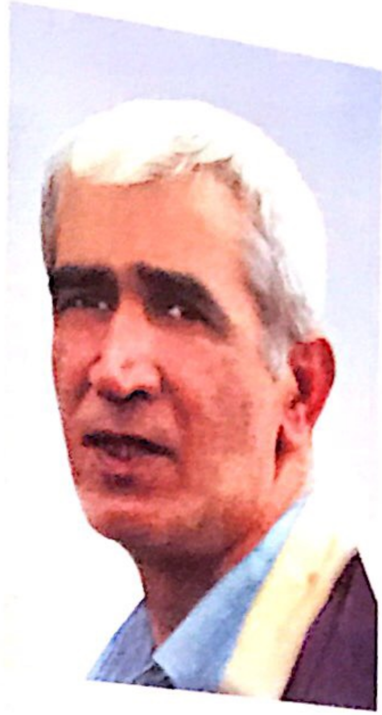
عبد الرحيم ملّوح

نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

و الأخ القائد مروان البرغوثي

أمين سر حركة فتح في الضفة الغربية

ولكافة الأسرى والمعتقلين في سجون الاحتلال الصهيوني



أخوتي ورفاقي قادة الفصائل والقوى الوطنية

تحية الكفاح والمقاومة

أحييكم وأشد على أياديكم.. من سجن أريحا الذي فُرض عليَّ، ومنعني من التواجد بينكم، أتابع بعقلي وقلبي حواركم على أرض مصر الحضارة والتاريخ، مصر العطاء والتضحيات والشهداء التي قدمت كل غالٍ ونفيس من أجل فلسطين.

أطالبكم وأناشدكم يا أخوتي بالتوصل إلى اتفاق سياسي شامل بين جميع الفصائل والقوى الوطنية والإسلامية.

إن أنظارنا وأنظار شعبنا وأمتنا العربية والإسلامية تتجه إليكم لتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية الشاملة والحقيقية لرص صفوفنا وتحشيد طاقاتنا الكبيرة، لمواجهة التحديات التاريخية الكبرى التي تتعرض لها قضيتنا الوطنية والتي يتعرض لها الأمن القومي الفلسطيني.

أتمنى لحواركم النجاح الكامل، وإنني على ثقة بأنكم ستتوصلون إلى النتائج التي يتوخاها شعبنا الفلسطيني العظيم، شعب التضحيات والشهداء، وذلك ببلورة برنامج سياسي مشترك وتشكيل قيادة وطنية موحدة داخل الوطن المحتل وخارجه، لمواصلة كفاح شعبنا وانتفاضته ومقاومته حتى يتم دحر الاحتلال وطرد آخر جندي إسرائيلي عن أرضنا وبلادنا، وضمان حق عودة اللاجئين من أبناء شعبنا إلى أرضهم وديارهم التي هُجّروا منها قسراً عام ١٩٤٨.

أتمنى لكم النجاح والتوفيق

ومعاً حتى النصر والتحرير

أخوكم: أحمد سعدات

سجن أريحا

٢٠٠٣/١/٢٦